الانتقاد الرجيح

في شرح الاعتقاد الصحيح

تأليف

العلامة محمد صديق حسن خان
رحمه الله

تحقيق

أبي عبد الرحمن سعيد معشاشة

دار ابن حزم

الانتقاد الرجيح
في شرح
الاعتقاد الصحيح

بسم الله الرحمن الرحيم

الانتقاد الرجيح

في شرح

الاعتقاد الصحيح

تأليف

العلامة محمد صديق حسن خان
رحمه الله

تحقيق

أبي عبد الرحمن سعيد معشاشة

دار ابن حزم

الطبعة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسّلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: فهذا شرح العلامة محمد صديق حسن خان على كتاب «الاعتقاد الصّحيح» للمحدث ولي الله الدّهلوي بيّن فيه أهم المسائل التي تحتاج إلى توضيح مثل مسألة علو الرب سبحانه وتعالى على خلقه حيث أنها أخذت كمّاً كبيراً من الكتاب، ومثل مسألة: الرؤية، والولاية، والإيمان، والصحابة وغيرها، ثم إنّ الشارح رحمه الله لم يقف عند هذا فقط بل أضاف للشرح مسائل لم يذكرها صاحب المتن «ولي الله الدهلوي في الاعتقاد الصّحيح» حيث قال رحمه الله بعد أن أنهى شرح الكتاب:

«وبقيت مسائل ملحقات لم يذكرها صاحب العقيدة فاستحسنت ذكرها تتميماً للمقاصد وتكميلاً للعقائد والعوائد على سبيل الاختصار لعل ينتفع بها أحدٌ من أهل الدين والاعتبار، وبالله التوفيق وبيده أزمة التحقيق».

وقد يسّر الله لي الحصول على نسختين حجريتين من هذا الكتاب، فقمت بتحقيقها بما يسّره الله لي من مراجع ومصادر، وأسأل الله العظيم أن ينفع بهذا الكتاب إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أبو عبدالرحمٰن سعيد معشاشة

ملاحظات:

١ ـ أورد الشارح في هذا الكتاب بعض العباراتْ، كالغوث، والقطب وغيرها، وهذه من مصطلحات الصوفية التي نهى عنها العلماء لما فيها من

غلوّ. والشارح رحمه الله كان أوّل أمره قبل أن يكتب هذا الكتاب وغيره صوفياً ثم ترك ذلك ورجع إلى مذهب السّلف، ولعلّ ذكره لهذه العبارات ممّا تأثر به في السّابق أو نظراً للمحيط الذي يعيش فيه والله أعلم.

٢ ـ أورد الشارح في هذا الكتاب لفظ «عليه السّلام» على أهل البيت، وهذا غير صحيح، بل يُترضى عليهم فقط كباقي الصحابة أمّا تخصيصهم بالسّلام فهذا من سمات الشيعة، والشارح رحمه الله فعل ذلك لأنّه كان متأثراً بعلماء اليمن، كابن الوزير والصنعاني وغيرهم، وهؤلاء من الزيدية، وهم يستعملون هذه الألفاظ.

٣ ـ كثيراً ما ينقل الشارح كلاماً من غيره ويورده في كتبه ـ ومنها هذا الشرح ـ ولا يذكر قائله، ممّا يجعل القارىء يعتقد أنّه من كلامه، وهو ليس له، وهذا ممّا أخذ على صديق حسن خان.

٤ ـ متن الاعتقاد الصحيح مثبت في هذا الكتاب بخط بارز كبير، والشرح بخط صغير.

❋ ❋ ❋

ترجمة الشارح
(محمد صديق حسن خان)

أعرف النّاس بالشارح هو الشارح نفسه ولذلك فهو مقدّم على غيره، فهو يعرف ماذا حدث له في صباه، وكيف تعلّم، وكيف ترك التقليد الأعمى والتزم بمنهج السّلف وغير ذلك. ونظراً لكلّ هذا فإننا نترك المجال لصاحب الشرح كي يعرفنا بنفسه بأسلوبه الشيّق الجذّاب كما هو دأبه في مصنّفاته وشروحاته.

قال الشارح رحمه الله في كتابه: «**التاج المكلّل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأوّل**»[1] معرفاً عن نفسه ما يلي:

أبو الطيب صدّيق بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، نزيل «**بهوپال**» عفا الله عن معاصيه، وجعل مستقبله خيراً من ماضيه.

نسبه ينتهي إلى الإمام الشهيد حسين السّبط الأصغر بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، ولد سنة **١٢٤٨** هـ يوم الأحد، لعلّه التاسع من شهر جمادى الأولى[2].

نشأ بمواطنه بلدة «**قنوج**» وهي من أسنّ [أقدم] بلاد الهند وأعظمها

(١) التاج المكلل: آخر ترجمة.

(٢) وتوفي رحمه الله ليلة الخميس **٢٩** جمادي الثانية سنة **١٣٠٧** هجرية. الموافقة **٢٠** فبراير سنة **١٨٩٠** ميلادية، وسنه إذ ذاك **٥٩** سنة و **٣** أشهر ودفن ببهوپال.

ذكرت ترجمتها [تاريخها] في «**حظيرة القدس**» و «**رياض المرتاض**» وذكرها العلامة المجدد في «**القاموس**» وشارحها السيد المرتضى في «**تاج العروس**».

وبالجملة قرأ «**صاحب الترجمة**» القرآن على معلّمي بلده، والمختصرات من فنون شتّى على جماعة من أعيان نواحيها وعلماء ضواحيها، ومختصر المعاني على أخيه المرحوم السيد العلاّمة أحمد بن حسن، المتخلص بالعرشي المالك لأزمة المنطوق والمفهوم، رحمه الحيّ القيوم، ثمّ ارتحل إلى مدينة «**دهلي**» قاعدة المملكة الهندية ودار خلافتها الثنية، فلقى بها عصابة من العلماء، ودار على جماعة من مشائخها النبلاء. فقرأ سائر الفنون من العقليات والنقليات والأدب والعربية، وأخذ هناك من فاضلها الفهامة، المشهور بالشيخ المفتي «**محمد صدر الدين خان**» صدر الصدور، تلميذ أبناء مسند الوقت «**الشيخ الأجلّ أحمد ولي الله المحدّث الدهلوي**» المبرور، وأجازه عامة تامّة للعلوم كلّها عقليها ونقليها.

ثم عاد إلى «**قنوج**» وسافر إلى «**بهوپال**» طلباً للمعيشة، فأخذ هٰهنا عن الشيخ القاضي حسين بن محسن السبيعي، وأخيه المرحوم الشيخ زين العابدين، تلميذي الشيخ محمد بن ناصر الحازمي الشريف. الآخذ عن العلامة الشوكاني، ودرّس قليلاً، وصنّف كثيراً، وأحاط بالفنون المتداولة وغيرها من الشّاذة الفاذّة علماً، وحصل منها على قسط أوفر ونصيب أجمع، وأجاز له مشايخ آخرون، منهم الشيخ المعمر عبد الحق الهندي المتوفى بمنى في سفر الحج في سنة **١٠٥٢** هـ، المجاز عن الإمام الرباني قاضي القضاة[1] محمد ابن علي الشوكاني اليماني رضي الله عنه ـ مواجهة ومشافهة في بلده صنعاء اليمن، والشيخ الصالح محمد يعقوب الدهلوي، أخو الشيخ محمد إسحاق، المهاجران إلى مكة، المتوفيان بها، سبطا الشيخ المفسّر العلاّمة المحدّث عبد العزيز الدهلوي بن الشيخ أحمد ولي الله.

وكنت كثير الاشتغال بمطالعة الكتب وكتابة الصحف من أيّام كوني في

---

(١) إطلاق لفظ قاضي القضاة على شخص من غير تقييد لا يجوز، بل يقيّد بقاضي قضاة عصره أو بلده. (راجع المجموع الثمين من فتاوى الشيخ ابن عثيمين).

المكتب، فطالعت زبراً عديدة، وبيّنات كثيرة، وكتباً غزيرة، وأسفاراً غريبة وشهيرة من كل فن ملائم وعلم أجنبي، وحصّلت منها على فوائد شتى، لا تكاد تنحصر، وألفت في زمان الطلب رسائل ومسائل، وحررت تراجم كثيرة لكتب الدين باللّسانين[1].

وأوّل ما صنفت، ترجمة المراح في التصريف، وذلك سنة **١٢٧٠** هـ، ثم تتابعت التواليف وبلغت إلى حال تحرير هذا الكتاب «**تسعة وخمسين مؤلّفاً**» ما بين مطوّل منها ومختصر، عربياً وفارسياً، وطبعت واشتهرت. وحبّب إليّ علم الأدب، والعربية، والشّعر، والتاريخ، والتصوّف، ونفر الطبع الكليل والخاطر العليل عن معقولات الفنّ ـ نفرة زائدة مع كوني محصلاً لها بتمامها ـ وعوّض الله سبحانه عنها علم «**الكتاب والسّنة**» وما إليهما، فاشتغلت به شغلة لم تترك لغيرهما موقعاً، ولا لعلم من علوم الدنيا وفنون أهلها مسرحاً ومنزعاً، حتى أخرجت مؤلفات زمان الطلب الأول عن عداد التآليف، وجعلت مكانها مصنّفات «**الحديث والقرآن**»، وهي ممتعة نافعة شائعة مقبولة عند أولي الطبع اللطيف، ولله الحمد على ذلك. وقد ذكرت ما قرأت من الكتب، وما كتبت، وما صنفت وما ألفت من المصنّفات المختصرة والمطوّلة في تراجمي في غير هذا الكتاب ـ جملة وتفصيلاً، وألحقت جدول ذلك في خاتمة كتاب «**حضرات التجلّي من نفحات التحلي والتخلي**» تكميلاً.

وقد سارت بها الركبان في حياتي إلى أقصى المدائن والبلاد، وأكب عليها جماعة عظيمة من علماء العصر والزمان، وعصابة كبيرة من أمثال الفضلاء والأقران، أصحاب الحديث والقرآن والأدب والبيان، وقرّظ عليها جمع جم من فضلاء العصر، وطائفة عظيمة من نبلاء الدّهر إلّا من حَسَد وطُبِعَ على اللدد. وانتشرت تلك الدفاتر بعد الطبع الجميل والتشكيل الجليل في بلاد الهند وبهوپال المحمية، ومصر القاهرة، وقسطنطينية إلى الحرمين الشريفين ـ زاد الله شرفهما ـ وإلى البلاد الحجازية كلّها من أبي عريش،

---

(١) أي بالعربي والفارسي.

وصنعاء اليمن، وزبيد، وبيت الفقيه، وحديدة، وعدن، ومراوعة، وبغداد، ومصر، والشام، والإسكندرية، وتونس، وبيروت، وإسلامبول، والقدس، والجزائر، وبلغار، وقازان وجميع بلاد الترك والفرس، كأصفهان، وطهران، وإيران وغير ذلك، وأخذها الملوك والأمراء، والرؤساء، والوزراء، والعلماء الموجودون الآن في حدود تلك البلدان على أيدي العظمة والإجلال، والقبول والإقبال، وعرفها كلّ إنسان، ووردت بذلك كتب ومهارق جمة من فضلاء الأعصار والأمصار، حتى اجتمع شيء واسع من ذلك عندي، وجمع منها العلامة سليم فارس أفندي بن أحمد فارس، صاحب الجاسوس ـ مدير **«الجوائب»** ـ كتاباً لطيفاً يختصّ بالتقاريظ، وسمّاه **«قرّة الأعيان ومسرة الأذهان»** ونشرها في البلاد ووزعها على العلماء الأمجاد، وترجم له بعض العلماء المرحومين، وسمّاه **«قطر الصيّب في ترجمة الإمام أبي الطيّب»**.

وورد في تاريخنا هذا، وهو غرة ربيع الآخر من شهور سنة ١٢٩٨، كتاب من مدير الجوائب، يطلب منا تلك **«الخطوط»** للطبع على هيئة الكتاب، وكل ذلك نعمة جليلة من الله الكريم الوهاب، وسعادة ضخيمة قلّ من يظفر بها من أهل العلم وأصحاب الألباب **«وأمّا بنعمة ربّك فحدث»**. وإن كنت أنا عند نفسي أحقر من كلّ حقير، وأحوج إلى عفو ربّه وصونه وعوضه من كل فقير، ولست بأهل لبعض ذلك فضلاً عن كلّه، ولكن النِّعم الربّانية تلحق السّافل بالعالي، وتلصق الخالي بالمالي، ويحي العظم، وإني مع انجماعي عن الناس، وعدم المبالاة بسفهائهم والأكياس، تعتريني عداوة الحُسّاد، وتعترضني بغضاؤهم من غير وجه يُراد، وأنا في غفلة وذهول وجهل عن ما هنالك، ولكنّ الله سبحانه يحفظني في كل حين وأوان من سوء إيرادات هؤلاء، ويصونني بمحض رحمته وعفوه عن جملة الابتلاء والمحن، إذا لم تؤثر فهي من الله إحسان، وأيّ إحسان لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك يا رحيم يا رحمٰن، اللهم إنّ أعدائي بلغوا من عداوتهم لي غاية، وإن حسّادي بالغوا في أذاي إلى نهاية، وإنّي لا أقدر على دفعهم عنّي، ولا أهتدي إلى الصّون منهم سبيلاً، وأنت تعلم عجزي وضعفي، فكنت أنت الرقيب عليهم، فعوّضني رغماً لأنوفهم جميلاً، واحفظني عن شرورهم بما

تحفظ به عبادك الصالحين، واجعل لي لسان صدق في الآخرين، ولا تَكِلْني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلّه يا أرحم الراحمين، فإني برحمتك أستغيث ـ يا حيّ يا قيّوم ـ، وليس لي ملاذ، ولا منجأ، ولا مفزع، ولا مهرب، ولا مأوى غيرك عند أحد، كان في هند أو في روم.

هذا، وأني قد استسعدت بمدارك علوم الحديث والقرآن، واختصصت بخدمتها الشريفة من بين الأقران والأعيان، واجتهدت رأيي في العمل بالدليل و «**تركت التقليد**» في جانب، لما أنّه مجرّد قال وقيل، وأخرجت كتب الرأي والفروع من بيتي، وشحنت عوضها داري بالكتب من دواوين السنّة وشروحها وحواشيها، وكتب الأصول، والتفسير، والأدب، والسلوك، والتاريخ، وما إليها ممّا يعينني على تلك المقاصد الحسنة.

وقد صرت ـ بحمد الله تعالى ـ بقلبي منجمعاً عن بني الدنيا وأهلها وفقهائها، وأحببت بصميم جناني وقوّة إيماني العزلة والاستغناء عن أمرائها ورؤسائها، ولم أقف قطّ على باب أمير ولا فقير لغرض من الأغراض، ولا لعرض من الأعراض، بل اشتغلت في جميع أوقاتي ـ مذ شعرت ـ بالعلم تصنيفاً وتأليفاً، وبكتبه تصحيحاً وتنقيحاً، مؤثراً للأدلة على الآراء، ومختاراً للحديث على الأهواء.

يا حبّذا علم الحديث، فإنّه	علم يؤيد محكم القرآن
علم به نطق النبيّ وخصه	بالفضل «**أحمد**» ناسخ الأديان
يشفي القلوب بنوره وبيانه	وبدرسه ويزيد في الإيمان
لا تعدلنّ إلى سواه فإنّه	كهف الهدى وسفينة الطوفان
وإذا تقابلت الخصوم فإنّه	سيف يفلق هامة الطغيان

وقد منّ الله سبحانه، وله عليّ المنّة بتيسير الكتب الحديثية السّلفية، ممّا لم يكن بحساب، حتى وصل إليّ في شهري هذا صفر من شهر سنة **١٢٩٨**، من مكة المكرمة ـ زاد شرفها ـ كتاب «**بلوغ المرام**» من أدلة الأحكام، عليه قراءة جمع جمّ من حفاظ الإسلام والعلماء الأعلام، منهم الشيخ العلاّمة يوسف بن شاهين قطلوبغا، سبط الحافظ ابن حجر، والشيخ الحافظ عبد الباسط كاتبه

وغيرهما، وقد كتب على هامش الجزء الثاني منه ما لفظه: نقلته من خط الحافظ ابن حجر رضي الله عنه، وهؤلاء الجماعة قد قرأوه على شيخ الإسلام زكريّا الأنصاري، تلميذ المؤلف، رضي الله عنهم أجمعين.

وكذلك وصل معه كتاب **«تعجيل المنفعة»** برجال الأربعة، يعني الموطأ، ومسند الإمام الشافعي، ومسند الإمام أحمد، والمسند الذي خرّجه الحسين بن محمد بن خسرو من حديث الإمام أبي حنيفة، رحمهم الله تعالى. وقد قوبل على نسخة كانت بقلم الحافظ السّخاوي تلميذ المؤلّف، والسّخاوي قرأه على شيخه الحافظ ابن حجر، فللّه الحمد على ذلك.

وكلّ حين يُمِدُّني ربّي سبحانه وتعالى بأمثال هذا الإمداد، ويسوق إليّ بكرمه ومنّه ما لا يأتي عليه الحصر والتعداد من صنوف النّعم والتفضل والجود، رحمة منه واسعة على عبده وابن أمّته مرغماً للحسود، ويحفظني من الأعداء ومكاره الزمان، ويشملني بأنواع من الصون والإحسان، فإنّهم عدوٌّ لي، إلّا رب العالمين، وهو حسبي وكفى من شرورهم في الدّنيا والدين.

هذا، ولمّا أمطيت مطيّة الهمم، ووجهت وجه عزمي إلى قبلة الأمم، ورعيت بالأحداق حدائق تلك المسارح، وقد سألت بأعناق المطايا الأباطح، لم أزل أدأبُ في التيّار إلى أن نفضت عن مناكب المحن غبار الأسفار، فنزلت بجوار بيت الله الحرام، وتطيبت بمسك تراب الحطيم والمقام، وأنا **«أبو الطيب»** المستهام، وقلت:

بمكة لي غناء ليس يفنى ... جوار اللّه والبيت المعظم
ففيها كيمياء سعادة، قد ... ظفرت بها من الحجر المكرم

فلمّا أفضت من تلك المناسك بتلك البقاع، طفت بهابل بالمسرة طواف الوداع، وخرجت من أحب البلاد، واللّه لا يدعو إلى داره إلّا من استخلصه من العباد.

وما درى البيت أنّي بعد فرقته ... ما سرت من حرم، إلاّ إلى حرم

قاصداً مسجد طيبة المطيبة، وارداً موارد آمالي المستعذبة، شعر:

وقد قيل في زُرْق العيون شآمة　　وعندي أنّ اليمن في عينها الزرقاء

إلى أن لمعت أنوار الهدى من سماء العلي وقباب الحمى.

لمهبط الوحي حقّا ترحل النجب　　وعند هذا المرجى ينتهي الطلب

فنزلت أعتنق الأراك مسلماً، وكذت ألثم أخفاف الرواحل إذ أوصلتني إلى أعذب المناهل.

فإذا المطي بنا بلغن محمداً　　فظهورهنّ على الرجال حرام
قربننا من خير من وطي الثرى　　فلها علينا حرمة وذمام
فحللت في أرفع مقام تفا　　خر فيها الرؤوس الأقدام

فنزهت عيون أملي في روضة ذات أنوار، وعملت وهي من رياض الجنة، أنّي لا أدخل بعدها النّار، وأنا الآن منتظر لألطاف ربّي، وهو في كلّ الأمور حسبي، أن يعدني لجواره، واجتلاء نور حبيبه ومختاره ـ به إليه متوسلا[1] ـ، وفي نيل رجائي متوكلًا.

ثمّ إنّي لم أمدح في عمري هذا أحداً من الأمراء طمعاً في صلته وملازمته كما هو عادة الشعراء، وإنّما نظمت الشعر العربي والفارسي، إذا طاب الوقت وطاب الهواء.

وأغلب نظيمي في التحريض على اتباع «**الكتاب والسنة**» لأنهما يكشفان عن كلّ مدلهمّة ودجنة، وفي «**ذم التقليد**» المشؤوم، و «**الابتداع**» المذموم.

حسبي بسنّة «**أحمد**» متمسّكاً　　عن كلّ قول في الجدال ملفق
أورد أدلتها على أهل الهوى　　إن شئت أن تلهو بلحية أحمق

---

(١) يرى صديق حسن خان أنّه يجوز التوسل بالرسول ﷺ، ويعتبر ذلك من العمل الصالح، والصحيح الذي عليه السّلف أن هذا لا يجوز، وهذا لا يعني التنقيص من مكانة الرسول ﷺ، بل التوسل الذي ورد به الدليل هو التوسل بالعمل الصالح، والدعاء، وبأسماء الله وصفاته، أمّا التوسل بذاته الشريفة ﷺ لم يرد به الدليل.

واتـرك مـقـالاً حـادثـاً مـتـجـدّداً   من مـحـدث مـتـشـدّق مـتـفـيـهـق
ودع الـلـطـيـف ومـا بـه قـد لـفـقـوا   فهو الكثيف لدى الخبير المتقي
ودع الـمـلـقـب حـكـمـة فـكـلـيـهـمـا   أبداً إلى طريق الضلالة يرتقي
قد جاء عن خير البرية «**أحمد**»   أنّ الـبـلاء مـوكـل بـالـمـنـطـق
والـلّـه مـا كـان الـجـدال بـعـصـره   لا في ربى «**بدر**» ولا في «**خندق**»

وأنا راغب في مجالسة أهل العلم والأدب، ومذاكرتهم وملاقاتهم، ومن بآدابهم تأدب وتدرب. وابتليت بقدر اللّه وقضائه، بفصل الخصومات وسماع المنازعات، وإصدار الأحكامات، وإيراد المثالات من غير اقتراح منّي ولا اختيار، ولا بدّ واقع ما قضى الرحمٰن من الأقضية والأقدار، ومع ذلك لم أدع جهدي الاشتغال بالعلم، وإن كان اشتغالي الآن بالنسبة إلى ما كان لي لا شيء. وكان ابتلائي هذا بذاك وأنا بين الثلاثين والأربعين من العمر المستعار، ووجدت علماء عصرنا هذا من أهل الهند اتخذوا علوم الفلسفة وفنون اليونان، وهم معرضون عن الاشتغال بالحديث والقرآن. ورأيت من بينهم أقرب إلى الدين واتباع سنّة سيد المرسلين، قوماً ينتسبون إلى إرادة «**السّيد أحمد البريلوي**» من مريدي الشيخ العلاّمة عبد العزيز المحدث الدهلوي، فإنهم على هدى مستقيم وطريق قويم، وهدى الله بهم طوائف كثيرة، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، ولكن الآن أكثرهم درجوا في خبر كان، وذهب ما كان بهم من العمل والعلم والكمال، وعاد إلى بقيتهم النقصان، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وهو المستعان في كل آن.

وكذلك آل حال الزمان، في مدائن أخرى من البلاد الإسلامية، التي كانت ديار العلم وبقاعها، فإن قصارى هِمَم علمائها «**الجمود على التقليد**» والاشتغال بعلوم الأوائل من أهل يونان، وفلسفتهم المبنية على خطوات الشيطان، وعدم الالتفات إلى علوم «**الحديث والقرآن**» مع تعصب كثير لأحبارهم والرهبان، وردّ وتعقب وجرح وقدح على الأكابر والأعيان. ومكابرة وتعسف وحسد وبغض وحقد مع أهل الحق والإيقان، وأصحاب الإيمان والإحسان، وهذا لا شك من أشراط السّاعة الكبرى.

وكذلك صار حال أهل الدّول الإسلامية وأولي الأمر وولاة العصر في هذا الزمان، فإنّهم كلّهم ـ إلّا ما شاء الله تعالى ـ سفهاء، وحمقاء العقول، لا عقل لهم ولا دين ولا فكرة في أمر دنياهم، ولا عبرة في الآخرة. لا يفقهون حديثاً، ولا يفهمون شيئاً، ولا يهتدون سبيلا، حتى صاروا لكع بن لكع، وعادوا لا يعرفون الوتر من الشفع، والجهل أحب إليهم من العلم بكثير، وهم عن أهل العلم على مدّ بعيد ومسير كبير. ومع ذلك يرون أنفسهم أعقل أهل زمانهم، وينظرون إلى كلّ أحد بعين الازدراء، وفي ذلك عبرة للمعتبرين، وعظة بليغة لأهل الدين، وإنّما العاقبة للمتقين.

والذي غمني أنّي ظهرت في زمان خلا عن وجود العلم والعلماء. وبرزت في أناس هم الأوغاد السّفهاء، وولدت في عصر طغى فيه أهل البدع على أهل الاتباع، وخفي فيه أصحاب الفضائل والكمال، ومن كان منهم نادراً فله الصداع، وجئت في دهر غلب على أهله حب المال على الكمال، وفاق شرّه على خيره بلا احتيال، وطمس فيه أعلام الدّول الإسلامية، وظهر فيه رايات الفرق الكفرية، وكل حين يزداد ذلك قوة ورفعة، ويندرس مع الإسلام أهله.

والله أعلم ماذا يكون في ما يستقبل من الزمان، وإلى ما يرجع مآل نوع الإنسان، فقد بَعُد عهد النبوّة، وظهرت الفتن، وعمّت المحن، وذهبت الفتوة والمنن، وأطلق أفراخ الفلسفة وأوساخ الدهرية ألسنتهم طعناً في الدين وهضماً للمسلمين، وفشى الكذب، وأشرب في قلوب الخلق حب العجل، ترى النّاس زيهم زي الأحِبّاء، وهم ببواطنهم أعدى الأعداء، ميلهم في تكثير المآكل والمشارب، والملابس، والمراكب، والمساكن، والمنتزهات، وتحسينها فوق ميلهم إلى تحصيل العلم وكسب الفضائل والكمالات، إلى أن رفضوا ما كان عليه سلفهم وأئمة خلفهم، من العض بالنواجذ على الدين، والاعتصام بمشاعر الإسلام، وشعائر الإيمان، وتكميل منازل الإحسان، وهداية الجيران، وإصلاح ذات بين الإخوان، بإيثار أوامر الملّة ونواهيها، وإحكام أحكام النّحلة وغاياتها ومباديها، والاهتمام في محو آثار الظلام، المؤدية إلى ذلة وقلّة وعلّة.

وقد استعبد ولاة الزمان هؤلاء كلّهم، حتى صاروا كالأرقّاء لهم والمملوكين، لا يقدرون على شيء من مخالفتهم وخلافهم، في أيّ أمر من أمور الدنيا والدين.

وقد أظلّ زمان لم يبق فيه لمؤمن بالغيب وباليوم الآخر، مقرّ يقرّ فيه، ومفرّ يفرّ إليه، ومأمن يأمن فيه، ومعول يعول عليه[1].

حتى مكة والمدينة: فإنّ فيهما من المحن لمن يعمل بالأدلة، ولا يقول بتقليد الضالة المضلة، ما لا يقادر قدره، بل هي فيهما زيادة على غيرهما من البلاد الهندية، فإنهما مع كونهما بأيدي البريطانية، آمنة مطمئنة لقوم مسلمين. ولقد سمعت أنّ الحال هكذا في سائر بلاد المغرب من ممالك الشام والروم وسائر أقطار الأريسيين، فإنّ المتبع للسّنن والعامل بالدليل، والمتمسك بالحديث، والمعتصم بالكتاب، والتارك للتقليد، لا يستطيع أن يقيم أو يقوم بين أظهرهم، ويقوى وينطق ويفصح بما يجب عليه من أمرهم ونهيهم.

ولا بدّ للهجرة من دار إلى دار من الأمان، والأمن قد ارتفع في هذا الزمان من كل مكان، وقد بلغني عن بعض الرواة الثقات، أنّ بعض من بمكة من الفقهاء الهندية يفتي بقتل العَمَلَة بالأدلة والفَعَلة للسّنة، ويقول: يقتلوا هؤلاء سياسة، وهذا من الجهل والظلم والضلالة بمكان لا يخفى، ولا ينطق به لسان أحد ممن له أدنى حظّ من علم، فضلًا عمن يعرف الشرع ويتلبس به، وإنّما يقول به وبمثله ونحوه من أعمى الله بصر بصيرته، وذهب بنور الإسلام من قلبه وقالبه برُمّته.

ويا للّه العجب، يقتل رجل، يقول: ربّي الله، ونبييّ محمد، وديني الإسلام، وهدر دمه المعصوم، ولا يسفك دم من يقلّد الآراء، ويتبع الأهواء، ويحدث المحدثات ويجتهد في البدعات، ويجدد المهلكات، ويحب الدنيا، يؤثرها على الآخرة، ويدع الدين ويذر سنّة سيد المرسلين، ويحطّ على أهل الكتاب والسنّة، ويحمي حمى الضلالة والبدعة، ويحرّض

---

(١) سبحانه ما أشبه اليوم بالأمس والله المستعان.

الحكام على أذى المتبعين، ويكذب عندهم بما يسوّل له الشّياطين، فإلى الله المشتكى. . . ثم إلى الله المشتكى.

وعلى الجملة، فزماننا الحاضر، زمان شرّ، وشر زمان، ومكاننا الموجود، أضرّ مكان وأسوى ديار الإمكان، فأين المفرّ، وقد علم الله سبحانه وتعالى ما صارت إليه الحال، وآل إليه المآل، شعر:

والعفو يرجى من بني آدم   فكيف لا يرجى من الرب
فإنه أرأف بي منهم   حسبي به حسبي به حسبي

وإنّي الآن أسأل الله العظيم الذي لا إله إلّا هو رب العرش العظيم، أن يحسن ختامي، وينيلني من خيري الدنيا والآخرة مرامي، ويسددني في الأقوال والأفعال والأحوال كلّها، ويحفظني عن الشرور وأهلها دقّها وجلّها، وينزع حبّ الدنيا وأبنائها من قلبي وفؤادي وجناني، ويخرجه من صمصم خلدي، وقعر صدري، وعقدة لساني، حتى أنظر إلى الحقيقة، وأفوز بمعارف العرفاء بنيل دقائق الطريقة:

أنا راض بما قضى   واقف تحت حكمه
سائل أن أفوز بالـ   ـخير من حسن ختمه

ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ، وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين، وأسألك اللّهم العفو والعافية في الدنيا والدين. وأقول: اللّهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا، واغفر لنا، وارحمنا، أنت مولانا، فانصرنا على القوم الكافرين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على عبده ورسوله محمد خاتم النبيين وشفيع المذنبين، وآله وصحبه الأكرمين، ما ذرّ شارق ولمع بارق[١] اهـ.

---

(١) التاج المكّلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأوّل (آخر ترجمة لصديق حسن خان).

مؤلفاته:

- أبجد العلوم[1].
- إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدّثين[2].
- الاحتواء على مسألة الاستواء[3].
- الإدراك لتخريج أحاديث الإشراك[4].
- الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي السّاعة[5].
- أربعون حديثاً في فضائل الحج والعمرة[6].
- إفادة الشيوخ بمقدار النّاسخ والمنسوخ[7].
- الإكسير في أصول التفسير[8].
- إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة[9].
- الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح[10].

حرف الباء الموحّدة:

- بغية الرائد في شرح العقائد[11].

---

(١) طبع ببهوبال.
(٢) غير مطبوع.
(٣) باللغة الفارسية (غير مطبوع).
(٤) غير مطبوع.
(٥) طبع ببهوبال والجوائب سنة **١٢٩٣** هجرية.
(٦) طبع ببهوبال.
(٧) غير مطبوع.
(٨) غير مطبوع.
(٩) مطبوع ببهوبال سنة **١٢٩٤** هجرية.
(١٠) هو هذا الكتاب الذي بين يديك.
(١١) غير مطبوع.

- البلغة في أصول اللّغة[1].
- بلوغ السّول في أقضية الرسول[2].

حرف التاء الفوقية:

- تخريج الوصايا من خبايا الزوايا[3].
- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول[4].
- تميمة الصّبي من ترجمة الأربعين من أحاديث النبيّ[5].
- تكحيل العيون بتقاريف العلوم والفنون[6].

حرف الثاء المثلثة:

- ثمار التنكيت في شرح أبيات التثبيت[7].

حرف الجيم:

- الجنة في الأسوة الحسنة بالسّنة[8].

حرف الحاء المهملة:

- حجج الكرامة في آثار القيامة[9].
- الحرز المكنون من لفظ المعصوم المأمون[10].

---

(١) طبع ببهوبال سنة ١٢٩٤ هجرية، وبالجوائب بالأستانة سنة ١٢٩٦ هجرية، وبدار البشائر ببيروت سنة ١٩٨٨ م.
(٢) غير مطبوع.
(٣) مطبوع مرات عديدة.
(٤) المطبعة الهندية بمباي سنة ١٣٨٣ هجرية.
(٥) غير مطبوع.
(٦) غير مطبوع.
(٧) غير مطبوع.
(٨) بهوبال سنة ١٢٩٠ هجرية.
(٩) غير مطبوع.
(١٠) طبع ببهوبال بالهند، وبالجوائب سنة ١٢٩٦ هجرية، ومصر سنة ١٣٣٨ هجرية.

- حصول المأمول من علم الأصول[1].
- الحطة بذكر الصحاح السّتة[2].
- حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة[3].
- حضرات التجلّي من نفحات التحلّي والتخلّي[4].

حرف الخاء المعجمة:

- خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان[5].
- خلاصة الكشاف[6].

حرف الدال المهملة:

- دليل الطالب على أرجح المطالب[7].
- الدين الخالص[8].

حرف الذّال المعجمة:

- ذخر المحتي من آداب المفتي[9].

حرف الراء المهملة:

- رحلة الصديق إلى البيت العتيق[10].

---

(١) طبع في مصر.
(٢) طبع بكانبور سنة ١٢٨٣ هجرية، وبيروت سنة ١٩٨٨ م.
(٣) طبع بالجوائب سنة (١٣٠١ هـ)، وبـ «عمّان» دار الفرقان سنة ١٤٠٩ هجرية.
(٤) طبع ببهوبال سنة١٢٩٨ هجرية.
(٥) طبع بالجوائب سنة ١٢٩٦ هجرية.
(٦) مفقود.
(٧) طبع ببهوبال سنة ١٢٩٤ هجرية.
(٨) مطبعة مدني، مصر سنة ١٣٧٩ هجرية.
(٩) طبع ببهوبال سنة ١٢٩٤ هجرية.
(١٠) طبع بلكنهو سنة ١٢٨٩ هجرية.

- الروضة الندية في شرح الدرر البهية[1].

- رياض الجنّة في تراجم أهل السنّة[2].

- ربيع الأدب[3].

- الروض البسّام[4].

- الرحمة المهداة إلى من يريد زيادة العلم على أحاديث المشكاة[5].

حرف الزاي. . .

حرف السين:

- السحاب المركوم في بيان أنواع وأسماء العلوم، وهو القسم الثاني من كتاب أبجد العلوم.

- سلسلة العسجد في ذكر مسائخ السند[6].

- السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجّاج[7].

حرف الشين:

- شمع انجمن في ذكر شعراء الفرس وأشعارهم[8].

---

(١) طبع عدة مرات.
(٢) مفقود.
(٣) غير مطبوع.
(٤) مفقود.
(٥) طبع بدلهي.
(٦) غير مطبوع.
(٧) طبع ببهوبال سنة ١٣٠٢ هجرية.
(٨) بالفارسية (غير مطبوع).

حرف الصاد. . .

حرف الضاد المعجمة:

- ضالة الناشد الكئيب في شرح المنظوم المسمّى بتأنيس الغريب[1].

حرف الطاء المهملة:

- طلب الأدب من أدب الطلب[2].

حرف الظاء المعجمة:

- ظفر اللآضي بما يجب في القضاء على القاضي[3].

حرف العين المهملة:

- العبرة ممّا جاء في الغزو والشهادة والهجرة[4].
- عون الباري بحلّ أدلّة البخاري (أربع مجلدات)[5].
- العلم الخفّاق من علم الاشتقاق[6].

حرف الغين المعجمة:

- غصن البان المورق بمحسنات البيان[7].
- غنية القاري في ترجمة ثلاثية البخاري[8].

---

(١) غير مطبوع.
(٢) طبع مرات عديدة.
(٣) طبع ببهوبال سنة ١٢٩٤ هجرية.
(٤) طبع ببهوبال سنة ١٢٩٤ هجرية.
(٥) طبع ببولاق سنة ١٢٩٧ هجرية، وبدار الرّشد بحلب سنة ١٩٨٤ هجرية.
(٦) طبع عدّة مرات.
(٧) طبع ببهوبال سنة (١٢٩٤ هجرية).
(٨) غير مطبوع.

- الغنّة ببشارة أهل الجنّة[١].

حرف الفاء:

- فتح البيان في مقاصد القرآن[٢].
- فتح المغيث بفقه الحديث[٣].
- الفرع النامي من الأصل السّامي[٤].

حرف القاف:

- قصد السبيل إلى ذم الكلام والتأويل[٥].
- قضاء الأرب من مسألة النّسب[٦].
- قطف الثمر من عقائد أهل الأثر[٧].

حرف الكاف:

- كشف الالتباس عمّا وسوس به الخناس في مردّ الشيعة (بالهندية)[٨].
- الكلمة العنبرية في مدح خير البرية[٩].

حرف اللّام:

- لفّ القماط على تصحيح بعض ما استعمله العامّة من المولَّد والمعرّب

(١) طبع ببولاق سنة (١٣٠٢ هجرية).
(٢) طبع ببهوبال في أربع مجلدات وبالقاهرة في عشرة مجلدات سنة ١٣٠٢ هجرية، وبالمكتبة العصرية لبنان في خمسة عشر مجلد.
(٣) غير مطبوع.
(٤) غير مطبوع.
(٥) طبع ببهوبال سنة ١٢٩٠ هجرية، وقد أعادت دار ابن حزم طباعته بتحقيقي.
(٦) طبع بكانبور سنة ١٢٨٣ هجرية.
(٧) طبع بكانبور ثم أعيد طبعه سنة ١٤٠٤ هجرية بدار عالم الكتب (بيروت).
(٨) غير مطبوع.
(٩) غير مطبوع.

من الأغلاط[١].

- لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان[٢].

حرف الميم:

- مثير ساكن الغرام إلى روضات السّلام[٣].
- الموائد العوائد من عيون الأخبار والفوائد[٤].
- مسك الختام شرح بلوغ المرام[٥].
- ملاك السعادة[٦].
- منهج الوصول إلى اصطلاح أحاديث الرسول ﷺ[٧].
- مراتع الغزلان من تذكار أدباء الزمان[٨].
- الموعظة الحسنة بما يخطب به في شهور السّنة[٩].

حرف النون:

- نشوة السّكران من صهباء تذكار الغزلان[١٠].

---

(١) طبع ببهوبال سنة ١٢٩١ هجرية.
(٢) طبع بالجوائب سنة ١٢٩٦ هجرية.
(٣) طبع بكانبور سنة ١٢٨٩ هجرية.
(٤) طبع ببهوبال سنة ١٢٩٨ هجرية.
(٥) غير مطبوع.
(٦) غير مطبوع.
(٧) غير مطبوع.
(٨) مطبوع بدار ابن حزم.
(٩) طبع مرات عديدة.
(١٠) طبع مرات عديدة آخرها في دار ابن حزم بيروت سنة ١٤١٩ هجرية.

- نيل المرام من تفسير آيات الأحكام[1].
- النذير العريان من دركات الميزان[2].

حرف الواو:

- الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم المنثور منها والمنظوم، وهو القسم الأوّل من كتاب أبجد العلوم.

حرف الهاء:

- هداية السّائل إلى أدلّة المسائل[3].

حرف الياء:

- يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وإلهاب النار[4].

❀ ❀ ❀

---

(١) طبع مرات عديدة.
(٢) غير مطبوع.
(٣) غير مطبوع.
(٤) طبع ببهوبال سنة **١٢٩٤** هجرية.

ترجمة
الماتن ـ صاحب متن الاعتقاد الصحيح ـ
الشاه وليّ الله بن عبد الرحيم الدهلوي[1]

هو الإمام العالم المحدّث ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي ولد وقت طلوع الشمس يوم الأربعاء رابع شوال سنة ١١١٤[2] هجرية الموافق لـ **٢١** فبراير **١٧٠٣** م بقرية «**بهلت**» بمديرية «**مظفر نكر**» بإقليم «**اتربراديش**» القريبة من «**دلهي**» عاصمة الهند.

أخذ العلوم عن والده الشيخ عبد الرحيم وقرأ عليه الرسائل المختصرة بالفارسية والعربية، ثم قرأ «**شرح الكافية**» ـ وهو كتاب في النحو للجامي ـ وهو ابن عشر سنين، وقرأ تفسير البيضاوي، ومشكاة المصابيح، وطرفاً من صحيح البخاري، والشمائل للترمذي، وطرفاً من المدارك. وقرأ في الفقه «**شرح الوقاية**» و «**الهداية**» وقرأ رسائل في المنطق، والطب والمعاني وغيرها، وكلّها قرأها على والده الشيخ عبد الرحيم، وكان شغوفاً محبّاً لعلم الحديث، فقد كان يختلف في زمانه إلى الشيخ محمد أفضل السيالكوتي فانتفع به ولكن لم يرو غليله منه مما دفع به إلى الرحلة إلى بلاد الحجاز كما سوف يأتي بعد قليل.

---

(١) انظر مصادر هذه الترجمة في الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٢/٩٥٨، ٨٦٧) وأبجد العلوم (٣/٢٤١، ٢٤٤) ورسالة «المجدد الشاه ولي الله الدهلوي» للأستاذ محمد بشير السيالكوتي. ط دار ابن حزم.

(٢) وفي أبجد العلوم لصديق حسن خان أنّه ولد عام ١١١٠ هجرية.

تخرج صاحب الترجمة على والده في الخامسة عشر من عمره، وفي السابعة عشر من عمره توفّي والده، فتولّى التدريس والإرشاد بمدرسة الرحيمية، ففتح الله عليه، ووفد عليه الطلاب من كلّ حدب وصوب، وقضى نحواً من اثنتي عشرة سنة في التدريس.

وفي سنة **١١٤٣** هجرية رحل وليّ الله إلى الحرمين الشريفين مع خاله الشيخ عبيد الله البارهوي وابن خاله محمد عاشق وغيرهما من أصحابه، فأقام بالحرمين عامين كاملين، وصحب علماء الحرمين صحبة شريفة، وتتلمذ على الشيخ أبي طاهر محمد بن إبراهيم الكردي المدني في المدينة المنوّرة، فتلقى منه جميع «**صحيح البخاري**» ما بين قراءة وسماع، وشيئاً من «**صحيح مسلم**» و «**جامع الترمذي**» و «**سنن أبي داود**» و «**سنن ابن ماجة**» و «**موطأ الإمام مالك**» و «**مسند الإمام أحمد**» و«**الرسالة للشافعي**» و «**الجامع الكبير**»، وسمع «**مسند الحافظ الدّارمي**» من أوّله إلى آخره في عشرة مجالس كلها بالمسجد النبوي، وأجازه الشيخ أبو طاهر إجازة عامّة بما تجوز له وعنه روايته من مقروء ومسموع، وأصول وفروع، وحديث وقديم، ومحفوظ ورقيم، وذلك في سنة **١١٤٤** هـ، ثم ورد بمكة المباركة وأخذ موطأ مالك عن الشيخ وفد الله المالكين المكيّ، وحضر دروس الشيخ تاج الدين القلعي المكي أيّاماً حين كان يدرّس صحيح البخاري، وسمع عليه أطراف الكتب الستة، وموطأ مالك، ومسند الدارمي، و «**كتاب الآثار**» لمحمد، وأخذ الإجازة عنه لسائر الكتب وأخذ عنه الحديث المسلسل بالأولية عن الشيخ إبراهيم بن الحسن المدني، وهو أوّل حديث سمع منه بعد عوده من المدينة (حماها الله). وعاد إلى الهند سنة **١١٤٥** هجرية.

«ومن أعظم الفوائد التي أدركها وأطيب الثمرات التي جناها خلال إقامته بالحرمين الشريفين اطلاعه على مؤلفات شيخ الإسلام المجدد الإمام أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحرّاني الذي هو ترجمان القرآن، وفارس العلوم النقلية والعقلية، ومحيي السنّة، وقامع المنكرات والإلحاد، ورائد المصلحين، وقائد المجدّدين. فأعجب بسعة اطلاعه

واستقامة سيرته وحسن بيانه في نصرة عقيدة السّلف والسنّة وجهاده، وقوة حجته في إنكار البدع والإلحاد، واستفاد من آثاره وآثار تلميذه الإمام الباحث المحقق الزاهد محمد ابن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدّمشقي المعروف بابن قيّم الجوزية رحمهما الله وتغمدهما برحمته، كما لا يخفى على من تتبع سيرته وتفحص أخباره وتصفح كتبه ورسائله»[1].

وقد أنعم الله عليه بعلوم كثيرة منها:

«الفصاحة في اللغة العربية والربط الخاص بالفنون الأدبية في النظم والنثر، كأنّما الإعجاز أو السحر من رقة اللّفظ ومعناه، وصفاء المورد ومغناه.

ومنها علوم الفقه على المذاهب الأربعة وأصحابهم والاطلاع على مآخذ المسائل ومنازع الحجج والدّلائل.

ومنها علم الحديث والأثر مع حفظ المتون وضبط الأسانيد والنظر في دواوين المجاميع والمسانيد، ولم يتفق لأحد قبله ممن كان يعتني بهذا العلم من أهل قطره ما اتفق له من رواية الأثر وإشاعته في الأكناف البعيدة.

ومنها علم تفسير القرآن وتأويل كتاب الله العزيز، فمن نظر في كتبه شهد بتوفر حظه منه.

ومنها أصول هذه العلوم ومبادئها التي هذّبها تهذيباً بليغاً وأكثر من التصرف فيها حتى يكاد يصح أن يقال: **«إنه باني أسّها، وباري قوسها»**[2].

إضافة إلى هذا كلّه فقد كان رحمه الله ذامّاً للتعصب المذهبي محارباً له، وممّا قال فيه: **«وترى العامّة سيما اليوم في كل قطر يتقيّدون بمذهب**

---

(١) الإمام المجدد الشاه ولي الله الدهلوي حياته ودعوته (ص ٣٠).

(٢) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٢/ ٨٥٩).

من مذاهب المتقدّمين يرون خروج الإنسان من مذهب من قلّده ولو في مسألة كالخروج من الملّة كأنه نبيّ بعث إليه، وافترضت طاعته عليه، وكان أوائل المائة الرابعة غير متقيدين بمذهب واحد»[١].

وقال أيضاً: «**من كان مقلداً لواحد من الأئمة وبلغه عن رسول الله ﷺ ما يخالف قوله في مسألة وغلب على ظنه أنّ ذلك نقل صحيح فليس له عذر في أن يترك حديثه عليه السّلام إلى قول غيره وما ذلك شأن المسلمين، ريخشى عليه النّفاق إن فعل ذلك»**[٢].

وقد كان رحمه الله داعياً للتوحيد محارباً للبدع والمنكرات التي حدثت في هذا الدين على يد بعض الجهلة ممّن يسمّون أنفسهم المتصوفة.

قال رحمه الله: ومنها أنّي أقول في نفسي: إنّ هؤلاء المتصوفة الضالة المضلّة في زماننا هذا، أشهد بالله عليهم أنهم فرقة نابتة في الإسلام ليست من أصل الإسلام. كما أنّ الزّارع يزرع الحبوب الغاذية النافعة ثم يسقيه الماء. فينبت من غزارة الماء وسهولة الأرض أنواع من الكلأ والعشب الذي لا يتمّ أمر الزّارع إلّا بقطعها وإتلافها، وكذلك الله زرع زرعاً وهو محمد ﷺ وحاملو علومه ثم سقاه بالقرآن والحكم. فأصاب ذلك الأرضَ، فنبت الزرع المطلوب، ونبت معه فرقة ضالة كانت ذات فهم وذكاء وميل إلى بعض ما يقتضيه نفوسهم من أمور هذا العالم، فلمّا أصابها ماء العلوم اغتذى أهوائهم به، فنبت في قلوبهم مذاهب ما هي مطلوبة عند الله وعند رسوله، وكظنّ استمدادها من الكتاب والسنّة وفطانة أصحابها وتمكنهم في القول والعمل أنها حقة»[٣].

وقال أيضاً: «**وأمّا الجهال من الصّوفية والمجاهدون للتصوف فأولئك**

---

(١) التفهيمات الإلٰهية (١/ ١٥١).
(٢) التفهيمات الإلٰهية (٢/ ١٣٤).
(٣) التفهيمات الإلٰهية (١/ ٢٠٥).

قطّاع الطرق ولصوص الدين، فإيّاك وإيّاهم، جعلنا الله سبحانه ممن يطيعه ويتبع رضوانه ولا يشرك به شيئاً فإنّما نحن به وله والسلام»[1].

توفيّ المحدث ولي الله الدهلوي يوم السبت التاسع والعشرين من المحرم سنة (**١١٧٦** هجرية الموافق لسنة (**١٧٦٣** ميلادية) عن عمر يناهز ٦٢ سنة ودفن في دلهي فعليه رحمة الله وجزاه الله عمّا قدّمه للإسلام خير الجزاء (آمين).

أمّا المصنفات التي تركها المحدث وليّ الله فهي كثيرة وكثيرة جدّاً[2] منها المطبوع والمخطوط والمفقود ومن أهمّ كتبه التي انتشرت في الآفاق كتاب: حجة الله البالغة، الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، التفهيمات الإلٰهية، وغيرها من الكتب.

❁ ❁ ❁

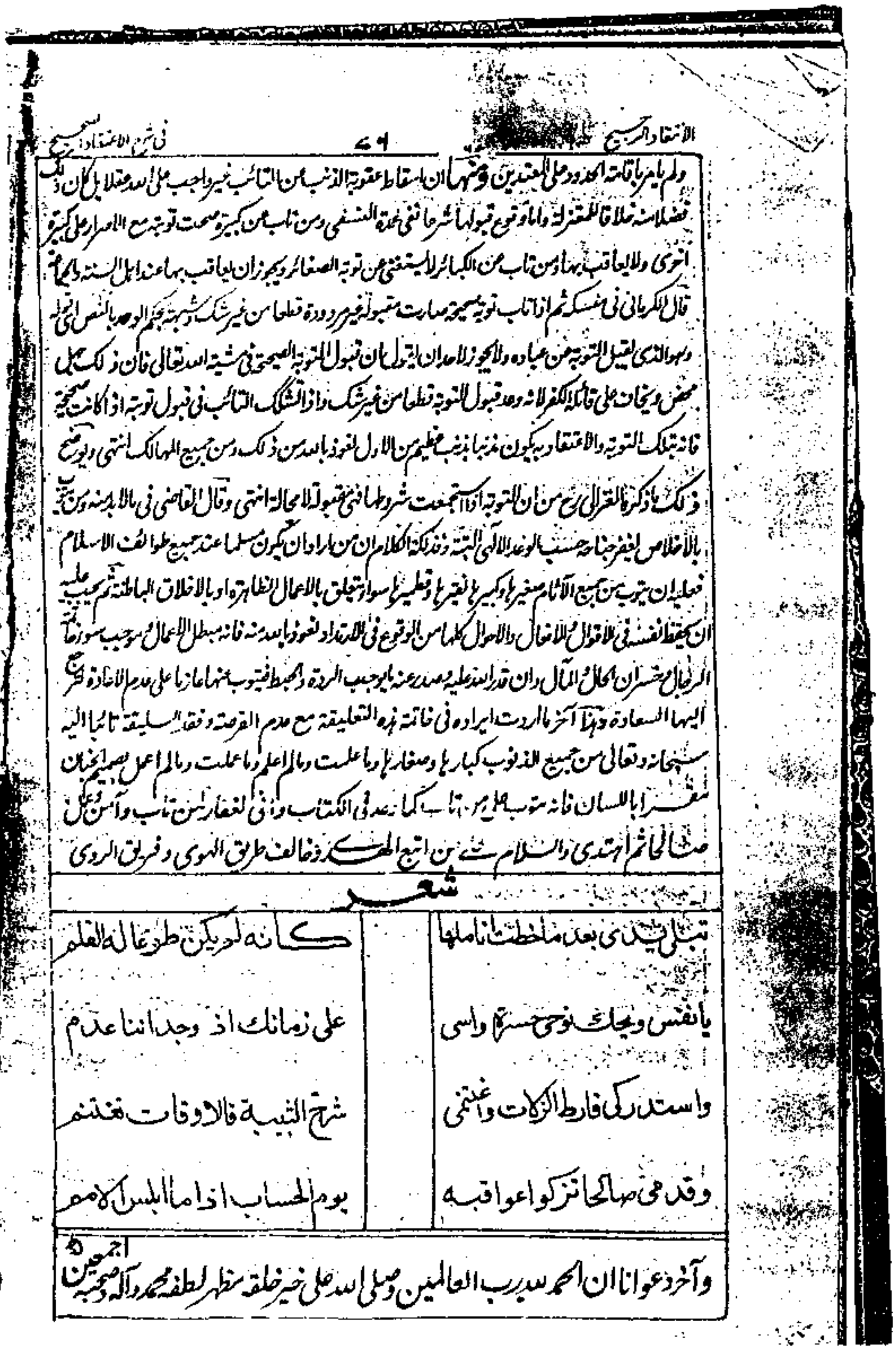
(١) التفهيمات الإلٰهية (٢/ ٢٠٢).

(٢) انظر تعداد هذه الكتب في الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٢/ ٨٦٢، ٨٦٤) ورسالة الإمام المجدّد المحدث الشاه ولي الله الدهلوي حياته ودعوته (ص ٣٩، ٤٥).


٣

وصلوة الملائكة الى دعاء قلت كلام العلماء في معنى الصلوة واسع منتشر واستيفاءه هنا عسر واختلف في حكم الصلوة عليه صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم على عشرة مذاهب والسلام في معناه اقوال قيل اسم من اسماء الله تعالى وقيل التسليم [illegible] واتى به لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما على سيدنا لقوله صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم ليقل سيدي ومولاي رواه مسلم عن ابي هريرة محمد علم للذات الشريفة [illegible] الوصفي كثير المحامد ولا مانع من [illegible] خاتم النبيين لقوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم ارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون رواه مسلم وآله اتى به لانه صلى الله عليه وآله وسلم اتى بذكرهم في حديث التعليم في بيان كيفية الصلوة فلا يتم الامتثال بالصلوة التي علمها صلى الله عليه وآله واصحابه وسلم امته الا بذكرهم [illegible] في المراد بهم على اقوال ذكرها الحافظ في الفتح والاصح انهم من حرمت عليهم الصدقة سيما ذريته صلى الله عليه وآله واصحابه وسلم واصحابه جمع صاحب وهو لفظ يضاف الى من له ادنى ملابسة باي شيء حتى بالجمادات نحو يا صاحبي السجن [illegible] ومات على الاسلام كما في النخبة اجمعين كلهم اما بعد قيل انها فصل الخطاب وهو الاصح واختلف [illegible] في الفتح وغيره في غيره فيقول الفقير يراد به في الشرع فقر المخلوق الى خالقه [illegible] الى الله وقال الله الغني وانتم الفقراء [illegible] الفقر من [illegible] تاريخي عظيم الدين ولد يوم الاربعاء الرابع من شوال سنة الف ومائة واربع عشر الهجرية المحدث ولي الله المذكور ترجمته في رسالته المسماة بالجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف وفي القول الجلي بذكر آثار الولي للشيخ محمد عاشق الملقب [illegible] البهلتي قال رضي الله عنه في التفهيمات ولما تمت بي دورة الحكمة البسني الله خلعة المجددية فعلمت علم الجمع بين المختلفات وعلمت ان الراي في الشريعة تحريف وفي القضاء تكرمة انتهى وتصانيفه نفيسة لم يعهد مثلها في الاعصر الخالية كحجة الله البالغة والمصفى شرح الموطا الى غير ذلك توفي سنة الف ومائة وست وسبعين الهجرية بن عبد الرحيم المتوفى سنة الف ومائة واحدى وثلاثين الهجرية العمري نسبا الحنفي مذهبا النقشبندي طريقة والسني اتباعا والدهلوي وطنا احسن الله تعالى اليهما في الدنيا والآخرة وحباهما بنعمه الوافرة الزاخرة اشهد الله تعالى وهو على كل شيء شهيد ومن حضرنا من الملائكة الحفظة الكاتبين وغيرهم من الجن والانس في وقت الاستشهاد وهذا التاكيد كاليمين على صدق دعواه والا فكفى بالله وحده شهيدا وهذا [illegible] في التفهيمات وغيرها فكثيرا ما يقول فيها اشهد بالله ونحوه قال الحافظ ابن القيم رح في اعلام الموقعين يجوز للمفتي والمناظر ان يحلف على ثبوت الحكم عنده وان لم يكن حلفه موجبا لثبوته عند السائل والمنازع ليشعر السائل والمنازع انه على ثقة ويقين مما قال له وانه غير شاك فيه انتهى ثم ساق الحافظ ادلة ذلك من الكتاب والسنة وغيرهما فليرجع اليها اني اعتقد من صميم قلبي اي جذر طبيعتي بقعر قريحتي اعتقادا بالغا حد الجزم والاذعان ان للعالم اي ما سوى الله تعالى من الموجودات مما يعلم به الصانع نعما كما اوجده من العدم ونظمه مرتبة على قانون [illegible]

صورة من النسخة الحجرية «أ»



الانتقاد الرجيح ٧٦ في شرح الاعتقاد الصحيح

ولم يأمر بإقامة الحدود على المعتدين ومنها أن إسقاط عقوبة الذنب عن التائب غير واجب على الله عقلا بل كان ذلك
فضلا منه خلافا للمعتزلة وأما وقوع قبولها شرعا ففي عمدة النسفي ومن تاب عن كبيرة صحت توبته مع الإصرار على كبيرة
أخرى ولا يعاقب بها ومن تاب عن الكبائر لا يستغني عن توبة الصغائر ويجوز أن يعاقب بها عند أهل السنة والجماعة
قال الكرماني في منسكه ثم إذا تاب توبة صحيحة صارت مقبولة غير مردودة قطعا من غير شك وشبهة بحكم الوعد بالنص أي قوله
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ولا يجوز لأحد أن يقول بأن قبول التوبة الصحيحة في مشيئة الله تعالى فإن ذلك جهل
محض ويخاف على قائله الكفر لأنه وعد قبول التوبة قطعا من غير شك وإذا شك التائب في قبول توبته إذا كانت صحيحة
فإنه بتلك التوبة والاعتقاد به يكون مذنبا بذنب عظيم من الأول نعوذ بالله من ذلك ومن جميع المهالك انتهى ويوضح
ذلك ما ذكره الغزالي رح من أن التوبة إذا اجتمعت شروطها فهي مقبولة لا محالة انتهى وقال القاضي في ما لا بد منه ومن تاب
بالإخلاص يغفر جناحه حسب الوعد الإلهي ألبتة وخلاصة الكلام أن من أراد أن يكون مسلما عند جميع طوائف الإسلام
فعليه أن يتوب من جميع الآثام صغيرها وكبيرها نقيرها وقطميرها سواء تعلق بالأعمال الظاهرة أو بالأخلاق الباطنة ثم يجب عليه
أن يحفظ نفسه في الأقوال والأفعال والأحوال كلها من الوقوع في الارتداد نعوذ بالله منه فإنه مبطل الأعمال وموجب سوء خاتمة
الرجال وخسران الحال والمآل وإن قدر الله عليه وصدر عنه ما يوجب الردة والحبط فيتوب عنها عازما على عدم الإعادة لتر
إليها السعادة وهذا آخر ما أردت إيراده في خاتمة هذه التعليقة مع عدم الفرصة وفقد السليقة تائبا إليه
سبحانه وتعالى من جميع الذنوب كبارها وصغارها ما علمت وما لم أعلم وما عملت وما لم أعمل بصميم الجنان
مقرا باللسان فإنه يتوب على من تاب كما وعد في الكتاب وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل
صالحا ثم اهتدى والسلام على من اتبع الهدى وخالف طريق الهوى وفريق الردى

شعر

تبلى يدي بعد ما خطت أناملها	كأنه لم يكن طرعاله العلم
يا نفس ويحك نوحي حسرة وأسى	على زمانك إذ وجداننا عدم
واستدركي فارط الزلات واغتنمي	شرخ الشبيبة فالأوقات تغتنم
وقدمي صالحا تزكو عواقبه	يوم الحساب إذا ما ابلس الامم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه مظهر لطفه محمد وآله وصحبه أجمعين

صورة الصفحة الأخيرة من النسخة الحجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

أنزّه الله وأقدّسه وأسبّحه، وأستنيله التوفيق وأستمنحه، حامداً له تعالى بأسمائه على جلائل آلائه، وبصفاته على دقائق نعمائه، وأَصِلُ ذلك الكلامَ بصِلاة[1] صلاة وأتم سلام على من أزال ظلمات الضلال المدلهمة، فإذا همّت أفواه الأباطيل لإطفاء نوره أبى الله إلّا أن يتمّه، ثم أُحيّي آله البررة وصحبه الخيرة بما يناسب رتبتهم السّامية من التحية الزاكية النامية. هذه تعليقة على رُسَيْلة الشيخ الأجلّ «**ولي الله المحدث الدهلوي**»[2] رضي الله عنه سميتها بـ «**الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح**» قاصداً إرشاد أهل الإيمان إلى العقائد التي صحّت بالسنة ونطق به[3] القرآن، واتفق عليه أولو التحقيق والإيقان، فما كان من صواب فمن اللّه وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريّان[4]، واللّهَ سبحانه أسأل أن يجعلها خالصاً لوجهه الكريم، كافياً لمؤلّفه ومستفيد به[5] بجنات النعيم، وأن يجعلها حجة له لا عليه، وأن ينفع به من انتهى إليه، إنّه خير مسؤول وأكرم مأمول. شعر:

(١) في النسخة (ب) بصلات.

(٢) انظر ترجمته في المقدمة.

(٣) في النسخة (ب) بها.

(٤) في النسخة (ب) بريآن.

(٥) في النسخة (ب) مؤلّفِها ومستفديها.

وما انتفاعي بكتب قد جمعت وما علمت وما أودعت في الحُكْم والحِكَم
لكنها قسم وافَتْ بها نعمٌ تجري بها حكم قد خُطّ بالقلم
وللعناية سرٌّ لا ينالُ ولا يرقى لغايته الراقُون بالهمم

وبالله التوفيق وبيده أزمة التحقيق.

قال رضي الله عنه: «**الحمد**» في القاموس[١] الشكر، والجزاء، والرضاء انتهى، ورجح ابن جرير[٢] اتحاد الحمد والشكر بدليل إيقاع جميع أهل المعرفة بلسان العرب كلاً منها مكان الآخر، وصوَّبه الشوكاني رحمه اللّه في تفسيره فتح القدير[٣]، ويؤيده قول ابن عباس رضي الله عنه: «الحمد كلمة الشكر»[٤] رواه ابن أبي حاتم. وفي الباب أحاديث.

«**للّه**»: علم للذّات اللواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، لم يطلق على غيره.

«**ربّ**» في الصّحاح: اسم من أسماء اللّه تعالى، ولا يقال في غيره إلاّ بالإضافة، وقد قالوا[٥] في الجاهلية للملك.

«**العٰلمين**» جمع العالَم بفتح اللام، وهو كلّ ما سوى الله تعالى، قاله قتادة، قال القرطبي: وهذا أصح الأقوال فيه[٦]، وعن ابن عباس رضي الله

---

(١) القاموس المحيط ص ٣٥٥ لكنه قدّم الرضى على الجزاء.
(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١/ ٩١).
(٣) فتح القدير للشوكاني (١/ ١٩، ٢٠). وقد ذهب ابن كثير إلى خلاف هذا القول حيث قال: الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللّازمة والمتعدّية، والشكر لا يكون إلّا على المتعدّية ويكون بالجنان واللسان والأركان ١٠ هـ.
(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره برقم (٨) (١/ ١٣) وابن جرير (١/ ٩٠) والسيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٠).
(٥) في النسخة (ب): قالوه.
(٦) الجامع لأحكام القرآن الكريم (١/ ٩٧) وقال: لأنه شامل لكل مخلوق موجود، دليله قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

تعالى عنه في قوله ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: «إلٰه الخلق كلّها السموات كلّهن ومن فيهن، والأرضون كلهن ومن فيهن ومن بينهن، مما يعلم ولا يعلم»، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم(١).

«والصّلوة» نقل الترمذي عن سفيان الثوري وغير واحد من العلماء قالوا: صلوٰة الربّ الرحمة، وصلوٰة الملٰئكة الدّعاء.

قلت: كلام العلماء في معنى الصّلاة واسع منتشر واستيفاءه هنا عسر، واختلف في حكم الصلوٰة عليه ﷺ وعلى آله وأصحابه وسلم على عشرة مذاهب(٢).

و **«السلام»** في معناه أقوال، قيل: اسم من أسماء الله تعالى، وقيل التسليم من النار، وأتى به لقوله تعالى: ﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾(٣).

«على سيدنا» لقوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم: «ليقل سيدي ومولاي»(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة **«محمد»** علم لذاته الشريفة ومعناه الوصفي كثير المحامد، ولا مانع من ملاحظته مع العلمية كما تقرر في موضعه.

«خاتم النبيين» لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾(٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم: «أرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون»(٦) رواه مسلم.

---

(١) أخرجه ابن جرير (١/ ٩٥) والسيوطي في الدر (١/ ٣٤) وابن أبي حاتم في التفسير برقم (١٤) (١/ ١٥).

(٢) راجع جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم لابن القيم.

(٣) [سورة الأحزاب: الآية ٥٦].

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٢٤٩).

(٥) [سورة الأحزاب: الآية ٤٠].

(٦) أخرجه مسلم برقم (٥٢٣).

«**وآله**» أتى به لأنّه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم أتى بذكرهم في حديث التعليم في بيان كيفيّة الصلٰوة، فلا يتم الامتثال بالصلوة التي علّمها صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم أمته إلاّ بذكرهم، واختلف في المراد بهم على أقوال ذكرها الحافظ في الفتح[1]، والأصح أنّهم من حرمت عليهم الصّدقة سيّما ذريته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم.

و «**أصحابه**» جمع صاحب، وهو لفظ يضاف إلى من له أدنى ملامسة بأي شيء حتى بالجمادات، نحو يا صاحب السجن، وصاحب النبيّ من لقيه مؤمناً به ومات على الإسلام كما في النّخبة[2].

«**أجمعين**» كلّهم.

«**أمّا بعد**» قيل: إنّها فصل الخطاب وهو الأصح، واختلف في أول من تكلّم بها على أقوال ذكرها الحافظ في الفتح وغيره في غيره.

«**فيقول الفقير**» يراد به في الشرع فقر المخلوق إلى خالقه، وهو المراد منها بقرنية قوله «**إلى رحمة الله الكريم**» قال الله تعالى: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾[3] وقال: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾[4] يراد به الفقر من المال كقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾[5].

«**أحمد**» واسمه التاريخي «**عظيم الدّين**». ولد يوم الأربعاء لأربع من شوال سنة ألف ومائة وأربع عشرة الهجرية.

---

(١) انظر فتح الباري (٣/ ٣٥٤) وانظر كذلك حادي الأرواح لابن القيم ص (١٠٤، ١٣٩).

(٢) وهذا هو التعريف الذي رجّحه كثير من العلماء.

(٣) [سورة فاطر: الآية ١٥].

(٤) [سورة محمد: الآية ٣٨].

(٥) [سورة التوبة: الآية ٦٠].

«**المدعو بوليّ اللّه**» المذكور ترجمته في رسالته المسماة بالجزء اللّطيف في ترجمة العبد الضّعيف، وفي القول الجلي بذكر آثار الولي للشيخ محمد عاشق[1] الملقّب بعلي بن عبد الله البارهوي البُلتهي.

قال رضي الله عنه في التفهيمات: ولمّا تمت بي دورة الحكمة ألْبَسَني الله خِلْعَة المجدِّدِيَّة فعلمت علم الجمع بين المختلفات، وعلمت أن الرأي في الشريعة تحريف وفي القضاء مكرمة. انتهى.

وله تصانيف نفيسة لم يعهد مثلها في الأزمن الخالية كحجة الله البالغة، والمصفّى شرح الموطى إلى غير ذلك، توفي سنة ألف ومائة وست وسبعين الهجرية.

«**بن عبد الرحيم**»[2] المتوفى سنة ألف ومائة وإحدى وثلثين الهجرية، العمري نسباً، والحنفي مذهباً، والنقشبندي طريقة، والسّني اتباعاً، والدّهلوي وطناً.

«**أحسن الله تعالى إليهما**» في الدنيا والآخرة، وحباهما بنعمه الوافرة الذاخرة.

«**أُشهد الله تعالى**» وهو على كل شيء شهيد «**ومن حضر من الملئكة**» الحفظة الكاتبين «**و**» غيرهم من «**الجن والإنس**» في وقت الاستشهاد، وهذا التأكيد كاليمين على صدق دعواه، وإلاّ فكفى بالله وحده شهيداً، وهذا دَأبه رحمه الله في التفهيمات وغيرها، فكثيراً ما يقول فيها: أشهد بالله ونحوه، قال الحافظ ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين[3]: يجوز

---

(١) هو الشيخ العالم الفقيه محمد عاشق بن عمر الحنفي الهندي، أخذ الحديث عن الشيخ عبد الله بن شمس الدين السلطانپوري، وله شرح لطيف على شمائل الترمذي، مات سنة ١٠٣٢ هجرية، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٢/ ٦٣٩).

(٢) انظر ترجمته في الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٢/ ٧٤٧).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٢٦).

للمفتي والمناظر أن يحلف على ثبوت الحكم عنده، وإن لم يكن حلفه موجباً لثبوته عند السّائل والمنازع، ليشعر السائل والمنازع[1] أنّه على ثقة ويقين مما قال له، وأنّه غير شاكّ فيه انتهى. ثم ساق الحافظ أدلّة ذلك من الكتاب والسنة وغيرهما فليرجع إليها.

«**أنّي أعتقد من صميم قلبي**» أي جذر طبيعتي وقعر قريحتي اعتقاداً بلغ حدّ الجزم والإذعان.

«**أنّ للعالم**» أي ما سوى الله تعالى من الموجودات مما يعلم به الصّانع «**صانعاً**» أَوْجَدَهُ من العدم، وحكيماً رتّبه على قانون أودع فيها فنوناً من الحكم، تكاد فطرة النفوس تشهد بكونه مقهوراً تحت تسخيره، ومُصَرّفاً بمقتضى تدبيره، فإنَّ عجائب الأرضين والسّمٰوات، وبدائع خلقة الحيوانات والنباتات، وسائر ما اشتملت عليه الآيات الآفاقية والأنفسية تلجىء من أدار نظره فيها إلى الحكم بأن هذه الأمور العجيبة والشؤون الغريبة، من تركيب الخلق، وآثار الصّنعة والتأليف، واختلاف الحواسّ، وقوام بعضها ببعض، وإدراك بعضها ما لم يدركه بعض، لا يستغنى كلّ منها عن مُحْدِث موجود بصفة القِدَم، وذلك المُوجِدُ الموجود هو الله سبحانه وتعالى كما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[2] وقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[3]، وقوله: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4] وعلى هذا دَرجت كلّ العقلاء إلّا من لا عبرة بمكابرته كالدّهرية[5] ومن تبعهم من السفهاء، وقد أجمع أهل الملل الدينية وسائر الفرق الإسلامية على أنّ الطريق إلى معرفة الله تعالى واضح، والآيات الدّالة على إثبات الصّانع وصفاته أكثر من أن تحصى، وقد ذكر صاحب «الوظايف على مذهب

---

(١) في المرجع السابق: والمنازع له.
(٢) [سورة الأعراف: الآية ٥٤].
(٣) [سورة الزمر: الآية ٦٢].
(٤) [سورة إبراهيم: الآية ١٠] عليه السلام.
(٥) هم الذين ينسبون الحوادث إلى الدّهر فقد قالوا: «وما يهلكنا إلّا الدّهر».

السلف»[1] أن في القرآن قدر خمسمائة آية تدل عليه، وذكر منها صاحب ترجيح أساليب القرآن نحو أربع وعشرين آية[2] تركناها اختصاراً.

فمن قال بقدم العالم فهو كافر بالله تعالى، وهذا المقدار كاف لأولي الأبصار، ولهذا أعرضنا عن المقدمات العقلية التي رتّبها النظّار، فإنّ الدلالات الشرعية الصادرة عن اللّطيف الخبير وعن نبيّه البشير النذير تُقْنِعُ وتسكن النّفوس، وتغرس في القلوب الاعتقادات الصحيحة.

قال الغزالي رحمه الله[3]: فإذن في فطرة الإنسان وشواهد القرآن ما يغني عن إقامة برهان انتهى. ولصاحب الترجيح كتاب في إثبات الصانع سماها[4] بـ «البرهان القاطع»[5] أوّله الحَمد لله وحده، وهو كتاب نفيس جدّاً فليرجع إليه.

«قديماً» ليس لوجوده أوّل، بل هو أوّل كلّ شيء وقبل كلّ ميت وحي، وبرهانه أنّه لو كان حادثاً ولم يكن قديماً لافتقر هو إلى مُحْدِث وافتقر مُحْدِثُه إلى محدث وتسلسل ذلك إلى ما لا نهاية، وما تسلسل لم يَتحصَّل، أو ينتهي إلى مُحْدِث قديم هو الأول، وذلك هو المطلوب الذي سميناه صانع العالم، ومُبْدِئُه، وبارئه، ومحدثه، ومبدعه، قال علي القاري[6]: ليس القديم من الأسماء الحسنى وإن أطلق عليه علماء الكلام مع أنه أنكره كثير من السلف، وكذا بعض من الخلف منهم ابن حزم[7]

(١) وجد على الهامش: ذكر في العواصم أنه لم يعرف مؤلف كتاب الوظائف ولكن هو على مذهب أهل الحديث ونقل عنه فيها كثيراً رحمه الله تعالى.
(٢) بل خمسة وعشرون، انظر ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص (٧٠، ٧٣).
(٣) الإحياء للغزالي (١/ ١٥٨).
(٤) في النسخة «ب» سمّاه.
(٥) وهو مطبوع والحمد لله.
(٦) شرح الفقه الأكبر ص (٤٣).
(٧) قال ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٤١٠):
فصل: فيما أحدثه أهل الإسلام في أسماء الله عزّ وجل «القديم».
قال أبو محمد: وهذا لا يجوز أن يسمّى عز وجل بما لم يسمّ به نفسه، لأنه لم يصحّ به نصّ ألبتة. =

رحمه الله، وإنما جاء الشّرع باسمه الأول دون القديم، وهو أحسن من القديم لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه متابع له، بخلاف القديم، إلاّ أنّه لما كان سبحانه وتعالى هو الفرد الأكمل في معنى القديم المتناول الأول، أطلقه المتكلمون عليه، وقال التوريشتي في معتقده أنّ القديم والموجود من أسماء الذات.

«لم يزل» فيما معنى، **«ولا يزال»** فيما يبقَى بأسمائه وصفاته العليا، موصوفاً بغوث الكمال، معروفاً بأوصاف الجلال والجمال.

«واجباً وجوده» إذ لو كان جائِزَ الوجود لكان من جملة العالم فلا يصلح صانعاً للعالم ومبدءاً له، فوجوده من ذاته، وذاته من وجوده، لا يحتاج إلى شيء أصلاً، وصحّ إطلاق الواجب والصانع والقديم ونحو ذلك ممّا لم يرو به الشرع عليه بالإجماع، وهو من الأدلّة الشرعية.

«ممتنعاً عدمه» بالضّرورة، لأنّ ما ثبت قِدَمُه استحال عدمه، فهو قديم لا أوّل لوجوده، وباقٍ لا آخر لشهوده، ومعنى البقاء في حقّه سبحانه نفي عدم لاحق في الأبد، كما أنّ القديم عبارة عن نفي عدم سابق في الأزل، فرَجع معناها إلى نفي العدم فكان من الصفات السّلبية وإن عدّها بعض من النعوت الثبوتية.

«وهو الكبير» العظيم **«المتعال»** على خلقه، المستوي على عرشه، البائن عن العالم.

«متصفاً بجميع صفات الكمال» الذاتية منها والفعلية كالعلم، والقدرة،

= وقد قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ فصح أنّ القديم من صفات المخلوقين، فلا يجوز أن يسمّى الله تعالى بذلك وإنما يعرف القديم في اللغة من القدمية الأزلية، أي أن هذا الشيء أقدم من هذا بمدة محصورة، وهذا منفيّ عن الله عزّ وجلّ، وقد أغني الله عزّ وجلّ عن هذه التسمية بلفظة «أوّل» فهذا هو الإسم الذي لا يشاركه تعالى فيه غيره، وهو معنى أنّه لم يزل.

والحيٰوة، والسمع، والبصر، والإرادة، والتكوين، والكلام، والترزيق، والتخليق، وغير ذلك.

«منزهاً عن جميع صفات النقص والزوال» كالعجز، والجهل، والكذب، والصمم، والعمى، والموت، لأنها سِمات نقص يجب تنزيه اللّٰه تعالى عن كلّها، ومَبْنَى التنزيه على أنها تنافي في وجوب الوجود لما فيها من شائبة الحدوث والإمكان.

«وهو خالق» ويعبر عن الخلق بالفعل، والتكوين، والإيجاد، والإحداث، والاختراع، والإبداع، ونحو ذلك، ويفسّر بإخراج المعدوم من العدم إلى الوجود، والخلق على ما حققوه صفة أزلية لله تعالى لإطباق العقل والنقل على أنه خالق العالم ومكوّن له، وامتناع إطلاق اسم المشتق على الشيء من غير أن يكون مأخذ الاشتقاق وَصْفاً له قائِماً به، فالتكوين ثابت له أَزَلاً وأبداً، والمكوَّن حادث بحدوث التعلق، كما في العلم والقدرة وغيرهما من الصفات القديمة التي لا يلزم من قدمها قدم متعلقاتها، لكون تعلقاتها حادثة، كذا قيل. والتحقيق أنّ التعلق إليها ليس بحادث إنّما الحادث المتعلق كما سيجيء.

«لجميع الملخوقات» بنص الكتاب العزيز ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾[١] وفي الباب آيات كثيرة معلومة، وقد كان الله تعالى خالقاً في الأزل ولم يخلق الخلق، وأنّه لا موجود في عالم الملك والأشباح، ولا في عالم الملكوت والأرواح، إلّا وهو حادث أحدثه الله بتخليقه وفعله، وإنشائه وصُنْعِه، وأنّه تعالى خالق الإنس والجن وغيرهما.

«عالم» بعلمه الذي هو صفة أزلية، تنكشف المعلومات عند تعلقها بها انكشافاً تاماً، فلم يزل عالماً بذاته، وصفاته، وما يُحْدِثُه من مخلوقاته، ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها، بل حصلت مكشوفة له

---

(١) [سورة الزمر: الآية ٦٢].

بالعلم الأزلي لا بعلم لاحق يلزم منه جهل سابق، فعلمه الأزلي الأبدي منزّه عن قبول الزيادة والنقصان، بخلاف علوم أرباب العرفان.

قال «في ما لا بد منه»[1]: صفة العلم له سبحانه صفة قديمة، وانكشاف بسيط علم به معلومات الأزل والأبد، مع الأحوال المتناسبة والمتضادّة، كلّيتها وجزئيتها في الأوقات المخصوصة بكل واحد في آن واحد، مثلًا علم أنّ زيداً في الوقت الفلاني حي، وفي الوقت الفلاني ميت وهكذا، انتهى.

«**بجميع المعلومات**» من الجزئيات والكلّيات، والموجودات، والمعلومات[2]، والممكنات، والمستحيلات، محيط بما يجي من تحت تخوم الأرضين إلى أعلى السمٰوات، وأنّه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، بل يعلم دبيب النّملة السوداء في اللّيلة الظلماء على الصخرة الصّماء، ويدركُ حركة الذرة في جوّ الهواء، ويعلم السر وأخفى، ويطلع على هواجس الضمائر، وحركات الخواطر، وخفيات السّرائر، كما قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[3] وقال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[4] إلى غير ذلك من الآيات، وهي كثيرة[5] لا كما يزعم الفلاسفة الضّالة من أنّه لا يعلم

---

(١) ما لا بدّ منه: كتاب للقاضي ثناء الله الباني البتي كان شديداً على الشيعة، فقد ألّف كتاب سمّاه: السّيف المسلول في الرد على الشيعة، ورسالة في حرمة المتعة وله عدّة كتب أخرى في الفقه الحنفي، توفي سنة ١٢٢٥ هجرية [الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٣/ ٩٤٢)].

(٢) في النسخة (ب): المعدومات.

(٣) [سورة الملك: الآية ١٤].

(٤) [سورة الأنعام: الآية ٥٩].

(٥) وجد على الهامش: قال الماتن في باب انشقاق التكليف من التقدير من كتاب حجّة الله البالغة: ومنها علم التوحيد والصفات ويجب أن يكون مشروحاً بشرح يناله العقل الإنساني بطبيعته لا مغلقاً لا يناله إلّا من يندر وجود مثله فشرح هذا العلم بالمعرفة المشار إليها بقوله سبحان الله وبحمد فأثبت لنفسه صفات يعرفونها ويستعملونها بينهم من الحياة والسّمع والبصر والقدرة والإرادة والكلام والغضب والسّخط والرحمة والملك =

الجزئيات، والدهرية على أنّه لا يعلم ذاته، والخائضون من أهل الكلام أنه لا يعلم من ذاته وصفاته إلّا ما يعلم هؤلاء، كيف والجهل بالبعض نقص وافتقار إلى مخصِّص، مع أن النصوص القطعية ناطقة بعموم العلم فهو بكلّ شيء عليم، وأحاط بكل شيء علماً، ولا يحيطون بشيء من علمه، بل صفته العلمية إمام أئمة الصفات.

«قادر» بقدرته التي هي صفته الأزلية السّرمدية توثّر في المقدورات عند تعلقها بها، ومعنى كونه قادراً أنه يصحّ منه إيجاد العالم وتركه.

«على جميع الممكنات»، لا يخرج عن قدرته شيء، لأن العجز عن البعض نقص وافتقار إلى مخصص، مع أنّ النصوص القطعية نطقت بشمول القدرة فهو على كل شيء قدير، لا كما يزعم الفلاسفة أنه لا يقدر على أكثر من واحد، والنّظام على أنّه لا يقدر على خلق الجهل والقبح، والبلخي أنه لا يقدر على مثل مقدور العبد، وعامة المعتزلة أنّه لا يقدر على نفس مقدور العبد، وذكر حفيد الماتن رحمه الله أن وجود مثله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم داخل تحت قدرته تعالى، لعموم أدلّة الباب وشمولها، وقد قال الله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾[1]، ولا يلزم من ذلك وقوعه بالفعل في الخارج، لأنّ القدرة والتكوين صفتان متغايرتان عند الماتريدية، وأثر القدرة هو إمكان صدور المقدور من القادر بالنّظر إلى ذاته لا وقوعه بالفعل، كما من أثر التكوين وقوع المكوّن بالفعل، والمسألة على ما حقق مستوفاة في محلها معتضدة بالعقل

= والغنى، وأثبت مع ذلك أنّه ليس كمثله شيء في هذه الصفات فهو حيّ لا كحياتنا، بصير لا كبصرنا، قديرٌ لا كقدرتنا، مريد لا كإرادتنا، متكلّم لا ككلامنا ونحو ذلك، ثم فسّر عدم المماثلة بأمور مستبعدة في جنسنا مثل أن يقال يعلم عدد قطر الأمطار وعدد رمل الصافي وعدد أوراق الأشجار وعدد أنفاس الحيوانات ويبصر دبيب النملة في الليلة الظلماء، ويسمع ما يتوشوش به تحت اللحف في البيوت المغلقة عليها أبوابها ونحو ذلك». كلامه انتهى منه رحمه الله تعالى.

(١) [سورة يس: الآية ٨١].

والنقل، لا يَحُوم الباطل من بين يديها ولا من خلفها، ولولا خشية الإطالة لذكرتها بما لها وما عليها.

«مريد» بإرادته القديمة، وفي القدم تعلقت بإرادة الحوادث في أوقاتها اللّائقة بها على وفق سبق العلم الأزلي، إذ لو كانت حادثةً لصار محلاً للحوادث، وهي في كتاب الله تعالى نوعان: إرادة قدرية كونية خلقية، وهي المشيئة الشّاملة بجميع الموجودات، لقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾(١)، وإرادة دينية أمرية شرعية، وهي المتضمنة للمحبّة والرّضى، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾(٢) وأمثال ذلك، والأمر يستلزم الإرادة الثانية دون الأولى.

«لجميع الكائنات» مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت صغيرٌ أو كبيرٌ، قليلٌ أو كثير، خير أو شر، نفعٌ أو ضرٌ، حلوٌ أو مرٌ، إيمان أو كفر، عِرفان أو نُكران، فوز أو خسران، زيادة أن نقصان، طاعة أو عصيان، إلاّ بإرادته، ووفق حكمته، وطبق تقديره، وحَسَبَ قضائه في خليقته، فما شاء كان، وما لم يشاء لم يكن، لا يخرج عن إرادته لَفْتَةُ بصر، ولا فَلتَةُ خاطِر، بل هو المبدىء المعيد، الفعال لما يريد كما يريد، لاَ رَادَّ لأمره، ولا مُعَقِّب لما حكم في العبيد، ولا مهرب لعبد عن معصيته إلا بتوفيقه ورحمته، ولا قوة له على طاعته إلاّ بمشيئته وإرادته، حتى لو اجتمع جميع الكائنات على أن يحركوا في العالم ذَرّة ويسكّنوها مرّة دون إرادته ومشيئته لما قَدَرُوا على ذلك، بل وَلاَ أَرَادُوا خلاف ما هنالك، كما قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾(٣) فهو سبحانه لم يزل موصوفاً بإرادته، مريداً في الأزل وجود الأشياء في أوقاتها التي قدّرها فوجدت فيها كما أرادها، من غير تقدم ولا تأخر وتبدل وتغير، والإرادة والمشيئة شيء واحد في حقّه تعالى، ثم اختلفت عباراتهم في هذه المسألة، فقال بعضهم:

---

(١) [سورة الأنعام: الآية ١٢٥].

(٢) [سورة البقرة: الآية ١٨٥].

(٣) جزء من [سورة الإنسان: الآية ٣٠]

نقول: إنّ جميع الموجودات والأفعال مراداً لله تعالى، ولا نقول على التفصيل: إن القبائح والشرور والمعاصي من الله تعالى، كما نقول على الإجمال: إنّه خالق جميع المخلوقات، ولا نقول على التفصيل: إنه خالق الجيف والقاذورات، وقال بعضهم: نقول على التفصيل ولكن مقرونة بقرينة تليق به، فنقول: إنه أراد الكفر من الكافر كَسْباً له شراً قبيحاً منهياً عنه، كما أراد الإيمان من المؤمن كسباً له خيراً حسناً مأموراً به، وهو اختيار الماتريدي[1] رحمه الله، وبه قال الأشعري رحمه الله.

«**سميع**» بالأصوات، والحروف، والكلمات، بسمعه القديم الذي هو لفت له لعنت له بالأزل.

«**بصير**» بالأشكال[2] والألوان بإبصاره القديم الذي هو صفته الأزلية، فلا يحدث له سمع بحدوث مسموع، ولا بصر بحدوث مبصر، فهو السميع البصير، يسمع ويرى، لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خَفِي غاية السرّ، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دقَّ في النّظر، لا يحجب سمعه بعد، ولا يدفع رؤيته ظلام، ولا يشذّ عن سمعه صوت، بل يرى دبيب النّملة السوداء في اللّيلة الظلماء على الصّخرة الصماء، فالسّمع صفةٌ تتعلق بالمسموعات، والبصر صفة تتعلق بالمبصرات، فيدرك بهما إدراكاً تامّاً لا على سبيل التَخْيِيل والتوهّم، ولا على طريق تأثر حاسته ووصول الهواء، ولا يلزم من قِدَمِهِمَا قدوم المسموعات والمبصرات، كما لا يلزم من قِدَم العلم والقدرة قِدَمَ المعلومات والمقدورات، لأنّها صفات قديمة تحدث لها تعلقات بالحوادث عند وجودها تعلقاً ظاهرياً كما كان لها تعلق بها في عالم شهودها تعلقاً غيبياً، فهو أخصّ من صفته.

قال الشيخ المحدث محمد فاخر الإله آبادي[3] ثم المكي رحمه الله ما

---

(١) الماتريدي هو محمد بن محمد محمود، من أئمة علماء الكلام، نسبته إلى ماتريد محلّة بسمرقند، توفي عام (٣٢٤هـ) [الأعلام ٤/ ٢٦٣].

(٢) في النسخة (ب) للأشكال.

(٣) هو الشيخ العالم المحدث محمد فاخر بن محمد يحيى بن محمد أمين العبّاسي السّلفي الإله آبادي، ولد بمدينة «إله آباد» سنة ١١٢٠ هجرية وتعلّم بها ثم سافر إلى الحرمين =

نصه بالعربية: إنّ السمع والبصر صفتان متغايرتان عن العلم كما يشهد به تتبّع القرآن الكريم، فقد أورد العلم في ذكر المعلومات، والسمع في بيان المسموعات، والبصر في بيان المبصرات، وفي صورة إرجاع السميع والبصير إلى العليم بالمسموعات والعليم بالمبصرات يلزم تحريف القرآن والحديث، وأيضاً من انتفى عنه السّمع والبصر لا يقال له سميع وبصير، فلا يخفى قباحة ذلك. انتهى.

«**لا شبيه له**» فلا يشبه شيئاً من الأشياء من مخلوقاته، لا في ذاته ولا في صفاته، ليس كمثله شيء، ولا يشبهه من خلقه شيء، لأنه واجب الوجود، وما سواه ممكن الوجود.

نقل علي القاري في شرح الفقه الأكبر[١] عن شرح القونوي[٢]: قال

= وأخذ الحديث عن الشيخ «حياة السندي» وأخذ منه إجازة، وكان لا يتقيّد بمذهب ولا يقلّد في شيء من أمور دينه بل كان يعمل بنصوص الكتاب والسنة ويجتهد برأيه وهو أهل لذلك، توفي رحمه الله سنة **١١٦٤** هجرية (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ٢/ ٨٣٢، ٨٣٣).

(١) شرح الفقه الأكبر ص (٢٤) وأثر نعيم بن حماد أخرجه الذهبي في السير (١٠/ ٦١٠) ثم قال بعده الحافظ الذهبي رحمه الله:
هذا الكلام حقّ، نعوذ بالله من التشبيه ومن إنكار أحاديث الصفات فما ينكر الثابت منها من فَقِه، وإنما بعد الإيمان بها هنا مقامان مذمومان:
تأويلها وصرفها عن موضوع الخطاب، فما أوّلها السّلف ولا حرّفوا ألفاظها عن مواضعها، بل آمنوا بها، وأمرّوها كما جاءت.
المقام الثاني: المبالغة في إثباتها وتصوّرها من جنس صفات البشر، وتشكّلها في الذهن فهذا جهل وضلال، وإنّما الصّفة تابعة للموصوف، فإذا كان الموصوف عزّ وجل لم نره، ولا أخبرنا أحد أنّه عاينه مع قوله لنا في تنزله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [سورة الشورى: الآية ١١] فكيف بقي لأذهاننا مجال في إثبات كيفية الباري، تعالى الله عن ذلك، فكذلك صفاته المقدّسة، نقرُّ بها ونعتقد أنّها حق، ولا نمثلها أصلًا ولا نشكّلها.

(٢) القونوي: هو محمد بن أحمد بن مسعود، جمال الدين بن مكحول، أبو المعين النسفي، عالم بالأصول والكلام، ولد عام ٤١٨هـ، ومات عام ٥٠٨، من مؤلفاته: العمدة في أصول الدين (الأعلام ٦/٢٤١).

نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: من شبّه اللّه بشيء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، قال إسحاق بن راهويه: من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فقد كفر بالله العظيم، وقال: علامة جهم وأصحابه دعواهم على أهل السنة والجماعة وما أولعوا به من الكذب أنّهم مشبهة، بل هم المعطّلة، ولذا قال كثير من أئمة السّلف: علَامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة، فإنّه ما من أحد من نفاة شيء من الأسماء والصفات إلّا يسمّي المثبت لها مشبها، حتى بعض المفسّرين كعبد الجبار والزمخشري وغيرهما من المعتزلة، والرافضة يسمون كلّ من أثبت شيئاً من الصّفات، أو قال برؤية الذات مشبّهاً، والمشهور عند الجمهور من أهل السنة والجماعة أنهم لا يُريدون بنفي التشبه نفي الصفات، بل يريدون أنه سبحانه لا يشبه المخلوق في أسمائه وصفاته وأفعاله[١] انتهى.

قال الماتن في حجة الله البالغة[٢] في باب الإيمان بصفات الله تعالى: قال الترمذي[٣] في حديث يد الله ملأى[٤]: هذا الحديث قال الأئمة نؤمن كما جاء من غير أن يفسر، أو يتوهم بكذا، قاله غير واحد من الأئمة منهم سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن عيينة، وابن المبارك أنه تروى هذه الأشياء ويؤمن بها ولا يقال كيف، وقال في موضع آخر: إنّ إجراء هذه الصّفات كما هي ليس بتشبيه، وإنّما التّشبه أن يقال: سمع كسمع، وبصر كبصر.

أقول: ولا فرق بين السّمع، والبصر، والقدرة، والضحك، والكلام، والاستواء، فإنّ المفهوم عند أهل اللّسان من كلّ ذلك غير ما يليق بجناب القدس، وهل في الضحك استحالة إلّا من جهة أنه يستدعي

---

(١) شرح الفقه الأكبر لعلي القاري ص (٢٤، ٢٥).
(٢) حجة الله البالغة (١/ ٦٣).
(٣) سنن الترمذي عند الحديث رقم (٣٠٤٥).
(٤) الحديث أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤) ومسلم برقم (٩٩٣) والترمذي برقم (٣٠٤٥) وابن ماجه برقم (١٩٧) وأحمد (٢/ ٣١٣، ٥٠٠).

الفم، وكذلك الكلام، وهل في البطش والنّزول استحالة إلا من جهة أنهما يستدعيان اليد والرجل، وكذلك السمع والبصر يستدعيان الأذن والعين والله أعلم.

واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث وسمّوهم مجسّمة مشبّهة، وقالوا هم المستترون بالبلفكة، وقد وضح عليّ وضوحاً بيّناً أنّ استطالتهم هذه ليست بشيء، وأنّهم مخطئون في مقالتهم هذه برواية ودراية في طعنهم أئمة الهدى. انتهى كلام الماتن رحمه الله.

قال أبو الطيب[1]: وفي الترمذي تحت حديث: «إنّ الله يقبل الصّدقة ويأخذها بيمينه»[2] قد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه: هذا من الروايات من الصّفات، ونزول الربّ تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا، قالوا: قد نثبت الروايات في هذا ونؤمن بها، ولا يتوهم، ولا يقال كيف؟.

هكذا روى مالك [ابن أنس رحمه الله][3] وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث أمّروها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه، وذهبوا إلى وجوب تأويلها.

وقد ذكر الله تعالى في غير موضع من كتابه اليد، والسمع، والبصر، فتأوّلت الجهمية هذه الآيات وفسّروها على غير ما فسّر أهل العلم، وقالوا: إنّ الله لم يخلق آدم بيده، قالوا إنّما معنى اليد القوة، وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد، أو مثل يد، أو سمع كسمع، أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع، أو مثل سمع فهذا

---

(١) وجد على الهامش: قوله أبو الطيب المراد به الشّارح عفا الله عنه وعنّا.
(٢) سنن الترمذي كتاب الزكاة، باب فضل الصّدَقة (٣/ ٥٠، ٥١) حديث رقم (٦٦٢).
(٣) محذوفة من المرجع السّابق.

تشبيه، وأما إذا قال كما قال الله تعالى يد، وسمع، وبصر، ولا يقول: كيف؟ ولا يقول: مثل سمع ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهاً، وهو كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] انتهى كلام الترمذي.

وقوله: قال إسحاق إلخ، جواب عن قول الجهمية: هذا تشبيه. وحاصل الجواب أن التشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في شيء، وهذا إنما يكون إذا لوحظ صفات العباد وشبهت صفات الرب بها، وأما إذا نفى التشبيه وجمع بين التنزيه من المشاركة في الصفات والتشبيه[2] فلا بأس فيه كما هو مؤدّى القرآن.

قال علي القاري: على الخلق أن يثبتوا ما أثبته الله لنفسه وينفوا ما نفاه ويمسكوا على ما أمسك عنه.

قال الطّحاوي رحمه الله: ومن لم يتوق النفي والتشبيه زلّ ولم يصب التنزيه. انتهى.

(ولا ضد) فينازعه ويناويه، وبرهانه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[3] قال الغزالي رحمه الله في الإحياء[4]: بيانه أنه لو كان اثنين وأراد أحدهما أمراً فالثاني إن كان مضطراً إلى مساعدته كان هذا الثاني مقصوراً[5] مقهوراً عاجزاً، ولم يكن إلٰهاً[6]، وإن كان قادراً على مخالفته ومدافعته كان الثاني قوياً والأول ضعيفاً قاصراً، ولم يكن إلٰهاً قادراً [فافهم][7].

---

(١) [سورة الشورى: الآية ١١].
(٢) في نسخة ب (والتثبيت).
(٣) [سورة الأنبياء: الآية ٢٢].
(٤) الإحياء للغزالي (١/ ١٦٢).
(٥) محذوفة من الإحياء، وفي النسخة (ب) مقسوراً.
(٦) في الإحياء: ولم يكن إلٰهاً قادراً.
(٧) محذوفة من الإحياء.

(ولا ندّ) أي الشبه ومنه قوله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم لمن قال: ما شاء الله وشئت: «أجعلتني لله نداً قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾[1].

(ولا مثل له) يشابهه ويساويه لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[2] قال القاضي محمد بن علي الشوكاني[3] رحمه الله: هذه الكلمة دلت على نفي المماثلة في كل شيء، فيدفع بهذه الآية في وجه المجسمة، ويعرف[4] به الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع والبصير، وعند ذكر السمع والبصر واليد والاستماع[5] ونحو ذلك مما اشتمل عليه القرآن والسنة، فيتقرر بذلك الإثبات لتلك الصّفات لا على وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات، فيدفع به جانب[6] الإفراط والتفريط، وهي المبالغة في الإثبات المفضية إلى التحكم[7]، والمبالغة في النفي المفضية إلى التعطيل، فيخرج به من بين الجانبين، وغلو الطرفين، حقيقة[8] مذهب السّلف الصالح، وهو قولهم بإثبات ما أثبته الله لنفسه من الصّفات على وجه لا يعلمه إلّا هو، فإنه القائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[9] انتهى.

وأفاد الحافظ ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان[10] في ذكر قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾: إنما قصد به نفي أن يكون معه معبود يستحق العبادة والتعظيم، ولم يقصد الرسالة ورؤية المؤمنين له جهرة

---

(١) [سورة البقرة: الآية ٢٢].

(٢) [سورة الشورى: الآية ١١].

(٣) التحف في مذاهب السّلف للشوكاني رحمه الله ص (٢٥، ٢٦) وأوّل كلامه: وأمّا الكلمة وهي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فيها يستفاد نفي المماثلة. . .

(٤) في المرجع السّابق: تعرف.

(٥) في المرجع السابق: الاستواء.

(٦) في المرجع السابق: جانبي.

(٧) في التحف في مذاهب السلف وفي نسخة (ب) التجسيم.

(٨) في التحف في مذاهب السلف: حقيّة.

(٩) [سورة الشورى: الآية ١١].

(١٠) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (٢/ ٣٢٩، ٣٣٠).

بأبصارهم، كما يرى الشمس والقمر في الصحو، فإنّه سبحانه إنّما ذكر هذا في سياق ردّه على المشركين الذين اتخذوا من دونه أولياء فقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٦) وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٨) أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩) وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠) فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾[١] فانظر[٢] وتأمّل[٣] كيف ذكر هذا النفي تقريراً للتوحيد، وإبطالاً لما عليه أهل الشرك من تشبيه آلهتهم وأوليائهم به حتى عبدوهم، فحرّفها المحرفون، وجعلوها تُرساً من نفي صفات كماله وحقائق أسمائه وأفعاله. انتهى.

(**ولا شريك له في وجوب الوجود**) إذ لا يمكن أن يصدق مفهوم واجب الوجود إلّا على ذات واحدة متصفة بنعوت متعددة، كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٤] فيها برهان[٥] التمانع.

قال علي القاري[٦]: وأما قول التفتازاني[٧] الآية حجة إقناعية[٨]

---

(١) [سورة الشورى: الآيات ٦ ـ ١١].
(٢) محذوفة من إغاثة اللهفان.
(٣) في المرجع السّابق: فتأمّل.
(٤) [سورة الأنبياء: الآية ٢٢].
(٥) في النسخة (ب) ببرهان.
(٦) شرح الفقه الأكبر ص (٢٣، ٢٤).
(٧) هو مسعود بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، ولد في المدينة البيضاء بفارس وتوفي بشيراز عام (٦٨٥هـ). (الأعلام ٤/١١٠).
(٨) في المرجع السّابق: أي يظن في أوّل الأمر أنها حجة ويزول ذلك عند تحقق المعرفة =

فالمحققون كالغزالي وابن الهمام ما قنعوا بالإقناعية، بل جعلوها من الحقائق القطعية، بل قيل يكفر قائلها انتهى. المسألة مستوفاة في الزبر الكلامية وفيه رد على من قال: الملائكة بنات الله، وعزير والمسيح أبناء الله، ومريم صاحبة له، لأن ذلك محال على المتعال.

قال الماتن[1] في الحجة البالغة[2] في باب التوحيد: إنّ للتوحيد أربع مراتب:

أحدها: حصر وجوب الوجود فيه تعالى ولا[3] يكون غيره واجباً.

والثانية: حصر خلق العرش والسموات والأرض وسائر الجواهر فيه تعالى.

وهاتان المرتبتان لم تبحث الكتب الإلٰهية عنهما، ولم يخالف فيهما مشركو العرب ولا اليهود والنصارى، بل القرآن العظيم ناصٌّ على أنّهما من المقدمات المسلّمة عندهم[4].

والثالثة: تدبير السموات والأرض وما بينهما فيه تعالى.

والرابعة: أنّه لا يستحق غيره العبادة، وهما متشابكتان متلازمتان لربط طبعي بينهما.

وقد اختلف فيهما طوائف من النّاس معظمهم ثلاث فرق.

النجّامون: ذهبوا إلى أنّ النجوم تستحق العبادة، وأن عبادتها تنفع في الدنيا، ورفع الحاجات إليها حق[5].

= والملازمة عادية على ما هو اللآئق بالخطابيات، فإنّ العادة جارية بوجود التمانع والتغالب عند تعدد الحاكم على ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. فالمحققون...

(١) أي صاحب المتن وهو الشيخ ولي الله الدهلوي.

(٢) حجة الله البالغة (١/ ٥٩).

(٣) في كتاب حجة الله البالغة: فلا.

(٤) قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾.

(٥) في حجة الله البالغة: قالوا: قد تحققنا أنّ لها أثراً عظيماً في الحوادث اليومية وسعادة المرء، وشقاوته، وصحته، وسقمه، وأن لها نفوساً مجرّدة عاقلة تبعثها على الحركة ولا تغفل عن عبادها فبنوا هياكل على أسمائها وعبدوها.

والمشركون: ووافقوا المسلمين في تدبير الأمور العظام، وفيما أبرم وجزم، ولم يترك لغيره خِيَرَة، ولم يوافقوهم في سائر الأمور، وذهبوا إلى أنّ الصالحين من قبلهم عبدوا الله وتقرّبُوا إليه فأعطاهم الله الألوهية فاستحقوا العبادة من سائر خلق الله[1].

والنّصارى: ذهبوا إلى أنّ للمسيح قرباً من الله وعلواً على الخلق، فلا ينبغي أن يسمّى عبداً فيسوى بغيره، لأنّ هذا سوء أدب معه إهمال لقربه من الله[2]، فكلامه كلام الله، وعبادته هي عبادة الله.

وهذه الفرق الثلاث لهم دعاوى عريضة، وخرافات كثيرة، لا تخفى على المتتبع، وعن هاتين المرتبتين بحث القرآن العظيم، وردّ على الكافرين شبهتهم رداً مشبعاً. انتهى ملخصاً.

(ولا في استحقاق العبادة)، لأنّ الله سبحانه هو المستحق أن يوحّدوه في عبادته ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته، كما قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾[3].

وقال الماتن رحمه الله في الحجة البالغة[4]: إنّ أعظم أنواع البِرّ أن

---

(١) في المرجع السّابق: كما أنّ ملك الملوك يخدمه عبده فيحسن خدمته فيعطيه خلعة الملك ويفوّض إليه تدبير بلد من بلاده فيستحق السّمع والطاعة من أهل ذلك البلد، وقالوا لا تقبل عبادة الله إلّا مضمونة بعبادتهم، بل الحق في غاية التعالي فلا تفيد عبادته تقرباً منه، بل لا بدّ من عبادة هؤلاء ليقربوا إلى الله زلفى، وقالوا هؤلاء يسمعون ويبصرون ويشفعون لعبادهم ويدبرون أمورهم وينصرون فنحتو على أسمائهم أحجاراً وجعلوها قبلة عند توجههم إلى هؤلاء، فخلق من بعدهم خلق فلم يفطنوا للفرق بين الأصنام وبين من هي على صورته فظنوها معبودات بأعيانها، ولذلك ردّ الله تعالى عليهم تارة بالتنبيه على أنّ الحكم والملك له خاصة وتارة ببيان أنّها جمادات ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ﴾.

(٢) في المرجع السابق: ثم مال بعضهم عند التعبير عن تلك الخصوصية إلى تسمّيه ابن الله نظراً أنّ الواجب حلّ فيه وصار داخله، ولهذا يصدر منه آثار لم تعهد من البشر مثل إحياء الأموات وخلق الطير فكلامه كلام الله وعبادته عبادة الله..

(٣) [سورة النساء: الآية ٣٦].

(٤) حجة الله البالغة (١/ ٦٧).

يعتقد الإنسان بمجامع قلبه بحيث لا يحتمل نقيض هذا الاعتقاد عنده: أنّ العبادة حق اللّه تعالى على عباده، وأنهم مطالبون بالعبادة من اللّه تعالى بمنزلة سائر ما يطالبه ذوو الحقوق من حقوقهم، قال النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم لمعاذ: «يا معاذ، هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟» قال معاذ: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنّ حقّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذّب من لا يشرك به شيئاً»[1]، وذلك لأنّ من لم يعتقد ذلك اعتقاداً جازماً واحتمل عنده أن يكون سدى مهملاً، لا يطالب بالعبادة ولا يؤاخذ بها من جهة رَبِّ مريد مختار، كان دهرياً لا تقع عبادته وإن باشرها بجوارحه بموقع من قلبه، ولا تفتح بَاباً بَيْنَهُ وبين ربه، وكانت عادة كسائِر عاداته انتهى.

قال أبو الطيب[2]: والآيات الدّالة على ذلك والأخبار الواردة في هذا كثيرة، وقد ألّف الإمام المحدث تقي الدين أحمد بن علي المقريزي في ذلك رُسيلة سماها: «تجريد التوحيد المفيد»، وهي نفيسة جداً، وكذلك حفيد الماتن رحمه الله الشيخ المجاهد الحاج محمد إسماعيل الشهيد[3] رحمه الله سماها «رد الإشراك»، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية قدس سره سماها «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم» إلى غير ذلك من الكتب المختصة بذلك فمن شاء الاطلاع على تمام البحث فليرجع إلى ما هنالك.

(ولا شريك له في الخلق والتدبر) فهو الخالق الموجد لعباده، المدبر القائم بتربيتهم وإصلاح أمورهم، والمتكفل لصلاحهم في الدنيا والآخرة، من رزق ـ وعافية ـ وغير ذلك، فلا خالق للعالم سواه، ولا مُحْدث له إلّا

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٩٦٧) ومسلم برقم (٤٨).

(٢) هو صديق حسن خان رحمه الله.

(٣) هو إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي عالم فاضل سلّ قلمه على أهل البدع فكان قامعاً ومسكتاً توفي رحمه الله سنة ١٢٤٦ هـ بمعركة «بالاكوت» وترك عدّة مصنفات منها «الصراط المستقيم» بالفارسي، و «إيضاح الحق الصريح في أحكام الميت والضريح» وغيرها.

إيّاه، ولا مدبّر غيره، قال الماتن رحمه الله في الحجة[1]: إن لله تعالى بالنسبة إلى إيجاد العالم ثلث صفات مرتبة:

إحداهما: الإبداع: وهو إيجاد شيء لا من شيء، فيخرج الشيء من كتم العدم بغير مادة، وسئل رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم عن أول هذا الأمر، فقال: «كان الله ولم يكن شيء قبله»[2].

والثانية: الخلق: وهو إيجاد شيء من شيء كما خلق آدم من التراب وخلق الجان من مارج من نار، وقد دلّ العقل والنقل على أنّ الله تعالى خلق العالم أنواعاً وأجناساً، وجعل لكل نوع وجنس خواص.

والثالثة: تدبير عالم المواليد، ومرجعه إلى تصيير حوادثها موافقة للنظام الذي ترتقيه، حكمته مفضية إلى المصلحة التي اقتضاها جوده، كما أنزل من السحاب مطراً وأخرج به نبات الأرض، ليأكل منه الناس والأنعام فيكون سبباً لحياتهم إلى أجل معلوم، وكما أن إبراهيم ألقي في النار فجعل[3] الله برداً وسلاماً ليبقى حياً، وكما أنّ أيّوب كان اجتمع في بدنه مادة المرض، فأنشأ الله عيناً فيها شفاء، وكما أنّ الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم، فأوحى إلى نبيه صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم أن ينذرهم ويجاهدهم، ليخرج من شاء من الظلمات إلى النور انتهى.

(فلا يستحق العبادة أي أقصى غاية التعظيم إلا هو) ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ **(ولا يشفى مريضاً)** دل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾[4]، ولا يرزق رزقاً لقوله

---

(١) حجة الله البالغة للدهلوي (١/ ١١).

(٢) توجد فقرة من الكلام محذوفة حذفها الناقل اختصاراً. فلتتنبه. والحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب «وكان عرشه على الماء».

(٣) في نسخة ب فجعلها.

(٤) [سورة الشعراء: الآية ٨٠].

تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾[1] وقوله: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[2] (ولا يكشف ضراً إلّا هو) فإنه لا يقدر على كشف ما به من مرض إلى صحة، ومن فقر إلى غنى، ومن ذل إلى عزّ، ومن خوف إلى أمن، إلّا القادر الذي لا يعجزه شيء، قال الله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[3] بمعنى أن يقول لشيء كن فيكون، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[4].

أشار فخر الإسلام البزدوي في أصوله[5] أنّ المراد بقوله: «كن» حقيقة التكلم بهذه الكلمة، مجازاً[6] عن الإيجاد والتكوين [موافقاً لمذهب الأشعري مخالفاً لعامة أهل السنة، لأنّ التمسك بالآية على هذا القول أظهر لأنّها أدلّ على أنّ المراد حقيقة التكلم، لأنّ الأمر فيها مكرر بخلاف سائر الآيات فقال وهذا عندنا.

قال علي القاري[7]: وأراد به نفسه، وأجيب بأن مذهبه غير مذهب الأشعري رحمه الله، فإن عنده وجود الأشياء بخطاب «كن» لا غير، كما أن عند أهل السّنة بالإيجاد لا غير، وعند البزدوي وجود الأشياء بالإيجاد والخطاب، فكان مذهباً ثالثاً][8] **(لا بمعنى التسبب العادي الظاهري، كما يقال: شفى الطبيب المريض، ورزق الأمير الجند، فهذا غيره وإن اشتبه باللفظ)**.

قال الماتن رحمه الله في البدور البازغة: وكذلك الرزق والشفاء على وجهين فقولنا: رزق الأمير الجند، المفهوم منه أنه فرّق الأموال التي جمعها

---

(١) [سورة الذاريات: الآية ٥٨].
(٢) [سورة الأنعام: الآية ١٥١].
(٣) [سورة النمل: الآية ٦٢].
(٤) [سورة البقرة: الآية ١١٧].
(٥) انظر شرح الفقه الأكبر ص (٢٩).
(٦) في نسخة (ب) زيادة وقيل هو مجاز.
(٧) شرح الفقه الأكبر ص (٢٩).
(٨) ما بين المعكوفتين ساقط من النسخة (ب).

بالقوة الناسوتية على الجند بالقوة الناسوتية، وقولنا شفى الطبيب المريض المفهوم منه أن الطبيب اجتهد كل جهد وسعى كل سعي بفكره الذي يشابه فكر المريض، فعيّن دواء فيه حراً وبرد و[1]غيرهما من خواص هذا العالم فأعقبه الصّحة، وقولنا: رزق الله تعالى خلقه وشفى الله تعالى عبده، أنه أراد أن يجتمع إليه المال من غير ملابسته بالأعمال الناسوتية ولا مشابهته[2] بالناسوت فاجتمع، أو أراد أن يزول مرضه ويحدث فيه الصّحة فكان كما أراد انتهى.

(ولا ظهير له) ولا وزير.

(لا يحل في غيره) ولا يحل غيره فيه، فليس هو حالّاً في شيء ولا محلاً لشيء فيكون مباثناً للعالم متعالياً عليه فوق العرش.

(ولا يتحد بغيره) فله التوحيد الذّاتي والصّفاتي، وفيه ردّ علي الوجودية القائلة باتحاد الخلق والخالق.

قال القاضي[3] في ما لا بد منه: واحد في الذّات، وفي الصّفات، وفي الأفعال، لا شركة لأحد في أمر له، لا وجوده وحياته من جنس وجود الأشياء وحياتها، ولا علمه يشابه علمهم، ولا سمعه وبصره وإرادته وقدرته وكلامه يجانس ويشارك سمع المخلوقات وبصرها وإرادتها وقدرتها وكلامها، لا مجانسة ولا مشاركة غير المشاركة الاسمية، وصفاته وأفعاله كمثل ذاته بلا كيف وكم.

(لا يقوم بذاته حادث) إذ ليست ذاته محلّا للأعراض، وقد علمت استحالة قيام الحوادث بذاته تعالى بالأدلة الشّرعية والعقلية.

(ولا في ذاته حدوث) حتى يلزم من حدوث متعلقات هذه الصّفات

(١) في نسخة ب أو.

(٢) في نسخة ب مشابهة.

(٣) هو القاضي ثناء الله الباني البتي (انظر ترجمته ص ٤٢).

حدوث الصّفات كالمخلوق، والمرزوق، والمسموع، والمبصر، وسائر الكائنات وجميع المعلومات، بل هو موجود بذاته المقدسة، والأشياء موجودة بإيجاده تعالى، ومحتاجة في وجودها وبقاءها إليه، وهو لا يحتاج إلى شيء.

(**وإنما الحدوث في تعلق الصّفات بمتعلقاتها**) في وقت تعلق الإرادة بوقوعها.

(**حتى يظهر الأفعال**) وقتاً مؤقتاً كما قدر.

(**وحقيقته**[١] **أنّ التعلق أيضاً ليس بحادث ولكن الحادث هو المتعلَق**) بالفتح (**فيظهر أحكام التعلق متفاوتة لتفاوت المتعلقات وهو سبحانه وتعالى يرى عن الحدوث والتجدد**) والتغير والتبدل، فلا يلزم من علوّه على خلقه واستوائه على عرشه، وكونه بجهة الفوق ـ كما نطق بها القرآن، وورد به الأخبار المستفيضة ـ تغيره تعالى من حال إلى حال الذي هو من أمارات الحدوث، لأنه كما ليس له تغير بإيجاد العالم وتسميته بموجد، فكذا لا تغير له بخلق العرش ووصفه بأنه فوقه، ومستو عليه، ومبائن عن الخلق.

(**من جميع الوجوه**) لم يحدث له اسم ولا صفة من ظهور أحكام التعلق بتعلقاتها، بل لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية، قال أبو حنيفة رحمه الله[٢]: صفاته في الأزل غير محدثة ولا مخلوق فمن قال: إنها مخلوقة، أو محدثة، أو وقف فيها، أو شك فيها، فهو كافر بالله تعالى.

قال أبو الطيب[٣]: صفاته الذاتية قديمة بالاتفاق، والفعلية حادثة عند

(١) قال الماتن رحمه الله مسائل التوحيد والصفات أعمق مدركاً وأبعد إحاطة وقد يسرها الله لمن شاء اهـ. منه.

(٢) في الفقه الأكبر، انظر شرح كتاب الفقه الأكبر (٣٩).

(٣) هو صديق حسن خان رحمه الله.

الأشعري رحمه الله وقديمة عند الماتريدي رحمه الله، والنزاع لفظي عند أهل التحقيق.

(ليس بجوهر)، لأن الجوهر اسم للجزء الذي لا يتجزئ وهو متحيز وجزء من الجسم والله متعال عنه، وأما إذا أريد به القائم بذاته، والموجود لا في موضع، فإنّما يمتنع إطلاقه على الصّانع من جهة عدم ورود الشرع بذلك[١] مع تبادر الفهم إلى المركب والمتحيز.

(ولا عرض) لأنه لا يقوم بذاته، بل يفتقر إلى محلّ يقومه فيكون ممكناً، لأنّ العرض كل موجود يحدث في الجواهر والأجسام، كالألوان والأكوان من الاجتماع والافتراق والحركة والسكون، وكالطُعوم والروائح وغير ذلك، قال الشوكاني رحمه الله[٢]: لا محالة قد رأيت ما يقول كثير منهم، ويذكرونه في مؤلفاتهم، ويحكونه عن أكابرهم أنّ الله سبحانه لا هو جسم ولا جوهر ولا عرض، ولا داخل العالم ولا خارجه، فأنشدك بالله الذي لا إلٰه إلّا هو أيَّ عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة في النفي، وأي مبالغة في الدلالة على هذا النفي تقوم مقام هذه المبالغة، فكان هؤلاء في فرارهم من التشبيه إلى هذا التعطيل كالمستجير من الرمضاء بالنار، والهارب من لسعة الزنبور إلى لذعة الحية، ومن قرصة النّملة إلى قرصة الأسد. انتهى.

(ولا جسم) لأن الجسم متركب ومتحيز وذلك أمارة الحدوث، قال الرازي رحمه الله: المجسّم ما عبد الله قط، لأنه عبد ما تصوره في وهمه من الصورة، وكل ما خطر ببالك فالله تعالى منزه عن ذلك، وسئل أبو حنيفة رحمه الله عن الكلام في الأعراض والأجسام فقال: لعن الله عمرو بن عبيد هو فتح على النّاس الكلام في هذا[٣].

---

(١) أقول أو لأنهم عدوا الجوهر في الممكنات ولذا استحال إطلاقه على ذاته المقدسة جل شأنه وعم إحسانه اهـ. كاشميري.

(٢) التحف في مذاهب السّلف للشوكاني.

(٣) شرح الفقه الأكبر ص (٥٧).

قال القرطبي في شرح مسلم[1]: قال ابن عقيل أنا أقطع أن الصّحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض، فإن رضيت أن تكون منهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت.

(ولا في حيز) لأنّه لو تحيز فإمّا في الأزل فيلزم قدم الحيز أو لا فيكون محلّا للحوادث، وأيضاً إمّا أن يساوي الخير أو ينقص عنه فيكون متناهياً، أو يزيد عليه فيكون متحيزاً[2]، والحيّز هو الفراغ المتوهم الذي يشغله شيء ممتداً وغير ممتد، فهذا دليل على عدم التمكن في المكان، وإذا لم يكن في حيز ومكان لم يكن.

(في جهة) من الجهات أي على طريق الاحتياج إليها، لأنّ الجهات إمّا حدود وأطراف للأمكنة، أو نفس الأمكنة باعتبار عروض الإضافة إلى شيء، والله تعالى غني عنها.

قال غوث الحقيقة إمام الطريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله في غنية الطالبين: لا يجوز عليه الحدود ولا النهاية، ولا القبل ولا البعد، ولا تحت، ولا قدام، ولا خلف، ولا كيف، لأن جميع ذلك ما ورد به الشرع إلّا ما ذكرنا من أنه على العرش استوى على ما ورد به القرآن والأخبار، بل هو عز وجل خالق لجميع الجهات، ولا يجوز عليه الكمية. انتهى.

وقال في باب معرفة الصّانع[3] من الكتاب المذكور ما نصه: وهو بجهة العلو مستو على العرش، محتو على الملك، محيط علمه بالأشياء، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[4].

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي (٦/٦٩٠) وفيه: قال ابن عقيل: قال بعض أصحابنا: أنا أقطع...

(٢) في نسخة ب (متجزئاً).

(٣) الغنية للجلاني (١/ ٧١).

(٤) [سورة فاطر: الآية ١٠].

وقال في كتاب البهجة: اعلموا أن عبادتكم لا تدخل الأرض وإنما تصعد السّماء، قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ فربُّنا الله تعالى وتقدس في جهة العلو، الله على العرش استوى وعلى الملك احتوى، وعلمه محيط بالأشياء بدليل سبع آيات في القرآن في هذا المعنى لا يمكنني ذكرها لأجل جهل الجاهل ورعونته انتهى.

قلت: إنما أنكرها جماعة من أهل العقل، لأنّ الجهة لا تثبت في حقّه سبحانه في مرتبة العقل، ومن الذين أثبتوها بالنقل أهل الحديث بأجمعهم والأشاعرة، وتسمية المتكلمين إياهم بالمجسمة والمشبهة تعصب منهم وتحكم، ومن أكبرهم إثباتاً لها في حقه تعالى شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه وتلميذه ابن القيم رحمه الله تعالى، وقد قيل فيهما ما قيل، ولكن يوضح ذلك رسالة[1] الماتن في الذب عنه رحمه الله ونصّها: الذي أعتقده أنا وأحبّ أن يعتقده جميع المسلمين في علماء الإسلام حَمَلةِ الكتاب والسنة والفقه، الذابين عن عقيدة أهل السنة والحديث، أنهم عدول بتعديل النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم حيث قال: «يحمل هذا الدين من كلّ طبقة عدوله»[2]، وإن كان بعضهم تكلم فيه بما لا يرتضيه هذا المعتقد إذا كان قوله ذلك غير مردود بنص الكتاب والسنة والإجماع، وكان قوله

---

(١) وقد طبعت بالهند بالعربية والفارسية ولم أعثر على نسخة منها.

وسبب تأليف هذه الرسالة هو أن أحد تلامذته «الشيخ محمد معين بن محمد أمين التتري السندي صاحب كتاب دراسات اللبيب من الأسوة الحسنة بالحبيب» كتب إليه يستفسر عن شيخ الإسلام وما يثار عليه من الاعتراضات، فكتب له الجواب وبيّن له أن شيخ الإسلام ابن تيمية من العلماء الكبار وأنّه حقاً من المجدّدين.

هذه الرسالة طبعت في الهند ضمن مكتوبات شاه ولي الله الدهلوي وتوجد بأكملها في كتاب «الإمام المجدد المحدث ولي الله الدهلوي حياته ودعوته». طبعة دار ابن حزم.

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (١/ ١٥٢) وصححه الإمام أحمد وابن عبد البر (انظر إرشاد الساري للقسطلاني (١/ ٤)).

ذلك محتملاً وكان مجال ومساغ للخوض فيه، سواء كان قوله ذلك في أصول الدين، أو في المباحث الفقهية، أو في الحقائق الوجدانية، وعلى هذا الأصل اعتقدنا في الشيخ الأجل محي الدين محمد بن علي العربي[1] وفي الشيخ المجد، وأحمد بن عبد الأحد السهرندي[2] أنهما من صفوة عباد الله ولم نلتفت إلى ما قيل فيهما فكذلك[3] شيخ الإسلام ابن تيمية[4] رحمه الله فإنّا قد تحققنا من حاله أنه عالم بكتاب الله ومعانيه اللّغوية والشرعية، وحافظ لسنة رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم وآثار السلف، عارف بمعانيها اللّغوية والشرعية، أستاذ في النحو واللغة، محرّر لمذهب الحنابلة فروعه وأصوله، فائق في الذكاء، ذو لسان وبلاغة في الذب عن عقيدة أهل السنة، لم يؤثر عنه فسق ولا بدعة، اللّهم إلاّ هذه الأمور التي ضُيِّقَ عليه لأجلها، وليس شيء منها إلاّ ومعه دليله من الكتاب والسنة وآثار

---

(١) محمد بن علي بن محمد بن عربي المعروف بمحيي الدين، فيلسوف، له كتب أغلبها ضلالات كالفصوص والفتوحات والتي حذّر العلماء من قراءتها. (الأعلام ٢٨١/٦).

(٢) أحمد بن عبدالأحد السّهرندي ولد عام (٩٧١هـ = ١٥٦٣هـ) في سهرند، بين دهلي ولاهور، حبسه السلطان «بهانكير»، قيل لامتناعه عن السجود تعظيماً له. (الأعلام للزركلي ١٤٢/١، ١٤٣).

(٣) قال الشيخ محمد بن عبدالله بن حميد مفتي الحنابلة بمكة ما نصه: أما شيخ الإسلام ابن تيمية فإمام في التفسير، والحديث والفقه، والأصول والعربية، وقد مدحه أئمة أعلام منهم: عماد الدين الواسطي الشافعي، والحافظ الذهبي، والحافظ ابن دقيق العيد، والحافظ ابن سيد الناس المالكي، والعلامة ابن الوردي وغيرهم. وجمع الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي كتاباً سماه «الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر»، وذكر من أثنى عليه وشهد له بالفضل من أعيان العلماء فبلفظ سبعين وقرظ عليه غالب علماء عصره منهم: الحافظ ابن حجر العسقلاني، والعيني والبلقيني والتفهني والبساطي والبرهان الحلبي والقاضي أحمد ابن نصر الله وغيرهم، حتى إني رأيت في شرح الألفية في التاريخ الثناء التام عليه من التقي السبكي في مكاتبته إلى الحافظ الذهبي، نعم له رد عليه في مسألة الزيارة وقد رد بعض تلامذة ابن تيمية رحمه الله على السبكي رداً طويلًا، قرّب فيه الأمر، وأنه لا ينكر الزيارة مطلقاً. والله الموفق عفا الله تعالى عنه.

(٤) هذا قياس مع الفارق، أقول هذا إنصافاً وليس تعصباً، فشتان بين شيخ الإسلام ابن تيمية النبراس العلم وبين ابن عربي الذي غالب كتبه من الضلالات.

السلف، فمثل هذا الشيخ عزيز الوجود في العالم، ومن يطيق أن يلحق شأوه في تحريره وتقريره، والذين ضيّقوا عليه ما بلغوا معشار ما آتاه الله تعالى، وإن كان تضيقهم ذلك ناشئاً من اجتهاد، ومشاجرة العلماء في ذلك ما هي إلا كمشاجرة الصّحابة فيما بينهم، والواجب في ذلك كفّ اللّسان إلا بخير، وقد ذكر أنه قال: «إنّ الله تعالى فوق العرش» والتحقيق أنّ في هذه المسئلة ثلاث مقامات:

أحدها: البحث عمّا يصح إثباته للحقّ توفيقاً وعما لا يصح توقيفاً، والحق في هذا المقام أنّ الله تعالى أثبت لنفسه جهة الفوق، وأن الأحاديث متظاهرة على ذلك، نقل الترمذي ذلك عن الإمام مالك ونظرائه.

وثانيها: أنّ العقل هل يُجَوِّز كون مثل هذا الكلام حقيقة أو يوجب حمله على المجاز، والحق في هذا المقام أنّ العقل يوجب أنه ليس على ظاهره في نفس الأمر.

وثالثها: أنه هل يجب تأويله أو يجوز وقفه على ظاهره من غير تعيين المراد، والحق فيه أنه لم يثبت في حديث صحيح أو ضعيف أنه يجب تأويله، ولا أنه لا يجوز استعمال مثل تلك العبارات من الأمة، أخبرني أبو طاهر عن أبيه أنه قال: قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: لم ينقل عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم ولا عن الصحابة من طريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك يعني المتشابهات، ولا المنع من ذكره، ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل الله إليه من ربه وينزل عليه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1] ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته إلى الله تعالى مما لا يجوز، مع حثه على تبليغ الشاهد الغائب، حتى نقلّوا أقواله، وأفعاله، وأحواله، وما فعل بحضرته، فدلّ على أنهم اتفقوا على الإيمان على الوجه الذي أراد الله تعالى فيها[2]، وأوجب تنزيهه عن

(١) [سورة المائدة: الآية ٣].

(٢) في نسخة ب (فيه).

مشابهته المخلوقات بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم. انتهى.

وهذا الذي حقّقناه مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري رحمه الله عند التحقيق، أقرأني أبو طاهر المدني رضي الله عنه بخط أبيه أنّ الشيخ أبا الحسن قال في كتابه: إني على مذهب أحمد في مسألة الصّفات، وإنّ الله فوق العرش.

وكلام ابن تيمية محمول على المقام الأول والثالث، وإذا رجعنا إلى الوجدان فلا شك أنّ لله تعالى خصوصية مع العرش ليست مع غيره من مخلوقاته، ولا نجد عبارة في ذلك أفصح وأقرب من الاستواء على العرش، كما أنا لا نجد عبارة في انكشاف المسموعات والمبصرات أفصح من السمع والبصر والله أعلم بحقائق الأمور... ثم قال: وبعد فإني أذكر الله عز وجل كل مسلم في هذه المسألة وأمثالها، الله الله أن يسبّ أحدٌ من المسلمين عالماً مجتهداً في أمثال هذه. هذا آخر كلام الماتن رحمه الله.

ومن هنا قال الماتن رحمه الله بالفوق والاستواء في هذا المتن بعد ذلك، لأن الكتاب والسنة نطقت بهما، ولم يقل بالجهة هنا، لأن الشرع لم يرد بذلك اللفظ خاصة، وفي هذا جمع بين الأقوال المختلفة، بل بين النقل والعقل، وثبت أيضاً أنه رحمه الله ليس بمنكر للجهة على الإطلاق، بل هي ثابتة وحقة عنده في إحدى المراتب الثلاثة وهو المطلوب، وثبت أيضاً أنّ القول بالجهة منطوق النقل ونفيها مفهوم العقل، فمن أثبتها أثبتها بالنقل، ومن أنكرها أنكر بالعقل، وليس العقل من مسلماتنا سيما في العقائد حتى يتوجه إلينا إنكار المنكرين، ويلزم علينا رجعان النافين، لأن المنكر بواد والمثبت بواد.

طربنا لتعريض العذول بذكركم ... فنحن بواد والعذول بواد

قال مولانا الزائر رحمه الله: روى البيهقي عن الإمام أبي حنيفة

(١) [سورة الشورى: الآية ١١].

رحمه الله أنّ الله في السماء، وقال الإمام نفسه في الفقه الأكبر[1]: من قال لا أعرف ربّي في السماء أم في الأرض كفر، لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ وعرشه فوق سمواته.

وأبان الشيخ أبو الحسن الأشعري رحمه الله في الإبانة هذه العقيدة وقال بها، والشيخ عبد القادر الجيلاني الذي هو قطب الأولياء وغوث العرفاء على هذه العقيدة كما بيّنها في كتابه غنية الطالبين الذي هو من بدائع تحريراته المقدسة، فلازم حال المؤمنين بكتاب الله عز وجل وأحاديث المصطفى صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم وأرباب تقليد الإمام الهمام أبي حنيفة رحمه الله، والملتزمين لشيخ الأشاعرة، والمعتقدين للغوث الحق أن لا يتجاوزوا رأس شعرة عنها، بل يتلونوا بلون هذه العقيدة. انتهى مترجماً.

قال أبو الطيب[2]: ليست هذه الرواية المنسوبة إلى الإمام الأعظم رحمه الله في بعض نسخ الفقه الأكبر، وهي في بعضها موجودة، ويؤيد وجودها إيراد الحافظ ابن القيم رحمه الله إيّاها في النونية منسوبة إلى الفقه الأكبر[3]، ورواية البيهقي المتقدمة ونقل الثبت الثقة الزائر رحمه الله إياها، ولعل[4] أسقطها منه بعض من ليس من أهل هذه العقيدة.

---

(١) انظر شرح الفقه الأكبر ص (١٧١) والذهبي في العلوّ (٢/ ٩٣٦)، وشيخ الإسلام في الحموية ص (٢٥٧) وقال بعدها معلقاً عليها:
«ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه أنّه كفّر الواقف الذي يقول: لا أعرف ربي في السّماء أم في الأرض، فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول: ليس في السّماء ولا في الأرض».

(٢) هو صديق حسن خان.

(٣) قال ابن القيم رحمه الله في نونيته:

وكذا النعمان قال وبعده ... يعقوب والألفاظ للنعمان
من لم يقرّ بعرشه سبحانه ... فوق السماء وفوق كلّ مكان
ويقرّ أنّ الله فوق العرش لا ... يخفى عليه هواجس الأذهان
فهو الذي لا شكّ في تكفيره ... لله درّك من إمام زمان
هذا الذي في الفقه الأكبر عندهم ... وله شروح عِدّةٌ لبيان

(٤) في النسخة (ب): لعله.

قال البيهقي[(١)]: لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله فيما نفى عن الله عز وجل من الكون في الأرض، وأصاب فيما ذكر من تأويل الآية أي معناه وتبع مطلق السمع بأن الله في السماء كذا في تنزيه الذات.

وقال الإمام المتفق على علمه وورعه وموقعه في الدين ابن قتيبة في مختلف الحديث[(٢)]: ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرتهم وما ركبت عليه ذواتهم من معرفة الخالق، لعلموا أن الله عز وجل هو العلي الأعلىٰ، وأن الأيدي ترفع إليه بالدعاء، والأمم كلها عجميها وعربيها تقول: إنّ الله في السماء، ما تركت على فطرتها. انتهى.

وقال الشوكاني[(٣)] رحمه الله: وهكذا يقولون في مسألة الجهة، والأدلة في ذلك كثيرة في الكتاب والسنة، وقد جمع أهل العلم فيها سيما أهل الحديث مباحث طوّلوها بذكر آيات قرآنية وأحاديث صحيحة، فقد وقفت من ذلك على مؤلف بسيط في مجلد جمعه مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي رحمه الله استوفى فيه كل ما فيه دلالة على الجهة من كتاب أو سنة أو قول، والمسألة أوضح من أن يلتبس[(٤)] على عارف، وأبين من أن يحتاج فيها إلى التطويل، ولكنها لما وقعت فيها تلك القلاقل والزّلازل بين بعض الطوائف الإسلامية الحق فيها وفي مسألة الاستواء، وأطال خصوصاً بين الحنابلة وغيرهم من أهل المذاهب، فلهم في ذلك تلك الفتن الكبرى والملاحم العظمى، وما زالوا هكذا في عصر بعد عصر، والحق ما عرفناك من مذهب السلف الصالح، فالاستواء على العرش، والكون في تلك الجهة، قد صرح به القرآن الكريم في مواطن يكثر حصرها ويطول نشرها، وكذلك صرح به رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم في غير حديث؛ بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد المسلمين في نفسه، ويحسه في فطرته، وتجذبه إليه

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٣٣٨).

(٢) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص (١٨٢) مختصراً.

(٣) التحف في مذاهب السلف للشوكاني ص (٢٦، ٢٧) مختصراً.

(٤) في نسخة ب (تلتبس).

طبيعته كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه وتعالى، والتجى إليه، ووجه أدعيته إلى جنابه الرّفيع وعزه المنيع، فإنه يشير عند ذلك بكفه، أو يرمي بطرفه، ويستوي في ذلك عند عروض أسباب الدعاء، وحدوث بواعث الاستغاثة ووجود مقتضيات الانزعاج، وظهور دواعي الالتجاء، عالم الإنسان وجاهلهم، والماشي على طريقة السلف والمقتدي بأهل التأويل، فالسلامة والنّجاة في إمرار ذلك على الظّاهر، والإذعان بأنّ الاستقرار والكون على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكييف، والمأوّل غير مقتدٍ بالسلف، ولا واقف في طريق النجاة، ولا معتصم عن الخطأ، ولا سالك في طريق السّلامة والاستقامة. انتهى كلام الشوكاني(١) رحمه الله.

وهكذا قال خلق لا يحصون من أهل الحديث وغيرهم، ونقل الحافظ ابن القيم رحمه الله في إغاثة اللهفان(٢) عن أبي الوليد الرّشيد(٣) من كتابه مناهج الأدلّة ما نصه: وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله حتى نفتها المعتزلة ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشاعرة كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله... إلى أن قال: والشرائع كلّها مبنية على أنّ الله في السّماء، وأن منها تنزل الملٰئكة بالوحي إلى النّبيين، وأنّ من السمٰوات أنزلت الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، وجميع الحكماء قد اتفقوا على أنّ الله والملائكة في السماء، كما اتفق جميع الشرائع على ذلك(٤).

ثم ذكر تقرير ذلك بالعقول، وبين بطلان الشبهة التي لأجلها نفتها الجهمية ومن وافقهم إلى أن قال: قد ظهر لكم من هذا أن إثبات الجهة

---

(١) التحف في مذاهب السلف للشوكاني ص (٢٦، ٢٧).

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٣٧٠).

(٣) في المرجع السّابق: رشد، وهو الصحيح.

(٤) وممن نقل هذا الإجماع كذلك الشيخ عبد القادر الجيلاني في كتابه الغنية وابن القيم في نونيته حيث قال رحمه الله:

هذا وخامس عشرها الإجماع من ... رسل الإلٰه الواحد المنان

فالمرسلون جميعهم مع كتبهم ... قد صرّحوا بالفوق للرحمن

واجب بالشرع والعقل، وأن إبطاله إبطال الشرائع كلّها[1]. انتهى.

وقال الحافظ رحمه الله في حادي الأرواح[2]: وقد جمعنا في مسألة علو الرب تعالى على خلقه واستوائه على العرش وحدها سفراً متوسطاً، فهذا مذهب المستحقين لهذه البشرى[3] قولًا، وعملًا، واعتقاداً. انتهى وبالله التوفيق.

- (ولا يشار إليه) إشارة تشعر بكونه سبحانه وتعالى متمكناً في مكان أو متحيزاً بحيز، لأنّه لا يحويه مكان كما لا يحدّه زمان، بل كان قبل أن يخلق المكان والزّمان، وهو الآن على ما عليه كان.

- (بهنا) للقريب (وهناك) للبعيد، لأن ذلك يشعر بالتحديد وهو بريء عنه، ولا ينافي ذلك ما ورد في حديث الجارية حيث قال: «أين الله»؟ فأشارت إلى السّماء[4]، وفي حديث مسلم: فقال بإصبعه يرفعها إلى السماء[5]، وكان هذا بمرئى ومسمع من خلق لا يحصون إلى غير ذلك، لأن الإيمان بما جاء كما جاء واجب، وصرفه عن ظاهره وتأويله بما يخالفه باطل.

وقال علي الخواص رحمه الله: إيّاك أن تأوّل أخبار الصفات فإن في ذلك دسيسة من الشيطان ليفوت المؤمن الإيمان بعين ما أنزل الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾[6] وهذا المأوّل ما آمن حقيقة الإيمان إلا بما أوله بعقله ففاته الإيمان بعين ما أنزل الله تعالى فليتأمّل.

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ٣٧٠).

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص (٤٥١).

(٣) أي دخول الجنة، والكتاب الذي ألفه ابن القيم في علوّ الرب سبحانه وتعالى هو «اجتماع الجيوش الإسلامية في غزو المعطلة والجهمية».

(٤) حديث الجارية أخرجه مسلم (١/ ٣٨٢) برقم (٥٣٧) وأبو داود (٩٣٠، ٩٣١)، والدارمي (١/ ٣٥٣، ٣٥٤) والبيهقي (٢/ ٢٤٩، ٢٥٠) وابن أبي عاصم في السنّة (١/ ٢١٥) والذهبي في العلو.

(٥) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨).

(٦) [سورة البقرة: الآية ٢٨٥].

(ولا يصح عليه) الحركة، والتغير، والتبدل، والانتقال، وما ورد من النّزول إلى السماء الدنيا، والقعود على الكرسي، وما في معناها، فنؤمن بها كما جاء ولا نشتغل بكيفيتها، ولا تأويلها، ولا صرفها عن ظاهرها، وقد سئل الإمام الأعظم رحمه الله عن ذلك فقال: ينزل بلا كيف. وجمع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في ذلك مجلداً نفيساً لم يعهد مثله، وسماه كتاب: «النزول» فليرجع الطالب إليه وليعوّل عليه، فإنه يشفي العليل، ويروي الغليل.

(و) كذلك لا يصح عليه (التبدل في ذاته ولا في صفاته) وإلّا لزم أن يكون ذاته محلًا للحوادث وهو منزه عن ذلك.

(ولا الجهل ولا الكذب) لأنها نقائص يجب تنزيه الله تعالى عنه بالنقل والعقل، وأما خلف الوعيد فقيل جائز، لأنه كرم، والمحققون على خلافه، كيف وهو تبديل القول، وقد قال الله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾[١] أي بوقوع الخلف فيه، يعني لا تبديل ولا خلف فلا تطمعوا أن أبدل وعيدي، وقد أفرد علي القاري في ذلك رسالة سماها بـ «القول السديد في خلف الوعيد».

(وهو فوق العرش)[٢] (وفوق كل شيء إلى تخوم الشيء فوقيته لا تزيد تقرباً إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدّرجات عن العرش كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام كما لا يماثل ذاته ذات الأجسام، وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواءً منزهاً عن المماسة، والاستقرار، والتمكن، والحلول،

---

(١) [سورة ق: الآية ٢٩].

(٢) قال في مجمع البحار ذهبت طائفة من أهل الكتاب أنه فلك مستدير في جميع جوانبه محيط بالعالم وربما سموه الفلك التاسع وليس بجيد لأنه ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة ولا يكون الفلك كذا وأيضاً فإنه فوق الجنة وهي فوق السمٰوات وفيها مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فالبعد الذي بينه وبين الكرسي ليس هو نسبة فلك إلى فلك انتهى منه عفى الله تعالى عنه.

والانتقال، لا يحمله العرش، بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته.)

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله في وصيته: نقرّ بأن الله على العرش استوى من غير أن يكون له حاجة واستقرار عليه، وهو الحافظ للعرش وغير العرش، فلو كان محتاجاً لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق، ولو صار محتاجاً إلى الجلوس والقرار، فقبل الخلق أين كان الله تعالى؟ فهو منزه عن ذلك علواً كبيراً. انتهى[١].

قال علي القاري في شرح الفقه الأكبر[٢]: إعلم أنّ الإمام الأعظم صنف الفقه الأكبر في حال الحياة، والوصية عند الممات انتهى.

وإنما ذكرت ذلك ليعلم الناس أن الإمام مات على هذه العقيدة ولم يرجع عنها، وفي القول بالاستواء والفوق قول بالجهة عند أكثر أهل العلم من أصحاب الحديث والفقهاء، فلذلك تلفظ بعضهم بها، وعلى ذلك تدلّ أدلة السمع ونُقول العلماء والعرفاء، فأيما لفظ شئت فقال[٣] فالمقصود واحد.

عباراتنا شتى وحسنك واحد　　وكل إلى ذاك الجمال يشير

فالذي قال بالفوق والعلو فقد قال بالجهة وإن لم يتكلم بها، والذي قال بالجهة فقد قال بالعلوّ والفوق لا بشيء آخر، فحاصل الأمرين واحد كما قيل:

خذا بطن هرشاً[٤] أو قفاها فإنما　　كلا جانبي هرشا[٥] لهن طريق

(١) انظر شرح الفقه الأكبر ص (٦١).

(٢) انظر شرح الفقه الأكبر ص (١٦٩).

(٣) في نسخة ب (فقل).

(٤)(٥) في نسخة ب (هرشى).

قال الشيخ الجيلاني رحمه الله في الغنية[1] في ذكر مقالة السالمية: هي منسوبة إلى ابن سالم، ومن قولهم: إن الله تعالى في كلّ مكان، ولا فرق بين العرش وغيره من الأمكنة، وفي القرآن تكذيبهم قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[2] ولا يقال على الأرض استوى، ولا على بطون الحبالى[3] والجبال وغير ذلك من الأمكنة. انتهى.

وفي اليواقيت، سمعت سيدي علي[4] الخواص رحمه الله يقول: لا يجوز أن يقول: إنّ الله تعالى في كل مكان كما يقوله المعتزلة والقدرية محتجين بنحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾[5] لإيهامه أنه يحلّ بذاته في ذلك المكان[6]. انتهى.

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله في الباب الثامن من كتابه حادي الأرواح في بيان عقيدة أحمد رحمه الله وغيره من أهل السنة والحديث ما نصه[7]: خلق سبع سموات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض العليا والسّماء الدّنيا مسيرة خمسمائة عام، وبين كلّ سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء العليا السابعة، وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء، والله عز وجل على العرش، والكرسي موضع قدميه، وهو يعلم ما في السمٰوات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى، وما في قعر البحر، ومنبت كل شعرة وشجرة، وكل زرع، وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد كل كلمة، وعدد الرمل والحصى والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد، وآثارهم، وكلامهم، وأنفاسهم، ويعلم كل شيء، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو على العرش فوق

---

(١) الغنية لطالبي طريق الحق للشيخ الجيلاني (١/١١٨).
(٢) [سورة طه: الآية ٥].
(٣) محذوفة من كتاب الغنية.
(٤) في نسخة ب (علياً).
(٥) [سورة الأنعام: الآية ٣].
(٦) اليواقيت والجواهر للشعراني.
(٧) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص ٨٠).

السماء السابعة، ودونه حجب من نار ونور وظلمة وما هو أعلم بها، فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[1] وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[2] وقوله: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾[3] وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾[4] ونحو هذا من متشابه به القرآن فقال إنما يعني بذلك العلم، لأنّ الله تعالى على العرش فوق السّماء السّابعة العليا يعلم ذلك كلّه، وهو بائن من خلقه لا يخلو عن علمه مكان. انتهى.

ثم قال: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله: هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة، المتمسكين بعروتها، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها، من لدن أصحاب نبينا صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم إلى يومنا هذا، وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها، فهو مخالف مبتدع، خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق. انتهى.

ثم ساق أقوالهم، قال ابْن مسعود رضي الله عنه: الله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم[5]، وقال الأوزاعي: كنا والتابعين نقول أن الله عز وجل فوق عرشه وعرشه فوق سمٰواته أخرج البيهقي[6] رحمه الله، وقال

---

(١) [سورة ق: الآية ١٦].

(٢) [سورة الحديد: الآية ٤].

(٣)(٤) [سورة المجادلة: الآية ٧].

(٥) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص (٤٣) وابن خزيمة في صحيحه ص (٧٠) وفي التوحيد (ص ٧٠) وفي التوحيد (ص ١٠٦) والذهبي في العلو (١٠٣) مختصراً، وقال الألباني رحمة الله فيه: وسندهم جيّد.

(٦) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٤) والذهبي في العلوّ (٢/ ٩٤١). وصحح إسناده في تذكرة الحفاظ (١/ ١٨١، ١٨٢) وقال شيخ الإسلام في العقيدة الحموية (١/ ٤٣١) من مجموعة الرسائل الكبرى: إسناده صحيح. وقال ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٦): أخرج البيهقي بسند جيد عن الأوزاعي.. وساق الأثر.

مقاتل بن حبان[1]: بلغنا أنه قريب بعلمه وهو فوق عرشه[2]، وقال علي بن مهدي الطبري رحمه الله: إنّه تعالى فوق كلِّ شيء، ومستوٍ على عرشه، بمعنى أنّه عال عليه[3]، وقال الطحاوي رحمه الله: هو محيط بكل شيء وفوقه[4].

وقال الحافظ الآجري: الذي ذهب إليه أهل العلم: أنّ الله تعالى على عرشه فوق سمٰواته وعلمه محيط بكل شيء[5].

وقال الهروي صاحب التهذيب: الله تعالى على العرش ويجوز أن يقال في المجاز: هو في السماء، لقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[6].

قال ابن القيم رحمه الله في حادي الأرواح[7]: هذه الآية يعني «ثم استوى على العرش يعلم ما يلج» إلخ من أول شيء على مباينة الرب لخلقه، فإنه لم يخلقهم في ذاته، بل خلقهم خارجاً عن ذاته ثم بان عنهم باستوائه على عرشه، وهو يعلم ما هم عليه ويراهم، وينفذهم بصره، ويحيط به علماً وقدرة، وإرادة، وسمعاً، وبصراً، فهذا معنى كونه سبحانه «معهم أينما كانوا» انتهى.

وقال في إعلام الموقعين[8]: ذكر أحمد رحمه الله الاحتجاج على إبطال قول من عارض السنن بظاهر القرآن وردها بذلك، وهذا فعل الذين

---

(١) في النسخة ب: حيان.

(٢) أخرجه الذهبي في العلو (٢/ ٩٤٤) بلفظ: عن مقاتل بن حيان في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [سورة المجادلة: الآية ٧]. قال: هو على عرشه وعلمه معهم. وانظر كتاب العرش للذهبي (ص ١٩٢).

(٣) العرش للذهبي (ص ٣١٨).

(٤) العلو للذهبي (٢/ ١٢٣٧) ومختصره ص (٢٣٦).

(٥) العلو للذهبي (٢/ ١٢٦٧) ومختصره ص (٢٤٦) واجتماع الجيوش الإسلامية (١١٥).

(٦) [سورة الملك: الآية ١٦].

(٧) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص (٨٠).

(٨) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٢/ ٢٠٩).

يتمسكون بالمتشابه في رد المحكم، فإن لم يجدوا لفظاً متشابهاً غير المحكم يردّونه استخرجوا من المحكم وصفاً متشابهاً بها وردوه به، فلهم طريقان في رد السنن، أحدهما: ردّها بالمتشابه من القرآن أو من السنن، الثاني: جعلهم المحكم متشابهاً ليعطلوا دلالته، وأمّا طريقة الصّحابة والتابعين وأئمة الحديث كالشافعي والإمام أحمد رحمه الله ومالك وأبي حنيفة رحمهما الله وأبي يوسف والبخاري وإسحاق فعكس هذه الطريق، وهي أنهم يردون المتشابه إلى المحكم، ويأخذون من المحكم ما يفسّر لهم المتشابه، ويبيّنه لهم، فيتفق دلالته مع دلالة المحكم، ويوافق النصوص بعضها بعضاً، ويصدق بعضها بعضاً، فإنّها كلّها من عند الله، وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض، وإنّما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره، ولنذكر لهذه الأصل أمثلة لشدة حاجة كلّ مسلم إليه أعظم من حاجته إلى الطعام والشراب.

المثال الأول[1]: ردهم المحكم المعلوم بالضرورة أن الرسل جاؤوا به من إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه بمتشابه قول الله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[2] وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[3] وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾[4] ونحو ذلك، تحيلوا وتمحلوا[5] حتى ردوا العلو والفوقية بمتشابه.

المثال الثاني[6] وقد تقدم ذكره مجملًا فلنذكره هٰهنا مفصلًا: ردّ

---

(١) في إعلام الموقعين هذا المثال الثاني.
(٢) [سورة الحديد: الآية ٤].
(٣) [سورة ق: الآية ١٦].
(٤) [سورة المجادلة: الآية ٧].
(٥) في نسخة ب (وتمعلوا).
(٦) هذا المثال الثاني عشر في إعلام الموقعين أمّا المثال (١، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١) فقد حذفها الشارح اختصاراً وهي موجودة في إعلام الموقعين.

الجهمية النصوص المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه، وكونه فوق عباده من ثمانية عشر نوعاً:

أحدها: التصريح بالفوقية مقرونة بأداة من المعنية لفوقية الذات نحو: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[1].

الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[2].

الثالث: التصريح بالعروج إليه نحو: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[3] وقول النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم»[4].

الرابع: التصريح بالصّعود إليه كقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[5].

الخامس: برفعه بعض المخلوقات إليه كقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[6] وقوله: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾[7] إلي.

السادس: التصريح بالعلو المطلق الدالّ على جميع مراتب العلو ذاتاً وقدراً وشرفاً كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[8] ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[9].

السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه كقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾[10] ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[11] ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾[12]

---

(١) [سورة النحل: الآية ٥٠].
(٢) [سورة الأنعام: الآية ١٨].
(٣) [سورة المعارج: الآية ٤].
(٤) أخرجه البخاري برقم (٥٥٥) ومسلم برقم (٦٣٢).
(٥) [سورة فاطر: الآية ١٠].
(٦) [سورة النساء: الآية ١٥٨.].
(٧) [سورة آل عمران: الآية ٥٥].
(٨) [سورة البقرة: الآية ٢٥٥].
(٩) [سورة سبأ: الآية ٢٣].
(١٠) [سورة الزمر: الآية ١].
(١١) [سورة فصلت: الآية ٤٢].
(١٢) [سورة النحل: الآية ١٠٢].

وهذا يدل على شيئين: على أن القرآن ظهر منه لا من غيره، وأنّه الذي تكلم به لا غيره. الثاني: على علوه على خلقه، وأنّ كلامه نزل به الروح الأمين من عنده من أعلى مكان إلى رسوله.

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾[1] وقوله: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾[2] ففرّق بين من له عموماً ومن عنده من مماليكه وعبيده خصوصاً، وقول النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه: «إنه عنده على العرش»[3].

التاسع: التصريح بأنّه سبحانه في السماء، وهذا عند أهل السنة على أحد وجهين: إمّا أن يكون «في» بمعنى «على»، وإما أن يراد بالسماء العلوّ لا يختلفون في ذلك ولا يجوز حمل النصّ على غيره.

العاشر: التصريح بالاستواء مقروناً بأداة «على» مختصّاً بالعرش هو أعلى المخلوقات، مصاحباً في الأكثر لأداة «ثم» الدالة على الترتيب والمُهْلة، وهو بهذا السّياق صريح في معناه الذي لا يفهم المخاطبون غيره من العلوّ والارتفاع، ولا يحتمل غيره البتة.

الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إلى الله سبحانه كقوله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: إن الله يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفراً[4].

الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفل[5].

---

(١) [سورة الأعراف: الآية ٢٠٦].

(٢) [سورة الأنبياء: الآية ١٩].

(٣) الحديث أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٢) ومسلم برقم (٢٧٥١).

(٤) أخرجه أبو داود برقم (١٤٨٨) والترمذي برقم (٣٥٥٦) وابن ماجه برقم (٣٨٦٥) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (١٣٢٠).

(٥) في إعلام الموقعين: أسفل.

الثالث عشر: الإشارة إليه حسّاً إلى العلوّ كما أشار إليه من هو أعلم به وبما يجب له ويمتنع عليه من أفراخ الجهمية والمعتزلة والفلاسفة في أعظم مجمع على وجه الأرض برفع أصبعه إلى السماء ويقول: «اللّهم اشهد»[١] ليشهد الجميع أن الرَبّ الذي أرسله ودعا إليه واستشهده هو الذي فوق سمٰواته على عرشه.

الرابع عشر: التصريح بلفظ الأين الذي هو عند الجهمية بمنزلة متى في الاستحالة، ولا فرق بين اللّفظين ألبتة، فالقائل أين الله، ومتى كان الله؟ عندهم سواء، كقول أعلم الخلق به وأفهمهم لأمته وأعظمهم بياناً عن المعنى الصحيح بلفظ لا يوهم باطلًا بوجه: «أين الله»[٢] في غير موضع.

الخامس عشر: شهادته التي هي أصدق شهادة عند الله والملٰئكة وجميع المؤمنين لمن قال أن ربّه في السّماء بالإيمان، وشهد عليه أفراخ جهم بالكفر، وصرّح الشافعي رحمه الله بأنّ هذا الذي وصفته من أن ربها في السماء إيماناً، فقال في كتابه باب عتق الرقبة المؤمنة: وذكر حديث الأمة السّوداء الذي سودت[٣] وجوه الجهمية وبيضت[٤] وجوه المحمدية فلما وصفت الإيمان قال: اعتقها فإنها مؤمنة، وهي إنّما وصفت كون ربها في السماء، وأن محمداً عبده ورسوله، فقرنت بينهما بالذكر، فجعل الصادق المصدوق مجموعهما هو الإيمان.

السادس عشر: إخباره سبحانه عن فرعون أنه رام الصّعود إلى السماء ليطلع إلى إلٰه موسى فيكذبه فيما أخبر به من أنه سبحانه فوق السمٰوات فقال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾[٥] فكذب فرعون موسى في إخباره إياه

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٧٤١) ومسلم برقم (١٢١٨).

(٢) حديث الجارية سبق تخريجه.

(٣) في نسخة ب (سود).

(٤) في نسخة ب (بيض).

(٥) [سورة غافر: الآيتان ٣٦، ٣٧].

بأن ربه فوق السماء، وعند الجهمية[1] لا فرق بين الإخبار بذلك وبين الإخبار بأنه يأكل ويشرب، وعلى زعمهم يكون فرعون قد نزّه الربّ عما لا يليق به، وكذب موسى وإخباره بذلك أو من قال عندهم أن ربّه فوق السموات فهو كاذب، فهم في هذا التكذيب موافقون لفرعون، مخالفون لموسى ولجميع الأنبياء، ولذلك سمّاهم أئمة السنة: «فرعونية»، قالوا: وهم شرّ من الجهمية، فإنّ الجهمية يقولون: إن الله في كلّ مكان بذاته، وهؤلاء عطّلوه بالكلّية، وأوقعوا عليه الوصف المطابق للعدم المحض، فأي طائفة من طوائف بني آدم أثبتت الصّانع على أي وجه كان قولهم خيراً من قولهم.

السابع عشر: إخباره صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم أنه تردد بين موسى وبين الله ويقول له موسى: ارجع إلى ربك فاسأله فيرجع إليه، ثم ينزل إلى موسى فيأمره بالرجوع إليه سبحانه، فيصعد إليه، ثم ينزل من عنده إلى موسى عدة مرات.

الثامن عشر: إخباره تعالى عن نفسه، وإخبار رسوله عن أن المؤمنين يرونه عياناً كرؤية الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر، الذي يفهمه الأمم على اختلاف لغاتها وأوهامها من هذه الرؤية رؤية المقابلة والمواجهة التي تكون بين الرائي والمرئي فيها مسافة محدودة، غير مفرطة في البعد فيمتنع الرؤية ولا في القرب فلا يمكن[2] الرؤية، لا تعقل الأمم غير هذا، فإما أن يرونه سبحانه من تحتهم تعالى الله، أو من خلفهم، أو من أمامهم، أو عن أيمانهم، أو عن شمائلهم، أو من فوقهم، لا بد من قسم من هذه الأقسام إن كانت الرؤية حقاً، وكلّها باطل سوى رؤيتهم له من فوقهم، كما في حديث جابر الذي في المسند وغيره[3] «بينا أهل الجنة نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل

---

(١) في نسخة ب (المعطلة).

(٢) في نسخة ب (تمكن).

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/١١، ١٢) الحديث أخرجه ابن ماجه برقم (١٨٠) وضعفه الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع برقم (٢٣٦٣).

الجنة سلام عليكم ثم قرأ قوله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾[1] ثم يتوارى عنهم وتبقى رحمته وبركته عليهم في ديارهم» ولا يتم إنكار الفوقية إلا بإنكار الرؤية، ولهذا قرَّر الجهمية أصلهم وصرحوا بذلك وركّبوا النفيين معاً، وصدّق أهل السنة بالأمرين معاً وأقروا بهما، وصار من أثبت الرؤية ونفى علو الرب على خلقه واستوائه على عرشه، مذبذباً بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فهذه أنواع من الأدلة السمعية المحكمة إذا بسطت أفرادها كانت ألف دليل على علو الربّ على خلقه واستوائه على عرشه، فترك الجهمية ذلك كله وردوه بالمتشابهة من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[2] ورد زعيمهم المتأخر بقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾[3] وبقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[4] ثم ردّوا تلك الأنواع كلّها متشابهة[5]، فسلّطوا المتشابه على المحكم وردّوه به، ثم ردّوا المحكم متشابهاً، فتارة يحتجون به على الباطل، وتارة يدفعون به الحق، ومن له أدنى بصيرة يعلم أنه لا شيء في النّصوص أظهر ولا أبين دلالة من مضمون هذه النصوص، فإذا كانت متشابهة فالشريعة كلها متشابهة وليس فيها شيء محكم ألبتة، ولازم هذا القول لزوماً لا محيد عنه أنّ ترك الناس بدونها خير لهم من إنزالها إليهم أوسمتهم وأفهمتهم غير المراد وأوقعتهم في اعتقاد الباطل ولم يتبين لهم ما هو الحق في نفسه، بل أحيلوا فيه على ما يستخرجونها بعقولهم وأفكارهم ومقايسهم، فنسأل الله مثبت القلوب تبارك وتعالى أن يثبت قلوبنا على دينه وما بعث به رسوله من الهدى ودين الحق، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا الله، إنه قريب مجيب، هذا آخر كلام إعلام الموقعين[6].

---

(١) [سورة يس: الآية ٥٨].
(٢) [سورة الحديد: الآية ٤].
(٣) [سورة الصمد: الآية ١].
(٤) [سورة الشورى: الآية ١١].
(٥) في نسخة ب متشابه.
(٦) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ٢٠٩، ٢١٧).

وقال[1] شيخ الإسلام وحجة المسلمين ابن تيمية رضي الله تعالى عنه في مسألة الاستواء هل هو حقيقة أم مجاز[2]؟ ما نصه ملخصاً: القول في الاستواء والنزول كالقول في سائر الصفات التي وصف الله نفسه به في كتابه وعلى لسان رسوله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، فإن الله تعالى سمى نفسه بأسماء، ووصف نفسه بصفات، فالقول في بعض هذه الصفات كالقول في بعض.

ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن نصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلّى الله علبه وآله وأصحابه وسلم، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه، ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين، بل هو سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3] ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ومذهب السّلف مذهب بين مذهبين، وهدىً بين الضلالتين، إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات، فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ﴾ ردّ على أهل التشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ردّ على أهل النفي والتعطيل، الممثّل أعشى، والمعطل أعمى، والممثل يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً، ومعلُوم بالاضطرار من دين الإسلام أنه لا يجوز إطلاق النفي على ما أثبته الله تعالى لنفسه من الأسماء الحسنى والصّفات، بل هذا جحد الخالق وتمثيل له

---

(١) وقال رحمه الله في كتابه الذي صنفه في بيان حديث النزول: هو بكل مكان يراك لا يخفى عليه شيء مما في الأماكن، فهو فيها بالعلم بها والإحاطة فكيف يسوغ لأحد أن يقول إنه بكل مكان على الحلول مع قوله الرحمٰن على العرش استوى أي استقر، قال تعالى: «فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك» أي استقررت، ومع قوله: «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» أو يرتفع إليه عمل هو عنده، وكيف تعرج الملائكة والروح إليه يوم القيامة وتعرج بمعنى تصعد يقال إلى السماء إذا صعد والله ذو المعارج والمعارج الدرج فما هذه الدرج وإلى من تودي الملائكة الأعمال إذا كان بالمحل الأعلى مثله بالمحل الأولى، انتهى منه رحمه الله.

(٢) انظر الجواب كاملًا في مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٤).

(٣) [سورة الشورى: الآية ١١].

بالمعدومات، وقد قال أبو عمر بن عبد البر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا ينفون شيئاً من ذلك، ولا يجدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والخوارج فينكرونها، ولا يحملونها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقرّ بها مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود لا مثبتون، والحق فيما قاله القائلون مما نطق به الكتاب والسنة وهم أئمة الجماعة.

هذا الذي حكاه ابن عبد البر[1]، ومن أنكر أن يكون شيء من هذه الأسماء والصفات حقيقة، فإنما أنكر لجهله لمسمى الحقيقة أو لكفره وتعطيله لما يستحقه رب العالمين، وذلك أنه قد يظن أنّ إطلاق ذلك يقتضي أن يكون المخلوق مماثلًا للخالق، فيقال له: هذا باطل، فإن الله موجود حقيقة والعبد موجود حقيقة، وله تعالى ذات حقيقة والعبد له ذات حقيقة، وليس ذاته تعالى كذات المخلوقات، وكذلك له علم وسمع وبصر حقيقة، وللعبد سمع وبصر وعلم حقيقة، وليس علمه وسمعه وبصره مثل علم العبد وسمعه وبصره، ولله كلام حقيقة، وليس كلام الخالق مثل كلام المخلوقين، والله استوى على عرشه حقيقة، وللعبد استواء على الفلك حقيقة، وليس استواء الخالق كاستواء المخلوق، فإنّ اللّه لا يفتقر إلى شيء ولا يحتاج إلى شيء! بل هو الغني عن كل شيء، والله تعالى يحمل العرش وحملته بقدرته، ويمسك السموات والأرض أن تزولا، فمن ظن أن معنى قول الأئمة: الله مستوٍ على عرشه حقيقة، يقتضي أن يكون استواءه مثل استواء العبد على الفلك والأنعام، لزمه أن يكون قولهم: إن الله له علم حقيقة، وسمع وبصر حقيقة، وكلام حقيقة، يقتضي أن يكون علمه، وسمعه، وبصره، وكلامه مثل علم المخلوقين، وسمعهم، وبصرهم، وكلامهم، فمن ظن أنّ الحقيقة إنما يتناول صفة العبد المخلوقة دون صفة الخالق كان في غاية الجهل، فإن صفة الله أكمل وأتم وأحق بهذه الأسماء

---

(١) انظر كلام ابن عبد البر كاملًا في هذه المسألة في التمهيد (٧/ ١٢٨، ١٥٩).

الحسنى، فلا نسبة بين صفة العبد وصفة الرب، كما لا نسبة بين ذاته وذاته، فكيف يكون العبد مستحقاً للأسماء الحسنى حقيقة، والرب لا يستحق ذلك إلا مجازاً؟ ومعلوم أنّ كلّ كمال حصل للمخلوق فهو من الخالق سبحانه وتعالى فله المثل الأعلى، فكل كمال حصل للمخلوق فالخالق أحق به، وكل نقصٍ يُنزه عنه مخلوق فالحق أحق أن ينزه عنه، ولهذا كان للّه المثل الأعلى فإنّه لا يقاس بخلقه، ولا يمثل بهم، ولا تضرب له الأمثال، فلا يشترك هو والمخلوق ولا في قياس، ومذهب أهل السنة والجماعة إثبات الصّفات لله تبارك وتعالى، بل صفات الكمال لازمة لذاته يمتنع ثبوت ذاته بدون صفات الكمال اللّازمة له، بل يمتنع تحقق ذات من الذّوات عرية عن جميع الصفات، وهذا كلّه مبسوط في غير هذا الموضع.

فإذا قال: وجود الله، وذات الله، وعلم الله، وقدرة الله، وسمع الله، وبصر الله، وكلام الله، ورحمة الله، وغضب الله، واستواء الله، ونزول الله، ومحبة الله، ونحو ذلك كانت هذا الأسماء كلّها حقيقة لله تعالى من غير أن يدخل فيها شيء من المخلوقات، ومن غير أن يماثله فيها شيء من المخلوقات، وإذا قال وجود العبد، وذاته، وماهيته، وعلمه، وقدرته، وسمعه، وبصره، وكلامه، واستوائه[1]، ونزوله، كان هذا حقيقة للعبد مختصة به من غير أن يماثل[2] صفاته صفات الله تعالى، بل أبلغ من ذلك أنّ الله أخبر أن في الجنة من المطاعم، والمشارب، والملابس، والمناكح، والمساكن ما ذكره في كتابه، كما ذكر أنّ فيها لبناً، وعسلًا، وخمراً، ولحماً، وحريراً، وذهباً، وفضة، وحوراً، وقصوراً، وغير ذلك، وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ليس في الدنيا ممّا في الآخرة إلّا الأسماء، فتلك الحقائق التي في الجنة ليست مماثلة لهذه الحقائق التي في الدنيا. وإن كانت متشابهة لها من بعض الوجوه، والاسم يتناولهما حقيقة،

(١) أي وجود استواء العبد.

(٢) في نسخة ب تماثل.

ومعلوم أن الخالق أبعد عن مشابهة المخلوق، والمخلوق عن مشابهة الخالق، فكيف يجوز أن يظن فيما أثبته الله تعالى من أسمائه وصفاته مماثلًا لمخلوقاته؟ وأن يقال: ليس ذلك بحقيقة؟ وهل يكون أحق بهذه الأسماء الحسنى والصفات العليا من رب السموات والأرض؟ مع أن مباينتها للمخلوقات أعظم من مباينة كل مخلوق لكل مخلوق، والجاهل يَضِلُّ بأن: يقول العرب إنّما وضعوا لفظ الاستواء لاستواء الإنسان على السرير أو الفُلك، أو استواء السّفينة على الجوديّ، ونحو ذلك من استواء بعض المخلوقات، فهو كما يقول القائل: إنما وضعوا لفظ السمع والبصر والكلام لما يكون محلّه حدقة وأجفانا، أصمخة وآذاناً، وشفتين ولسانا، وإنما وضعوا لفظ العلم، والرحمة، والإرادة، لما يكون محلّه مضغة لحم وفؤاد، وهذا كلّه جهل منه، فإن العرب إنما وضعت للإنسان ما أضافت إليه، فإذا قالت: سمع العبد، وبصره، وكلامه، وعلمه، وإرادته، ورحمته، مما يختص به، يتناول ذلك خصائص العبد، وإذا قيل: سمع الله، وبصره، وكلامه، وعلمه، وإرادته، ورحمته، كان هذا متناولًا لما يختص به الرب لا يدخل في ذلك شيء من خصائص المخلوقين، وكذلك إذا قيل: استواء الربّ، فهذا الاستواء المضاف إلى الله كالعلم، والسمع، والبصر، المضاف إلى الله، لا يجوز أن يتناول ذلك شيئاً من خصائص المخلوقين، وهؤلاء الجهال يتمثلون في ابتداء فهمهم صفات الخالق بصفات المخلوق ثم ينفون ذلك ويعطلونه فلا يفهمون من ذلك إلا ما يختص بالمخلوق، وينفون مضمون ذلك، فيكونون قد جحدوا ما يستحقه الربّ من خصائصه وصفاته، وألحدوا في أسماء الله تعالى وآياته، وخرجوا عن القياس العقلي والنّص الشرعي، فلا يبقى بأيديهم لا معقول صريح ولا منقول صحيح، ثم لا بد لهم من إثبات بعض ما يثبته أهل الإثبات من الأسماء والصّفات، فإذا أثبتوا البعض ونفوا البعض قيل لهم: ما الفرق بين ما أثبتموه وما نفيتموه؟ ولم كان هذا حقيقة ولم يكن هذا حقيقة؟ لم يكن لهم جواب أصلًا، وظهر بذلك جهلهم وضلالهم شرعاً وعقلًا، ونظائر ذلك كثيرة، فمن ظن أنّ أسماء الله تعالى وأسماء صفاته إذا كانت حقيقة لزم أن يكون مماثلًا

للمخلوقين، أو أن يكون صفاته مماثلة لصفاتهم، كان من أجهل النّاس، وكان أول كلامه سفسطه وآخره زندقة، لأنه يقتضي نفي جميع أسماء الله وصفاته، وهذا هو غاية الزندقة والإلحاد، وإن فرّق بين صفة وصفة مع تساويهما في أسباب الحقيقة والمجاز كان متناقضاً في قوله، متهافتاً في مذهبه، مشابهاً لمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض.

وإذا تأمّل اللّبيب الفاضل هذه الأمور تبيّن له أن مذهب السّلف والأئمة في غاية الاستقامة والسّداد، والصحة والاطراد، وأنه مقتضى العقل الصريح والمنقول الصحيح، وأنّ من خالفه كان مع تناقض قوله المختلف الذي يؤفك عنه من أفك خارجاً عن موجب العقل والسمع، مخالفاً للفطرة والشرع، والله يتمّ نعمته علينا وعلى سائر إخواننا المسلمين المؤمنين، ويجمع لنا ولهم خير الدنيا والآخرة. انتهى كلام شيخ الإسلام.

ولتلميذه الشيخ الإمام الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى مجلد مستقل في هذه المسألة سماها «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» ذكر فيه مجلس المذاكرة بين المثبت والمعطل، ورجح القول بالاستواء بالأدلة الأربعة فنذكر[1] منه هنا المجلس المذكور، وهو هذا[2].

قال رحمه الله: وكان من قدر الله وقضائه أن جمع مجلس المذاكرة بين مثبت للصّفات والعلو، وبين معطل لذلك، فاستطعم المعطل المثبت الحديث استطعام غير جائع إليه، ولكن غرضه عرض بضاعته عليه، فقال له: ما تقول في القرآن ومسألة الاستواء؟ فقال المثبت: نقول فيها ما قاله ربنا تبارك وتعالى وما قاله نبينا صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، نَصِفُ الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تشبيه، ولا تمثيل، بل نثبت له سبحانه ما أثبته لنفسه من الأسماء والصّفات، وننفي عنه النقائص والعيوب، ومشابهته المخلوقات، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، فمن شبّه الله بخلقه فقد

(١) في نسخة ب فنذكر.

(٢) انظر شرح القصيدة النونية للشيخ محمد خليل هراس (١/١٣، ١٤).

كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيهاً، فالمشبه يعبد [صنماً والمعطل يعبد عدماً][1] يعبد إلٰهاً واحداً صمداً ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2].

والكلام في الصفات كالكلام في الذات، فكما أنّا نثبت ذاتاً لا تشبه الذوات، فكذا نقول في صفاته أنها لا تشبه الصفات، فليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فلا نشبِّه صفات الله بصفات المخلوقين، ولا نزيل عنه سبحانه صفة من صفاته لأجل شناعة المشنعين وتلقيب المفترين، كما أنا لا نبغض أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم لتسمية الرّوافض لنا نواصب، ولا نكذب بقدر الله ونجحد كمال مشيئته وقدرته لتسمية القدرية لنا مجبرة، فلا[3] نجحد صفات ربنا تبارك وتعالى لتسمية الجهمية والمعتزلة لنا مجسمة مشبهة حشوية[4].

فإن كان تجسيماً ثبوت صفاته لديكم فإني اليوم عبد مجسم

ورضي الله عن الشّافعي رحمه الله تعالى إذ[5] يقول:

إن كان رفضاً حبُّ آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي

وقدس الله روح القائل وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إذا يقول:

إن كان نصباً حبّ صحب محمد فليشهد الثقلان أني ناصبي

ونقول[6]: إن الله فوق سمٰواته مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه،

---

(١) سقطت من نسخة (أ).
(٢) [سورة الشورى: الآية ١١].
(٣) في المرجع السابق: ولا.
(٤) في المرجع السابق: ورحمة الله على القائل:
(٥) في المرجع السابق حيث.
(٦) توجد فقرة من الكلام محذوفة اختصاراً فلتتنبّه.

ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، وأنه تعالى إليه يصعد الكلم الطيب، وتعرج الملائكة والروح إليه، وأنه يدبر الأمر من السّماء إلى الأرض ثم يعرج إليه، وأن المسيح رفع بذاته إلى الله، وأن رسول الله صلّى الله عليه [وعلى وآله وأصحابه][1] وسلّم عرج به إلى الله حقيقة، وأن أرواح المؤمنين تصعد إلى الله عند الوفاة فتعرض عليه وتقف بين يديه، وأنّ[2] الله هو القاهر فوق عباده، وهو العلي الأعلى، وأن المؤمنين والملٰئكة المقربين يخافون ربّهم من فوقهم، وأن أيدي السّائلين ترفع إليه، وحوائجهم تعرض عليه، وأنه[3] سبحانه العلي الأعلى بكل اعتبار.

فلَمّا سمع المعطّل منه ذلك أمسك، ثم أسرّها في نفسه وخلا بشياطينه وبني جنسه، وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول، وأضاف المكر والاحتيال، وراموا أمراً يستحمدون به إلى نظرائهم من أهل البدع والضلال، وعقدوا مجلساً بيّنوا في مساء يومه ما لا يرضاه الله من القول، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ وأتوا في مجلسهم ذلك بما قدروا عليه من الهذيان، واللّفظ، والتخليط، وراموا استدعاء المثبت إلى مجلسهم الذي عقدوا ليجعلوا نزله عند قدومه عليهم ما لفّقوه من المكر ونوّهوه[4]، فحبس الله سبحانه أيديهم وألسنتهم، فلم يتجاسروا عليه، وردّ الله كيدهم في نحورهم[5] فلم يصلوا بالسّوء إليه، وخذلهم المطاع فمزقوا ما كتبوه من المحاضر، وقلب الله قلوب أوليائه وجنده عليهم من كل بادٍ وحاضر، وأخرج النّاس لهم من المخبيات[6] كمائنها[7]، ومن الجوائف والمنقلات

---

(١) محذوفة من المرجع السابق.

(٢) في المرجع السّابق وأنه تعالى.

(٣) في الكافية الشّافية: فإنّه.

(٤) في المرجع السّابق: وتمموه فحبس الله عنه.

(٥) في نسخة ب في نحرهم.

(٦) في الكافية الشافية: المخبآت.

(٧) في نسخة ب كنائنها.

دفائنها[^1]، وقوى الله جأش المثبت، وثبت قلبه ولسانه، وشيّد بالسنة المحمدية بنيانه، فسعى في عقد مجلس بينه وبين خصومه عند السّلطان، وحَكّم [على نفسه][^2] كتب شيوخ القوم السّالفين وأئمتهم المتقدّمين، وأنّه لا يستنصر من أهل مذهبه بكتاب ولا إنسان، وأنه جعل [بينه وبينكم][^3] أقوال من قلّدتموه، ونصوص من على غيره من الأئمة قدمتموه، وصرخ المثبت بذلك بين ظهرانيهم حتى بلغه دانيهم وقاصيهم، فلم يذعنوا لذلك واستعفوا من عقده، فطالبهم المثبت بواحدة من خلال ثلاث: مناظرة في مجلس عام على شريطة العلم والإنصاف، تحضر فيه النّصوص النّبوية، والآثار السلفية، وكتب أئمتهم المتقدمين من أهل العلم والدين، فقيل لهم: لا مراكب لكم تسابقون بها في هذا الميدان، وما لكم بمقاومة فرسانه يدان، فدعاهم إلى مكاتبة يدعون إليه، فإن كان حقاً قبله وشكركم، وإن كان غير ذلك سمعتم جواب المثبت، وتبين لكم حقيقة ما لديه، فأبوا ذلك أشد الإباء، واستعفوا غاية الاستعفاء، فدعاهم إلى القيام بين الركن والمقام قياماً في مواقف الابتهال حاسري رؤوس، نسأل الله أن ينزل بأسه بأهل البدع والضلال.

وظن المثبت والله أن القوم يجيبون إلى هذا، فوطّن نفسه عليه غاية التوطين، وبأن[^4] يحاسب نفسه، ويعرض ما يثبته وينفيه على كلام رب العالمين، وعلى سنة خاتم المرسلين، ويتجرد من كل هوىً يخالف الوحي المبين، ويهوي بصاحبه إلى أسفل السافلين، فلم يجيبوا إلى ذلك أيضاً، وأتوا من الاعتذار بما دلّ على أن القوم ليسوا من أولي الأيدي والأبصار، فخ[^5] شمّر المثبت عن ساق عزمه، وعقد لله مجلساً بينه وبين خصمه

[^1]: في نسخة ب ذغائنها.
[^2]: سقطت من نسخة أ.
[^3]: سقطت من نسخة أ.
[^4]: في الكافية الشافية (١/ ١٦): وبات.
[^5]: في نسخة ب فحينئذ، وكذلك في الكافية الشافية.

يشهده القريب والبعيد، وليقف[١] على مضمونه الذكي والبليد، وجعله عقد مجلس التحكم بين المعطل الجاحد والمثبت المرمى بالتجسيم، وقد خاصم في هذا المجلس بالله، وحاكم إليه، وبرىء إلى الله من كل هوىً وبدعة وضلالة، تحيّز إلى فئة غير رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، وما كان أصحابه عليه، والله سبحانه هو المسؤول أن لا يكله إلى نفسه وإلى شيء مما لديه، وأن يوفِّقه في جميع حالاته لما يحبه ويرضاه ،انتهى كلامه مجملًا. ومن شاء التفصيل فليرجع إلى النونية يتضح عليه الأمر وبالله التوفيق.

قال أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي رحمه الله: إنه استوى على عرشه وأحاط بكل شيء علماً.

وقال الشوكاني[٢] رحمه الله: الاستواء على العرش صفة لله سبحانه بلا كيف كما هو مقرر في موضعه من علم الكلام انتهى.

قال الإمام مالك رحمه الله: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو عن علمه مكان[٣].

قال المولى سلام الله[٤] ابن شيخ الإسلام الدهلوي رحمه الله في الكمالين تكملة الجلالين على قوله ثم استوى على العرش في سورة الأعراف ما لفظه: عن أم سلمة، والإمام جعفر الصادق، والحسن، وأبي

(١) في نسخة ب (والكافية الشافية): ويقف.

(٢) فتح القدير (٣/ ٨٨) عند تفسير الآية الثانية من سورة الرعد.

(٣) مختصر العلوّ للذهبي (١٤٠)، والآجري في الشيعة (ص ٢٥٦)، وإثبات صفة العلوّ لابن قدامة ص (١٢٦) والسنة للالكائي (٣/ ٤٤٥) برقم (٦٧٣) والسنة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٠٧)، والتمهيد (٧/ ١٣٨) والحمويه ص (٣١).

(٤) سلام الله بن الشيخ فخر الدين الدهلوي له مؤلفات عديدة منها: الكمالين على الجلالين في التفسير، وشرح الموطأ، ورسالة في الإشارة بالسبابة عند التشهد في الصلاة، وهي غير مطبوعة.

توفي رحمه الله سنة ١٢٢٩ هجرية، وقيل سنة ١٢٣٣ هجرية، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٣/ ٩٨٣).

حنيفة، ومالك أن الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وروى البيهقي عن أبي حنيفة رحمه الله أن الله في السماء دون الأرض[١]، وعنه قال: من أنكر أن الله في السماء فقد كفر[٢].

وقال الشافعي رحمه الله: إن الله على عرشه في سماءها[٣] يقرب من خلقه كيف يشاء، وينزل كيف يشاء[٤]. ومثل ذلك قال أحمد.

وقال إسحاق[٥]: إنه قد أجمع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شيء، وهو قول المزني، والبخاري، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأبو يعلى، والبيهقي، وغيرهم من أئمة الحديث.

وقال إبراهيم من[٦] الحلية: طريقنا طريق السّلف المتبعين لكتاب الله والإجماع، ومما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملاً بجميع صفاته. إلى أن قال: وإن الأحاديث التي أثبتت كونه في العرش والاستواء عليه يقولون بها، يثبتونها من غير تكييف، ولا تمثيل، وأنّه بائن من خلقه.

قال إمام الحرمين: والذي نرتضيه ونعتمده اتباع السّلف إلى[٧] الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٥٤٠).

(٢) انظر الفقه الأكبر لأبي حنيفة. وانظر العلو للذهبي (٢/ ٩٣٥) واجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٣٩).

(٣) في النسخة (ب) سمائه.

(٤) إثبات صفة العلو لابن قدامة ص (١٢٣) رقم (١٠٨) واجتماع الجيوش الإسلامية ص (١٦٤) والعلوّ للذهبي (٢/ ١٠٥٦).

(٥) هو إسحاق ابن راهوية انظر العلوّ للذهبي (٢/ ١١٢٩) واجتماع الجيوش الإسلامية (٢٢٦).

(٦) في نسخة ب: في.

(٧) في نسخة ب: أي.

إلى الله تعالى، وقيل استوى بمعنى استولى انتهى بعبارته[١]. من الرسالة النظامية. وهي مطبوعة.

وقال الشيخ المحدث محمد فاخر[٢] رحمه الله: وهو فوق العرش وفوق السمٰوات، والعرش وما حواه في يده كخردلة في يد أحدنا، وعلمه محيط بالكائنات السّفلية والعلوية، فما كان وما يكون محاط له كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[٣] «وأحاط بكل شيء علماً، وهذا الاستواء في سبع مواضع من القرآن الكريم، والأصل أن يعتقد ما ورد به القرآن ولا يأوّله، ولا يصرفه عن وجهه، ثم قال بعد سرد الأدلة من القرآن: وأدلّة علو العلي الأعلى في القرآن تزيد على ذلك وهو نص أو ظاهر في أن الله تعالى فوق الخلق فوق العرش، بائن من المخلوقات بالمعنى الذي يليق بجنابه الأقدس، وتأويله إخراج النصّ أو الظاهر عن معناه وذلك لا يجوز قطعاً إلا عند معارضة المثل ووجدانه ودونه خرط القتاد، وقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[٤] لا ينافي ذلك، لأن المراد إما مماثلة بجميع الوجوه كما يقوله أهل السنة، أو في أخص الأوصاف كما يقوله المعتزلة وكلاهما مفقودان في هذا المقام، وهكذا حكم الأحاديث الشريفة النبوية على صاحبها الصلوٰة والسلام أن يؤمن بما ورد فيها، ويعلم أن الصرف وتأويل العقول الضعيفة حلقة خارج الباب، ثم سرد الأحاديث وقال في آخرها: وفي الباب أحاديث كثيرة عسيرة الاستقصاء في هذه المقدّمة في غاية الكثرة، والآيات والأحاديث تغني عن إيرادها انتهى.

وقال السيد العلامة محمد يوسف البلجرامي[٥] رحمه الله في كتابه الفرع النابت من الأصل الثابت: قد علم من هذه الآية يعني: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن

---

(١) العلو للذهبي (٢/ ٣٤٠) وتاريخ الإسلام (وفيات (٤٦٨) ص (٢٣٤) مع اختلاف يسير.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) [سورة طه: الآية ٥].

(٤) [سورة الشورى: الآية ١١].

(٥) هو الشيخ محمد يوسف بن محمد أشرف الواسطي البلكرامي، ولد سنة ١١١٦ هجرية، له كتاب «الفرع النابت من الأصل الثابت». قال عنه صديق حسن خان: وقفت عليه فوجدته مفيداً في بابه خطيباً في محرابه» توفي سنة ١١٧٣ هجرية (أبجد العلوم ٣/٢٤٨، ٢٤٩).

﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[1] وهذا الحديث يعني «أنا أمين من في السماء»[2] رواه الشيخان، أنه تعالى في السّماء، وهو بائن من مخلوقاته كما يليق بشأنه الأقدس، فلا يصح تعين الذات في مرتبة التجلي الأعظم ثم تنزله في الوجود المنبسط، وكيفية هذا العلو الذي نطقت به الآية الكريمة ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[3] على ما في صحيح البخاري، قال أبو العالية: استوى على العرش ارتفع، وقال مجاهد[4]: استوى: علا على العرش لا يعلمها إلا هو، لأن المعنى التشبيهي مسلوب عن ذاته تعالى بدليل قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[5] والدليل على أن المراد بالاستواء الارتفاع الحقيقي - أعني أنه تعالى فوق العرش كما ذهب إليه جمهور المحدثين، لا التأويل بأن الاستواء هو الاستيلاء - هذه الآية: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾[6] وهذه الآية ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾[7] وهذه الآية ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾[8] والآيات والأحاديث الكثيرة الدّالة على كون ذاته تعالى من حيث هو هو جزئياً حقيقياً، وعلى علوّه وكونه فوق السّماء سنذكر إن شاء الله تعالى في الأصل الرابع انتهى.

قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى في فتح القدير[9] في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾[10] قد اختلف [العلماء][11] في معنى هذا

---

(١) [سورة الملك: الآية ١٦].
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٣٥١) ومسلم برقم (١٤٤) وأحمد (٣/ ٤، ٥).
(٣) [سورة طه: الآية ٥].
(٤) انظر قول أبي العالية ومجاهد رحمهما الله في صحيح البخاري: كتاب التوحيد باب «وكان عرشه على الماء».
(٥) [سورة الشورى: الآية ١١].
(٦) [سورة المؤمنون: الآية ٢٨].
(٧) [سورة هود: الآية ٤٤].
(٨) [سورة الزخرف: الآية ١٣].
(٩) عند تفسير الآية رقم (٥٤) من سورة الأعراف.
(١٠) [سورة الأعراف: الآية ٥٤].
(١١) سقطت في نسخة أ.

على أربع عشرة[1] قولًا أحقها[2] أولاها بالصواب مذهب السلف الصالح أنه استوى سبحانه عليه بلا كيف على الوجه [الذي يليق][3] به، مع تنزيهه عما لا يجوز عليه. . . إلى قوله: وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة صفة عرش الرحمٰن، وإحاطته بالسموات والأرض [وما بينهما وما][4] عليهما وهو المراد هنا. انتهى.

وقال الحافظ الذهبي: الذي أدركنا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازاً أو عراقاً وشاماً ويمناً أنهم يقولون: إن الله على عرشه بائِن من خلقه كما وصف به نفسه بلا كيف، وأحاط بكل شيء علماً، وهكذا يقولون في جميع الصفات القدسية.

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: نعتقد أن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ومذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، وأصحابه، والتابعين، ومن بعدهم، والتمسك بمذاهب أهل الأثر مثل: الشافعي، وأحمد، وغيرهما رحمهم الله تعالى.

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه اختلاف المصلين ومقالات الإسلاميين[5] في باب هل الباري تعالى في مكان دون مكان أم في كل مكان؟ اختلفوا في ذلك على سبع عشرة مقالة منها قول أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث: أنه على العرش كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[6] ولا نتقدم[7] بين يدي الله بالقول، بل نقول: استوى بلا كيف، وإنه ينزل إلى السماء الدنيا كما جاء في الحديث.

---

(١) فتح القدير: أربعة عشر.
(٢) في المرجع السابق: وأحقها.
(٣)(٤) سقطت في نسخة أ.
(٥) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (١/ ٢٨٤).
(٦) [سورة طه: الآية ٥].
(٧) في مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: ولا تقدّم بين يدي الله في القول.

وقال في باب الاستواء[1]: نقول إن الله استوى على العرش كما قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[2] وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[3] وقال حكاية عن فرعون: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾[4] فكذب موسى في قوله: إن الله فوق سمٰواته، وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[5] فالسمٰوات فوقها العرش، فلولا أن الله تعالى على عرشه لما قال في حق ملائكته: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[6] ولما فطر الخلق عند سؤاله على رفع الأيدي إلى السماء».

والحاصل أن كلام [العلماء في][7] هذا الباب أكثر من أن تحصى[8] وأوفر من أن تستقصى[9]، ومن لم يستشف بالقليل لم يقنع بالكثير، ومن أنكر الإجمال [هان عليه] التفصيل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل**(كما وصف الله به نفسه)**[10] في كتابه العزيز ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[11] في سورة طه، وقال في الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[12] وقال في يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة ص (١١٩).
(٢) [سورة فاطر: الآية ١٠].
(٣) [سورة النساء: الآية ١٥٨].
(٤) [سورة غافر: الآية ٣٦، ٣٧].
(٥) [سورة الملك: الآية ١٦].
(٦) [سورة النمل: الآية ٥٠].
(٧) سقطة في نسخة أ.
(٨) في نسخة ب أن يحصى.
(٩) في نسخة ب أن يستقصى.
(١٠) أي ذاته وفيه دليل على جواز إطلاق النفس على ذاته تعالى قاله علي القاري اهـ. منه عفى عنه.
(١١) [سورة طه: الآية ٥].
(١٢) [سورة الأعراف: الآية ٥٤].

عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾[1] وقال في الرعد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[2] وقال في الفرقان: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[3] وقال في السجدة: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾[4] وقال في الحديد: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾[5].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «فهو عنده فوق العرش»[6] رواه الشيخان، وقالت: «زوجني الله من فوق سبع سموات»[7] رواه البخاري، وقال: «أدخل على ربي وهو على عرشه» رواه البخاري وقال: «فأستأذن على ربي في داره»[8] رواه البخاري، وقال: «هو اليوم الذي استوى فيه ربك تبارك وتعالى على العرش»[9] رواه الشافعي، وقال: «ويحك أتدري ما الله إن عرشه على سمٰواته لهكذا وقال بأصابعه مثل القبة وإنه ليأطّ به أطيط الرحل بالراكب»[10] رواه أبو داود وقال: «ثم الله فوق

---

(١) [سورة يونس: الآية ٣].

(٢) [سورة الرعد: الآية ٢].

(٣) [سورة الفرقان: الآية ٥٩].

(٤) [سورة السجدة: الآية ٤].

(٥) [سورة الحديد: الآية ٤].

(٦) سبق تخريجه.

(٧) أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٠).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد (باب تعرج الملائكة والروح إليه).

(٩) أخرجه الشافعي في الأم (١/ ٣٥٦، ٣٥٧) وفي المسند ص ٧، والبزار (كشف الأستار) (٤/ ١٩٤)، والدارمي في الرد على الجهمية برقم (١٤٥) وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/ ٢٠٥).

(١٠) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦) وابن أبي عاصم برقم (٥٧٥) والدارمي في الرد على الجهمية (٧١). وقال الألباني في الطحاوية (٢٧٨): ضعيف الإسناد ولا يصحّ في أطيط العرش حديث.

ذلك»[١] رواه الترمذي وأبو داود إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي يستوي في فهمها ودرك معانيها العالم والجاهل، والحضري والبدوي، والقروي والبلدي.

قال الشيخ الإمام المحدث المحقق في العلوم العقلية والنقلية محمد بن الموصلي الأصفهاني الشافعي مذهباً، الأشعري معتقداً، السني اتباعاً في «كتاب سيف السنة الرفيعة في قطع رقاب الجهمية والشيعة»: إن الله تعالى سبحانه قد بيّن في القرآن غاية البيان أنه فوق سمٰواته، وأنه مستوٍ على عرشه، وأنه بائن من خلقه، وأنّ الملائكة تعرج إليه وتنزل من عنده، وأنه رفع المسيح إليه، وأنّه يصعد إليه الكلم الطيب، إلى سائر ما دلت عليه النصوص من مباينته لخلقه وعلوّه على عرشه، وهذه نصوص محكمة، وأن الله قد بين في غير موضع أنه خلق السمٰوات والأرض، وأن لله السموات والأرض، وأنه يمسك السمٰوات والأرض وما بينهما، وأن الأرض قبضته يوم القيامة والسمٰوات مطويات بيمينه، وأن كرسيه وسع السمٰوات والأرض، وهذه نصوص صريحة في أن الرب تعالى ليس هو عين هذه المخلوقات، ولا صفة من صفاته، ولا جزء منها، فإن الخالق غير المخلوق، وليس بداخل فيها محصور، بل هي صريحة في أنه مبائن لها، وأنه ليس حالّاً ولا محلّاً لها، فهي هادية القلوب عاصمة لها إن يفهم من قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[٢] أنه سبحانه عين المخلوقات أو حال أو محل لها... إلى أن قال: وقد أخبر الله تعالى أنّه مع خلقه مع كونه مستوياً على العرش، وقرن بين الأمرين كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[٣] إلى قوله: ﴿بَصِيرٌ﴾[٤] فأخبر أنه خلق السمٰوات والأرض، وأنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه كما في حديث الأوعال

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٧٢٣) والترمذي برقم (٣٣٢٠) وأحمد (١/٢٠٦، ٢٠٧) وابن ماجه برقم (١٩٣) وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٠١، ١٠٢) وابن أبي عاصم برقم (٥٧٧) والدارمي في الرد على الجهمية (٧٢) والحاكم (٢/٢٨٧).

(٢)(٣)(٤) [سورة الحديد: الآية ٤].

«والله فوق عرشه يرى ما أنتم عليه»[1] فعلوّه لا يناقض معيته، ومعيته لا تبطل علوّه، بل كلاهما حق. ثم قال في موضع آخر منه: وبهذا يزول الإشكال من الحديث الذي رواه الترمذي من حديث الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «أنكم لو دليتم بحل إلى الأرض السفلى لهبط على الله» ثم قرأ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[2] قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، ويروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وفسّر بعض أهل العلم هذا الحديث وقالوا: إنما يهبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان، وهو على العرش كما وصف في كتابه. هذا آخر كلامه.

وقد اختلف الناس في هذا الحديث في سنده وفي معناه فطائفة قبلته، لأنّ إسناده ثابت إلى الحسن، وطائفة أخرى ردّت الحديث وأعلّته بأنه منقطع قالوا: والحسن لم ير أبا هريرة رضي الله عنه فضلًا من أن يسمع منه، قالوا: وللحديث علّة أخرى وهي أن عبد الرزاق رواه عن معمر عن قتادة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم مرسلًا، والذين قبلوا الحديث اختلفوا في معناه، فحكى الترمذي عن بعض أهل العلم أن المعنى لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه، ومراده معلوم الله ومقدوره وملكه، أي انتهى علمه وقدرته وسلطانه إلى ما تحت التحت، فلم يعزب عنه شيء، وقالت طائفة أخرى: بل هذا معنى اسمه «المحيط» واسمه «الباطن»، وأنه سبحانه محيط بالعالم كلّه، وأن العالم العلوي والسفلي في قبضته كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠﴾[3] وإذا كان محيطاً بالعالم فهو فوق بالذات، عالٍ عليه

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٣) والترمذي برقم (٣٣٢٠) وأحمد (١/٢٠٦، ٢٠٧) وابن ماجه برقم (١٩٣) وابن خزيمة في التوحيد (ص ١٠١، ١٠٢) وابن أبي عاصم في السنة برقم (٥٧٧) والدارمي في الردّ على الجهمية برقم (٧٢) والحاكم (٢/٢٨٧).

(٢) [سورة الحديد: الآية ٣]، والحديث أخرجه الترمذي برقم (٣٢٩٨) وأحمد (٣/ ٢٧٠).

(٣) [سورة البروج: الآية ٢٠].

من كل وجه ومن كل معنى، فإن الإحاطة تتضمن العلوّ والسعة والعظمة، فإذا كانت السموات السبع والأرضون السبع في قبضته فلو وقعت حصاة، أو دُلّي بحبل لسقط في قبضته سبحانه، والحديث لم يقل فيه أنه لهبط على جميع ذاته، فهذا لا يقوله ولا يفهمه عاقل، ولا هو مذهب أحد من أهل الأرض ألبتة، لا الحلولية، ولا الاتحادية، ولا الفرعونية، ولا القائلون بأنه في كل مكان بذاته. وطوائف بني آدم كلّهم متفقون على أن الله تعالى ليس تحت العالم فقوله: «لو دليتم بحبل لهبط على الله» إذن هبط في قبضته المحيطة بالعالم فقد هبط عليه، والعالم في قبضته وهو فوق عرشه، ولو أن أحداً أمسك بيده أو برجله كرة وقبضتها يده من جميع جوانبها ثم وقعت حصاة من أعلى الكرة إلى أسفلها لوقعت في يده وهبطت عليه، ولم يلزم من ذلك أن يكون الكرة والحصاة فوقه وهو تحتها ولله المثل الأعلى، وإنما يؤتى من سوء فهمه، أو من سوء قصده، أو من كليهما فإذا هما اجتمعا كمل نصيبه من الضلال، وأما تأويل الترمذي وغيره له بالعلم فقال شيخنا: هو ظاهر الفساد من جهة تأويلات الجهمية، بل بتقدير ثبوته فإنما يدل على الإحاطة، والإحاطة ثابتة عقلاً ونقلاً وفطرة، وقد ثبت في الصّحيحين من غير وجه أن النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم قال: «إذا قام أحدكم [إلى الصلاة][1] فلا يبصقن قبل وجهه، ولا عن يمينه فإن عن يمينه ملكان، ولكن ليبصق عن يساره، أو تحت [رجله و[2]]»[3] في حديث رزين المشهور الذي رواه عن النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم في رؤية الربّ تبارك وتعالى فقال له أبو رزين: كيف يسعنا يا رسول الله، وهو واحد ونحن جميع؟ فقال: سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، هذا القمر آية من آيات الله كلكم يراه مخلياً به فالله أكبر من ذلك. ومن المعلوم أن من توجّه إلى القمر وقدر مخاطبته له، فإنه لا يتوجه إليه إلا بوجهه مع كونه فوقه، ومن الممتنع في الفطرة أن يستدبره ويخاطبه مع قصده له، وكذلك العبد إذا قام إلى

(١) سقطت من نسخة (أ).

(٢) سقطت من نسخة (أ).

(٣) الحديث أخرجه البخاري برقم (٤٠٦) ومسلم برقم (٥٠).

الصّلوٰة فإنّه يستقبل ربّه وهو فوقه فيدعوه من تلقائه لاعن يمينه، ولا عن يساره، ويدعوه من العلو لا من السفل، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم أنه قال: «لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لا ترجع إليهم أبصارهم»[١].

واتفق العلماء على أن رفع البصر إلى السماء للمصلي منهي عنه، وروى أحمد عن محمد بن سيرين أن النبيّ صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم كان يرفع بصره في الصّلاة إلى السماء حت أنزل الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[٢] فكان بصره لا يجاوز موضع سجوده فهذا مما جاءت به الشريعة [تكميلًا][٣] للفطرة، لأن الداعي السائل الذي أمر بالخشوع وهو الذلّ والسّكون لا يناسب حاله أن ينظر إلى ناحية من يدعوه ويسأله [بل يناسب][٤] حاله الإطراق وخفض بصره أمامه، فليس في هذا النهي ما ينفي كونه فوق سمٰواته على عرشه كما زعم بعض جهال الجهمية، [فإنه لا][٥] فرق عندهم بين تحت التحت، والعرش بالنسبة إليه ولو كان كذلك لم ينه عن رفع بصره إلى جهة ويؤمر برده إلى غيرها، لأن الجهتين عند الجهمية سواء بالنسبة إليه، وأيضاً فلو كان الأمر كذلك لكان النهي ثابتاً في الصّلوٰة وغيرها وقد قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[٦]، فليس العبد منهياً عن رفع بصره إلى السّماء مطلقاً، وإنما نهي عنه في الوقت الذي أمر فيه بالخشوع، لأن خفض البصر من تمام الخشوع كما قال تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾[٧] وأيضاً فلو كان النهي عن رفع البصر إلى السماء لكون الرب ليس في السماء لكان لا فرق بين رفعه إلى السماء ورده إلى جميع الجهات، ولو كان مقصوده أن ينهى الناس أن يعتقدوا أن الله في السماء، أو يقصدوا بقولهم التوجه إلى العلوّ لبيّن لهم

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٥٠) ومسلم برقم (١١٧).

(٢) [سورة المؤمنون: الآيتان ١، ٢].

(٣)(٤)(٥) سقطت من نسخة (أ).

(٦) [سورة البقرة: الآية ١٤٤].

(٧) [سورة القمر: الآية ٧].

ذلك بياناً شافياً، ولم يحملهم فيه على أدب من آداب المصلي وهو إطراقه بين يدي ربه وخشوعه ورمي بصره إلى الأرض، كما يفعل بين يدي الملوك، فهذا إنّما يدلّ على نقيض قولهم، فقد ظهر أنّه على كل تقدير لا يجوز التوجه إلى الله تعالى إلّا من جهة العلوّ، وإنّ ذلك لا ينافي إحاطته بالعالم وكونه في قبضته، وأنّه الباطن الذي ليس دونه شيء كما أنّه الظاهر الذي ليس فوقه شيء، وإنّ أحد الأمرين لا ينفي الآخر، وإنّ إحاطته بخلقه لا تنفي مباينته لهم، ولا علوّه على مخلوقاته، بل هو فوق خلقه محيط بهم مبائن لهم، وإنّما تنشأ الشبهة الفاسدة عن اعتقادين فاسدين:

أحدهما: أن يظن أنه إذا كان العرش كرياً والله فوقه لزم أن يكون الله كرياً.

الاعتقاد الثاني: أنه إذا كان كرياً صح التوجه إليه من جميع الجهات.

وهذان الاعتقادان خطأ وضلال، فإن الله سبحانه مع كونه فوق العرش ومع القول بأن العرش كري لا يجوز أن يظن به أنه مشابه الأفلاك في أشكالها كما لا يجوز أن يظن به أنه مشابه لها في أقدارها ولا صفاتها، فقد تبيّن أنه أعظم وأكبر من كل شيء، وأنّ السّموات والأرض في يده كخردلة في كفّ أحدنا وهذا يزيل كلّ إشكال ويبطل كل خيال. هذا آخر كلامه رحمه الله وقد اختصرناه في هذا المقام فراراً عن طول الكلام، فمن شاء التفصيل فعليه بكتابه وكتب الحافظين الإمامين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله والإمام ابن القيم الجوزية رحمه الله ففيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين.

قال العالم الكامل محمد بن محسن العطاس رحمه الله في تنزيه الذات والصفات عن درن الإلحاد والشبهات: قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إنّ معنى استوى استولى وملك وقهر مما يفيد التجدد والحدوث في الملك، وقالوا: إنه في كل مكان، وجحدوا أن يكون على عرشه كما قال أهل الحق، فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش وبين الأرض السابعة، لأنه قادر على كل شيء، وكيف يكون في كل مكان ومنه

الحشوش والحانات والمزابل وما أشبه ذلك من الأماكن المستقذرة تعالى عن ذلك علواً كبيراً، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يكون الله في شيء من ذلك، فبطل ما يقولونه بالعقل والنقل، ثم نقل عن الحافظ ابن القيم رحمه الله أنّه قال: ومن ظنّ أنه ليس فوق سمٰواته على عرشه بائن من خلقه، وأنّ نسبة ذاته تعالى إلى عرشه كنسبته إلى أسفل السّافلين فقد ظن به ظن السوء، ومن ظن أنّه أسفل كما هو أعلى وأن من قال سبحان ربي الأسفل كمن قال سبحان ربي الأعلى، فقد ظن به أقبح الظن وأسوأه، ومن ظن أن الله سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل وتشبيه وتمثيل، وترك الحقائق المقصودة من كلامه، ورمز إليهم رموزاً بعيدة، وأشار إليهم إشارة ملغزة، وصرح بالتشبيه والتمثيل والأمور الباطلة التي لا تجوز عليه ولا تليق به، وأراد من خلقه أن يبعثوا أذهانهم وقواهم وأفكارهم في تحريف كلامه عن مواضعه، وتأويله على غير تأويله المفهوم من ظاهره، ويتطلبوا له وجوه الاحتمالات المستكرهة شرعاً وعقلاً، والتأويل التي هي بالإنعاز[1] والأحاجي أشبه منها بلا كشف وبيان، وأحالهم في معرفة أسمائه وصفاته على عقولهم وآرائهم لا على كتابه، بل أراد منهم أن لا يحملوا كلامه على ما يعرفون من خطابهم ولغتهم مع قدرته على أن يصرح لهم بالحق الذي ينبغي التصريح به ويريحهم من الألفاظ التي توقفهم في الاعتقاد الباطل فلم يفعل، بل سلك بهم خلاف طريق الهدى والبيان فقد ظن به ظن السوء، فإنه إن قيل: إنه غير قادر على التعبير عن الحق باللّفظ الصريح الذي عبّر به هو وسلفه فقد ظن العجز بقدرته، وإن قيل: إنّه قادر ولم يبين وعدل عن البيان والتصريح بالحق إلى ما يوهم، بل يوقع في الباطل المحال والاعتقاد الفاسد، فقد ظن بحكمته ورحمته ظن السوء، وظنّ أنّه وسلفه عبّروا عن الحقّ بصريحه دون الله ورسوله، وأنّ الهدى والحق في كلامهم وعباراتهم، وأما كلام الله فإنّما يؤخذ من ظاهره التشبيه والتمثيل والضّلال، وظاهر كلام المتحورين الحائرين هو الهدى والحق، هذا سوء

---

(١) في نسخة ب بالألغاز.

الظن بالله فكل هؤلاء من الظانين بالله ظن السوء غير الحق ظن الجاهلية. انتهى كلامه.

قال الإمام المتفق على علمه وورعه ابن خزيمة: من لم يقرّ بأن الله تعالى استوى على عرشه فوق سبع سمٰواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه انتهى.

قال علي القاري: اقتتلت طائفتان في باب الصفات فطائفة غلت في النفي، وطائفة غلت في الإثبات، ونحن صرنا إلى الطريق المتوسط بين الغلو والتقصير، فأثبتنا صفات الكمال، ونفينا المماثلة من جميع الأحوال. انتهى.

وقال الماتن رحمه الله في التفهيمات: ويعالج التشبيه بكلمة إجمالية يعتقدها كل مؤمن وهي آية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] ولا يشتغل بأكثر من ذلك **(ولكن لا بمعنى التحيّز والجهة)** لأنه لم يتكلم به الشرع خاصة، ولكن نفي الجهة بعد القول بالفوق المرادف لها في المفهوم تدقيق يحتاج إلى تحقيق، ولا يبعد أن يقال إنه أراد الجمع بينهما حيث قال أولًا بالفوق نقلًا ونفى الجهة ثانياً عقلًا فلا تعارض حينئذٍ في كلامه، ويؤيد ذلك ما نقلنا عنه فيما تقدم من القول بها والله أعلم.

هذا ونصوص الكتاب والسنة طافحة بإثبات علوّه على خلقه، وكونه فوق العالم كلّه ومبائناً له، أما الكتاب فقال تعالى في سورة البقرة: **﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾**[2].

قال في الجلالين[3]: قد للتحقيق «نرى تقلب» تصرف وجهك في جهة السماء متطلعاً إلى الوحي. انتهى.

وقال في آل عمران: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾[4]

---

(١) [سورة الشورى: الآية ١١].
(٢) [سورة البقرة: الآية ١٤٤].
(٣) تفسير الجلالين ص (٢٤).
(٤) [سورة آل عمران: الآية ٥٥].

وقال في سورة النساء: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾[1] وقال في الأنعام: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾[2] وهذه الآية تكررت في هذه السورة وقال في الأعراف: ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾[3] قال ابن عباس رضي الله عنهما ولم يقل: من فوقهم.

وعن الشعبي قال: الله أنزل الرحمة من فوقهم.

وقال قتادة: أتاك الشيطان يا ابن آدم من كل جهة غير أنه لم يأتك من فوقك. لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله، وقال في سورة النحل: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾[4] قال في موضح القرآن أن في قلب كل عبد أنّ الله فوقه ويرى نفسه تحته، وقال في سورة مريم: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾[5].

قال في فتح الرحمان: يعني على السماء، قال في السجدة: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٥﴾[6] قال في موضح القرآن: إن الأمور العظام تتقرر من العرش ثم ينزل حكمها إلى التحت، فيجتمع أسبابها من السماء ويبقى هذا الأمر جارياً إلى أجل، ثم يرفع إلى الله وينزل لون آخر، وقال في سورة سبأ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾[7] وقال في سورة فاطر: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾[8] وقال في سورة غافر: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ

---

(١) [سورة النساء: الآية ١٥٨].
(٢) [سورة الأنعام: الآية ١٨].
(٣) [سورة الأعراف: الآية ١٧].
(٤) [سورة النحل: الآية ٥٠].
(٥) [سورة مريم: الآية ٥٧].
(٦) [سورة السجدة: الآية ٥].
(٧) [سورة سبأ: الآية ٢٣].
(٨) [سورة فاطر: الآية ١٠].

﴿٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾[(١)] وقال في سورة الملك: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾[(٢)] وقال فيها: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾[(٣)] وقال في المعارج: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ٤﴾[(٤)] إلى غير ذلك من الآيات الكريمات التي يطول ذكرها، وكل أمر نسب في الكتاب والسنة إلى السماء الدنيا وما فوقها من السمٰوات نزولًا وعروجاً، وهبوطاً وصعوداً، أو تدبيراً وتدميراً، وما في معناها دليل على العلوّ والفوق، ولا شك أن السّماء فوق الأرض، والسماء الثانية فوق السماء الدنيا، هكذا إلى أن ينتهي الأمر إلى السماء السابعة، وفوقها عرش الرحمن وهو محيط بكلّهن كما قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[(٥)].

والرحمن فوق العرش محيط به وبما حواه العرش، كما دلّت عليه آيات الاستواء وأحاديثه، فثبتت جهة العلوية والفوقية ثبوتاً لا ريب فيه، ولا قائل بأن الله تحت العالم حتى يقال بنفيها:

فجاهد وقلّد كتاب الإلٰه ... لتلقى الإلٰه إذا مت به

فقد قلّد الناس أحبارهم ... وكل يجادل عن رهبه

وللحق مستنبط واحد ... وكل يرى الحق في مذهبه

وأما السنّة فقوله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «فعلى به إلى الجبار تبارك وتعالى فقال وهو مكانه»[(٦)] رواه البخاري، وقوله: «أنا أمين من في السماء»[(٧)] متفق عليه، وقوله: «ربنا الله الذي في السماء»[(٨)] رواه أبو

---

(١) [سورة غافر: الآيتان ٣٦، ٣٧].
(٢) [سورة الملك: الآية ١٦].
(٣) [سورة الملك: الآية ١٧].
(٤) [سورة المعارج: الآية ٤].
(٥) [سورة البقرة: الآية ٢٥٥].
(٦) أخرجه البخاري برقم (٧٥١٧).
(٧) سبق تخريجه.
(٨) أخرجه أبو داود برقم (٣٨٩٢) وأحمد (٦/ ٢١).

داود، وقوله: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[1] رواه الترمذي وقال حسن صحيح وقوله: «فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم»[2] رواه ابن ماجة وقوله: «ينزل ربّنا كلّ ليلة إلى السّماء الدنيا»[3] متفق عليه، وقوله: «ثم يعرج الذين باتوا فيكم»[4] متفق عليه، وقوله: «إلاّ الذي كان في السماء ساخطاً عليهم»[5] أخرجه مسلم، وقوله في قصة إلقاء إبراهيم في النار أنه قال: «اللهم إنّك واحد في السماء وأنا واحد في الأرض»[6] رواه أحمد وسنده حسن، وقوله: «ثم يعرج بها إلى السماء فيفتح لها حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله»[7] رواه ابن ماجة، وقوله: «إذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عبادك في الأرض»[8] رواه مسلم. وقوله: «انتهى بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها»[9] رواه ابن عرفة وابن نعيم في الدلائل عن ابن مسعود رضي الله عنه، وقوله: «هل تدرون ما فوقكم؟»... إلى قوله ثم قال كذلك حتى عدَّ سبع سموات إلى قوله... «ثم قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا الله ورسوله أعلم

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٩٤١) والترمذي برقم (١٩٢٤) والحاكم (٤/ ١٥٩) وأحمد (٢/ ١٦٠) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٩٢٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (١٨٤).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٥٥٥) ومسلم برقم (٦٣٢).

(٥) أخرجه مسلم برقم (١٤٣٦).

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٩) والدّارمي في الرد على الجهمية برقم (٧٥) والذهبي في العرش (٢/ ٥٥) برقم (٥٠) وقال عنه حديث حسن وكذلك في العلوّ (١/ ٢٩٠) برقم (٢١) والحديث ضعفه الألباني في الضعيفة برقم (١٢١٦).

(٧) أخرجه النسائي (٤/ ٧٨) وابن ماجه (١٥٤٩) وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (٤٦).

(٨) أخرجه مسلم برقم (٢٦٨٩).

(٩) أخرجه مسلم برقم (١٧٣).

قال: «إن فوق ذلك العرش... إلى قوله... ثم قال: هل تدرون ما الذي تحتكم... إلى قوله: إنها الأرض»[١] الحديث رواه أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه تقابل الفوق بالتحت فتعين أنّ المراد بالفوق هو الجهة، وقوله: هل تدرون ما بُعْدُ بين السماء والأرض؟ قالوا: لا ندري، قال: إنّ بُعد ما بينهما إمّا واحدة وإما اثنتان أو ثلاث أو سبعون سنة، والسّماء التي فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه ما بين سماء إلى سماء، ثم الله فوق ذلك»، رواه الترمذي وأبو داود[٢]، وأي عبارة تبلغ هذا في الصراحة عند أولي النهي، ولا ينكر ذلك إلاّ من ذهب عقله و[٣]صار مجنوناً وانخلع عن الإنسانية. وقوله: أتيت بالبراق... إلى قوله: «ثم عرج بنا إلى السّماء... إلى قوله... «ثم عرج بنا إلى السماء الثانية... إلى قوله: ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة... إلى قوله: ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة... إلى قوله: ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة... إلى قوله: ثم عرج بنا إلى السماء السادسة... إلى قول: ثم عرج بنا إلى السماء السابعة... إلى قوله: فذهب بي إلى سدرة المنتهى... إلى قوله: فأوحى الله ما أوحى ففرض علي خمسين صلوٰة... إلى قوله: ارجع إلى ربك... إلى قوله: فرجعت إلى ربي... إلى قوله: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه»[٤] رواه مسلم، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ثم ذكر أنه عرج به من السماء الدنيا ومن سماء إلى سماء» وفي حديث شريك، «ثم علي به فوق ذلك بما

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٦، ٢٠٧). وأبو داود برقم (٤٧٢٣) والترمذي برقم (٣٣٢٠) وابن ماجه (١٩٣) وابن خزيمة في التوحيد ص (١٠١، ١٠٢) وابن أبي عاصم في السنة برقم (٥٧٧). والدارمي في الردّ على الجهمية (٧٢) والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٧).

(٢) انظر التخريج السابق.

(٣) في نسخة ب (أو).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٨٨٧) ومسلم برقم (١٦٢).

لا يعلمه إلاّ الله»، وفي رواية أنس «وفتح لي باب السّماء ورأيت النور» رواه البزار والبيهقي.

قال الخفاجي[1] رحمه الله في نسيم الرياض: وقيل هو نور العرش، أو الله تعالى، لأنه يسمّى نور كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾[2]، والحكماء والمتكلمون جوزوه من غير تأويل، قال الأشعري: نور لا كالأنوار، والعروج بمعنى الصّعود في جهة العلو... إلى قوله: فالإسراء سيْره لِبيت المقدس، والمعراج صعوده إلى السماء. انتهى.

وقال الماتن رحمه الله في الحجة[3]: [وأما رقيّه][4] إلى السّموات سماء بعد سماء فحقيقته الانسلاخ إلى مستوى الرحمٰن منزلة بعد منزلة.

وقال في باب ذكر الملأ الأعلى[5]: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[6] الآية، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله: كأنه صلصلة على صفوان، ﴿إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[7]، وفي رواية: إذا قضى الله أمراً سبح حملة العرش ثم يسبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح إلى هذه السماء الدنيا ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ما قال فيستخبرون بعض أهل السماء

---

(١) أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخَفَاجي، نسبة إلى قبيلة خفاجة، ولد عام ٩٧٧هـ وتوفي عام ١٠٦٩هـ (الأعلام ١/٢٣٨).

(٢) [سورة النور: الآية ٣٥].

(٣) حجة الله البالغة للدّهلوي (٢/٢٠٧).

(٤) سقطت من نسخة (أ).

(٥) حجة الله البالغة (١/١٥).

(٦) [سورة غافر: الآية ٧].

(٧) [سورة سبأ: الآية ٢٣]، والحديث أخرجه البخاري برقم (٧٤٨١) والترمذي برقم (٣٢٢٣) وابن ماجه برقم (١٩٤).

بعضاً حتى يبلغ الخبر أهل هذه السماء»[1] انتهى.

ومنها حديث حصين «ستة في الأرض وواحد في السماء»[2] أخرجه ابن خزيمة، ومنها قوله: «أين الله»، قالت: في السماء، قال: «من أنا». قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»[3] رواه مسلم، وروي بطرق كثيرة يقوي بعضها بعضاً، وقوله: «ألا هل بلغت» فقالوا: نعم، فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها ويقول: «اللهم اشهد»[4] أخرجه مسلم، وكان ذلك بمرأى من الصحابة ومسمع منهم، وكانوا نحو مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً في آخر العمر في حجة الوداع، وفعل ذلك ثلاث مرار، فكان كالإجماع منهم على قبولٍ العلو والفوق له تعالى، وكونه في تلك الجهة اعتقاداً مطابقاً بظاهر ما قال وفعل، ولهذا قالوا به بعد النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم وأمروها على ظاهرها بلا تكييف.

ومنها حديث أبي رزين: قال: قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه على الماء»[5]، وفي رواية «خلق العرش ثم استوى عليه» رواه الترمذي وابن ماجه وسنده حسن، قال يزيد بن هارون: العماء أي ليس معه شيء.

قال أبو الطيب: ولو سئل أين الآن؟ لقال على العرش أو فوقه أو في السماء، ولكن أجاب بما يطابق سؤاله. وهذه قليل من كثير أخبار هذا الباب ذكرناها على الاختصار وكفى بها دفعاً في وجوه المخالفين الصارفين كلام الله ورسوله عن ظاهره بلا موجب شرعي ودليل قطعي.

قد اعتدى الناس حتى أحدثوا بدعاً ... في الدين بالرأي لم تبعث به الرسل
حتى استخف بحق الله أكثرهم ... وفي الذي حملوا من حقه شغل

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٢٩).
(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٤٨٣) وأحمد (٤/ ٤٤٤) وابن خزيمة.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) أخرجه الترمذي برقم (٣١٠٩) وابن ماجه برقم (١٨٢) وأحمد (٤/ ١١، ١٢).

(**بل لا يعلم كنه هذا التفوق والاستواء**) الثابتيْن بأدلة الكتاب والسنة، واتفاق السلف الصالح، والأئمة المجتهدين، وجمهور الظاهرية، والمحدثين، والحنابلة كلهم، والمالكية، والأشاعرة، وجماعة من الفقهاء، والمتكلمين، والحكماء السابقين، والشرائع المتقدمة، وأكابر الصوفية، والفطرة، وجميع الأمم عربيها وعجميها إلا من لا إعتداد بخلافه.

(**إلا هو**) لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾(١) أي كيفيتها فإنها متشابهة، بخلاف الألفاظ فإنها محكمة تدل على معانيها بلا كيف.

قال البغوي(٢): أهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الإنسان الإيمان به ويكلُ العلم به إلى الله تعالى.

وروى البيهقي(٣) عن ابن وهب قال: كنا عند مالك فدخل رجل فقال: كيف استواءه؟ فأطرق مالك وأخذته الرمضاء ثم رفع رأسه فقال: الرحمن على العرش استوى كما وصف به نفسه، ولا يقال كيف؟ وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة، أخرجوه، فأخرج الرجل، وفي رواية قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا مبتدعاً(٤). قال محمد بن علي الشوكاني(٥) رحمه الله: إن الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة، هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم، وقد كانوا رحمهم الله تعالى وأرشدنا إلى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم، يرون(٦) أدلة الصّفات على ظاهرها ولا يتكلفون علم ما لا يعلمون، ولا يحرفون، ولا يأولون، وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم، والمتقرر من مذاهبهم لا يشك فيه شاك، ولا ينكره منكر، ولا

---

(١) [سورة آل عمران: الآية ٧].

(٢) معالم التنزيل (٢/ ١٦٥).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٥١٤).

(٤) في المرجع السّابق: فأمر به أن يخرج.

(٥) التحف في مذاهب السلف ص (١٧).

(٦) في المرجع السابق: يمرون.

يجادل فيه مجادل، وإن نزع من بينهم نازع، أو نجم في عصرهم ناجم، أوضحوا للناس أمره، وبينوا لهم أنه على ضلالة، وصرحوا بذلك في المجامع والمحافل، وحذروا الناس من بدعته كما كان منهم لما ظهر معبد الجهمي[1] وأصحابه وقالوا: أن الأمر أنف، فبتروا منه وبينوا ضلالته وبطلان مقالته للناس فحذروه إلا من ختم الله على قلبه[2] وجعل على بصره غشاوة.

وهكذا كان من بعدهم يوضح للناس بطلان أهل الضلال وانتحل نحلته الباطلة، ثم ما زالوا هكذا لا يستطيع المبتدع في الصفات أن يظهر ببدعته، بل يكتمون كما يكتم الزنادقة بكفرهم، وهكذا سائر المبتدعين في الدين على اختلاف البدع وتفاوت المقالات الباطلة.

وبالجملة[3] إمرار أدلّة الصفات على ظاهرها[4] هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وكانوا إذا سألهم[5] سائل عن شيء من الصفات تلوا عليه الدليل، وأمسكوا عن القال والقيل، وقالوا: قال الله هكذا ولا ندري بما سوى ذلك، ولا نتكلّف[6] بما لم نعلم، ولا أذن الله لنا بمحاورته، فإن أراد السائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه ونهوه عن طلب ما لا يمكن الوصول إليه إلا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه وما حفظوه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم وحفظه التابعون عن الصحابة

(١) معبد بن خالد الجهني البصري أول من تكلم في القدر مات قتلًا سنة ٨٠ هـ.

(٢) في نسخة ب: (إلا من ختم.. وقلبه).

(٣) حذف الشارح حوالي صفحتين من كلام الشوكاني في «التحف في مذاهب السلف» اختصاراً فلتتنبه.

(٤) في المرجع السابق: من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضي إليه كثير من التأويل.

(٥) في المرجع السّابق سأل.

(٦) في التحف: ولا نتكلف ولا نتكلم.

وحفظه من بعد التابعين، فكان[1] في هذه القرون الفاضلة الكلمة في الصفات متحدة والطريقة لهم جميعاً متفقة[2]، وكان الدين إذ ذاك صافياً عن كدرة البدع، خالصاً عن شوب قذر التمذهب، فمن قال أنهم تلبسوا بشيء من هذه المذاهب الناشئة في الصفات وغيرها فقد أعظم الفرية وليس بمقبول في ذلك يعلم ذلك كل من له علم ويعرفه كل عارف فاشدد يديك على هذا واعلم أنه مذهب خير القرون. هذا آخر كلامه رحمه الله ملخصاً، ويا له من صدق وإنصاف لا يخالطه تعصب ولا اعتساف فاظفر بذاك تربت يداك.

وقال عماد الدين ابن كثير[3] في سورة طه تحت قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[4]: تقدم الكلام على ذلك في الأعراف بما أغنى عن إعادته وإن المسلك الأسلم في ذلك إمرار ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل انتهى.

ولم أقف على كلامه على ذلك في الأعراف لعدم تيسر ذلك المجلد فمن وقف عليه فليُلحق ذلك الكلام في هذا المقام بقدر ما يلائم المرام[5].

---

(١) في المرجع السابق: وكان.

(٢) حذف الشارح فقرة من كلام الشوكاني في التحف فلتتنبه.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ١٩٢) عند تفسير الآية الخامسة من سورة طه.

(٤) [سورة طه: الآية ٥].

(٥) أقول: امتثالًا لوصية الشارح رحمه الله فها أنا أنقل كلام ابن كثير رحمه الله في تفسير آية الاستواء في سورة الأعراف، وليت الشارح رحمه الله كان يمتلك هذا المجلد حتى يتذوق ويتحلّى بكلام ابن كثير رحمه الله الذي يقرّر فيه مذهب السلف في آيات الصفات.

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية (٥٤) من سورة الأعراف: وأمّا قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ فللنّاس في هذا المقام مقالات كثيرة جدّاً ليس هذا موضع بسطها، وإنّما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه، ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله لا يشبهه شيء من خلقه و ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ بل الآمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حمّاد الخزاعي شيخ البخاري، قال: =

قال شيخ الإسلام عبد الله الهروي: إن حفظ حرمة نصوص الأسماء والصفات بإجراء أخبارها على ظواهرها، وهو اعتقاد مفهومها المتبادر إلى الأفهام كما قال مالك: الاستواء معلوم، والكيف غير معقول إلخ، وهذا الجواب عام في جميع الصفات من السمع، والبصر، والقدرة، والإرادة، والنزول، والضحك، والغضب، فمعانيها كلها معلومة، وأما كيفيتها فغير معقولة إذ تعقل الكيف فرع العلم بكيفية الذات وكنهها، فإذا كان ذلك غير معلوم فكيف يعقل كيفية الصفات! والعصمة النافعة في هذا الباب أن يصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصف به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل انتهى.

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ قال الماتن[1]: هم أولو ذكاء وعقل لمّا سمعوا من النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم العلم والحكمة صادف ذلك منهم استعداداً فصار يمدّ لهم في باطنهم فَهْمَ معانيَ كتاب الله على وجهها، وإليه أشار علي كرم الله وجهه حيث قال: أو فهم أعطيه رجل مسلم. انتهى.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، والطبراني عن أنس وأبي أمامة وواثلة بن الأسقع وأبي الدرداء أن رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم سئل عن الراسخين في العلم فقال: «من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم»[2] وأخرج ابن عساكر من طريق عبد الله بن يزيد الأزدي عن أنس مرفوعاً نحوه[3].

= من شبّه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى اهـ.

(١) أي صاحب المتن وهو وليّ الله الدهلوي.

(٢) الدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٥١).

(٣) المرجع السّابق (٢/ ١٥١).

قال الشوكاني[1] رحمه الله في فتح القدير: قد اختلف أهل العلم في قوله: «والراسخون في العلم» هل هو كلام مقطوع عما قبله أو معطوف على ما قبله فيكون الواو للجمع، فالذي عليه الأكثر أنه مقطوع عما قبله، وأنّ الكلام تمّ عند قوله «إلا الله» هذا قول ابن عمر، وابن عباس، وعائشة، وعروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، وأبي الشعثاء، وأبي نهيك وغيرهم، وهو مذهب الكسائي والفرّاء والأخفش، وأبي عبيد، وحكاه ابن جرير الطبري عن مالك واختاره، وحكاه الخطابي عن ابن مسعود وأبي بن كعب! قال: وإنما روي عن مجاهد أنه نسق الراسخين على ما قبله، وزعم أنهم يعلمونه. انتهى.

وبمثل ذلك قال البغوي في تفسيره[2] وزاد: وبه قال الحسن وأكثر التابعين، ويصدق ذلك قراءة عبد الله «وإن تأويله إلا عند الله» وفي حرف أبيّ بن كعب «ويقول الراسخون»، قال عمر بن عبد العزيز وفي هذه الآية انتهى علم الراسخين إلى أن قالوا آمنا به كل من عند ربنا، وهذا القول أقيس في العربية وأشبه بظاهر الآية. انتهى.

وقال السيوطي في الإتقان[3]: والأكثرون[4] من الصّحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم خصوصاً أهل السنة ذهبوا إلى الثاني أي عدم علم الراسخين به، وهو أصح الروايات عن ابن عباس.

قال السمعاني: لم يذهب إلى الأول أي علم الراسخين به إلا شرذمة قليلة واختاره العيني، وكان[5] يعتقد مذهب أهل السنة لكنه سهى[6] في هذه المسألة، ولا غَرْو أن[7] لكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة.

---

(١) فتح القدير (١/ ٣١٥) عند تفسير الآية ٧ من سورة آل عمران.

(٢) معالم التنزيل (١/ ٢١٤).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٧، ٨).

(٤) في المرجع السّابق: وأمّا.

(٥) في الإتقان في علوم القرآن: وقد كان.

(٦) في المرجع السَّابق: سها، وهو الصحيح.

(٧) في المرجع السَّابق قال: ولا غرو فإنّ.

قلت[١]: ويدلّ لصحة مذهب الأكثرين ما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره[٢] والحاكم[٣] في المستدرك عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ هذا يدل على أن الواو للإستئناف لأنّ هذه الرواية وإن لم يثبت[٤] بها القراءة فأقلّ درجاتها[٥] أن يكون خبراً بإسناد صحيح عن ترجمان القرآن فيقدم كلامه في ذلك على من دونه، ويؤيد ذلك أن الآية دلت على ذمّ مبتغي المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة، وعلى مدح الذين فوّضوا العلم إلى الله وسلموا إليه كما مدح الله المؤمنين بالغيب.

وحكى الفراء أن في قراءة أبي بن كعب أيضاً «ويقول الراسخون».

وأخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: تلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم هذه الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ قالت: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «فإن[٦] رأيت الذين يبتغون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»[٧].

وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم يقول: «لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خصال: أن يكثر لهم فيتحاسدوا فيقتلوا، وأن يفتح له الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله وما يعلم تأويله إلا الله»[٨] الحديث.

---

(١) الكلام للسيوطي رحمه الله.
(٢) تفسير القرآن العظيم لعبد الرزاق الصنعاني (١/ ١١٦).
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢٨٩/٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ولم يتعقبه الذهبي.
(٤) في الإتقان في علوم القرآن: تثبت.
(٥) في الإتقان في علوم القرآن: درجتها.
(٦) في الإتقان: فإذا.
(٧) أخرجه البخاري برقم (٤٥٤٧) ومسلم برقم (٢٦٦٥).
(٨) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٢٩٣) برقم (٣٤٤٢).

وأخرج ابن مردويه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم قال: «إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً، فما عرفتم فاعملوا به وما تشابه فآمنوا به[1]»[2].

وأخرج ابن أبي حاتم عن عائشة قالت: كان رسوخهم في العلم أن آمنوا بمتشابهه ولا يعلمونه. وأخرج الدارمي عن عمر بن الخطاب قال: إنه سيأتيكم ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله»[3].

فهذه الأحاديث والآثار تدل على أن المتشابه مما لا يعلمه إلا الله، وأن الخوض فيه مذموم.

وقال[4] بعضهم: العقل مبتلى باعتقاد حقيقة المتشابه كابتلاء البدن بأداء العبادة، والمتشابه هو موضع خضوع العقل لبارئها استسلاماً واعترافاً.

وفي ختم الآية بقوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ تعريض للزائغين ومدح للراسخين، يعني من لم يتذكر ويتعظ ويخالف هواه فليس من أولي العقل، ومن ثم قال الراسخون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ الآية فخضعوا لباريهم لاستنزال علم الله في بعد أن استعاذوا به من الزيغ النّفساني.

وقال[5] ابن الحصّار: قسم الله آيات القرآن إلى محكم ومتشابه، وأخبر عن المحكمات أنها أم الكتاب، لأنّ إليه ترد المتشابهات وهي التي يعتمد في مراد الله تعالى من خلقه في كلما تعبدهم به من معرفته، وتصديق

---

(١)(٢) حذف الشارح ثلاثة أحاديث اختصاراً فلتتنبه. والحديث أخرجه الطبري في الأوسط (٣١٥/١) برقم (٥١٩)، وأخرجه أحمد في المسند (١٨١/٢) وفي آخره «فما عرفتم فاعملوا به وما جهلتم منه فردّوه إلى عالمه.

(٣) أخرجه الدّارمي (٤٩/١).

(٤) يوجد كلام محذوف اختصاراً فلتتنبه.

(٥) حذف الشارح كلاماً للخطابي في بيان المتشابه اختصاراً.

رسله، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وبهذا الاعتبار كانت أمهات، ثم أخبر عن الذين في قلوبهم زيغ أنهم هم الذين يبتغون ما تشابه منه، ومعنى ذلك أنّ من لم يكن على يقين من المحكمات وفي قلبه شك كانت راحته في تتبع المشكلات المتشابهات، ومراد الشارع منا التقدم إلى فهم المحكمات وتقديم الأمهات، حتى إذا حصل اليقين ورسخ العلم لم تُبْلَ بما أشكل عليك.

ومراد هذا الذي في قلبه زيغ التقدم إلى المشكلات وفهم المتشابه قبل الأمهات، وهو عكس المعقول، والمعتاد والمشروع، ومثل هؤلاء المشركين الذي يقترحون على رسلهم آيات غير الآيات التي جاؤوا بها، ويظنون أنهم لو جاءتهم آيات أخر لآمنوا عندها جهلًا منهم وما علموا أن الإيمان بإذن الله تعالى. هذا آخر كلام السيوطي[1] رحمه الله.

(ممن آتاه الله من لدنه علماً) قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير[2]: رجح ابن فورك أن الراسخين يعلمون تأويله وأطنب في ذلك، وهكذا جماعة من محقّقي المفسّرين رجحوا ذلك.

قال القرطبي[3]: قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمرو: وهو الصحيح فإن تسميتهم راسخين تقتضي بأنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب، وفي أي شيء هو رسوخهم إذ لم يعلموا إلا ما يعلم الجميع، لكن المتشابه يتنوع، فمنه ما لا يعلم ألبتة كأمر الروح والساعة مما استأثر الله بعلمه، وهذا لا يتوخى علمه أحد، فمن قال من العلماء الحذاق بأن الراسخين لا يعلمون علم المتشابه فإنما أراد هذا النوع، وأما ما يمكن حمله على وجوه في اللّغة فيتناول ويعمل تأويله المستقيم، ويزال ما فيه من تأويل غير مستقيم. انتهى.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٧، ١٢).

(٢) فتح القدير (١/ ٣١٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن العظيم (٤/ ١٨) عند تفسير الآية السّابعة من سورة آل عمران.

ونقول[1]: إن من جملة ما يصدق عليه تفسير المتشابه فواتح السور، فإنها غير متضحة المعنى ولا ظاهرة الدلالة بالنسبة إلى نفسها، لأنه لا يدري من يعلم بلغة العرب ويعرف عرف الشرع ما معنى الم، آلمر، حم، طس طسم ونحوها، لأنّه لا يجد بيانها في شيء من كلام العرب ولا من كلام الشرع، فهي غير متضحة المعنى، لا باعتبار نفسها، ولا باعتبار أمر آخر يفسرها ويوضحها، ومثل ذلك الألفاظ المنقولة عن لغة العجم، والألفاظ العربية التي لا يوجد في لغة العرب ولا في عرف الشرع ما يوضحها، وهكذا استأثر الله بعلمه كالروح، وما في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾[2] إلى آخر الآية ونحو ذلك، وهكذا ما كانت دلالته غير ظاهرة لا باعتبار نفسه، ولا باعتبار غيره كورود الشيء محتملًا لأمرين احتمالًا لا يترجح أحدهما على الآخر باعتبار ذلك الشيء نفسه وذلك كالألفاظ المشتركة مع ورود ما يبين المراد من معنى ذلك المشترك من الأمور الخارجة، وكذلك ورود دليلين متعارضين كلياً بحيث لا يمكن ترجيح أحدهما على الآخر باعتبار نفسه ولا باعتبار أمر آخر يرجحه، وأما ما كان واضح المعنى باعتبار نفسه بأن يكون معروفاً في لغة العرب، أو في عرف الشرع، أو باعتبار غيره، وذلك كالأمور المجملة التي ورد بيانها في موضع آخر من الكتاب العزيز، أو في السنة المطهرة، أو الأمور التي تعارضت دلالتها ثم ورد ما بين راجحها من مرجوحها في موضع آخر من الكتاب، أو السنة، أو سائر المرجحات المعروفة عند أهل الأصول المقبولة عند أهل الإنصاف، فلا شك ولا ريب أن هذا من المحكم لا من المتشابه، ومن زعم أنها من المتشابه فقد اشتبه عليه الصواب، فاشدد يديك على هذا فإنك تنجو به من مضايق ومزالق وقعت للناس في هذا المقام، حتى صارت كل طائفة تسمّى كلّ ما دل لما يذهب[3] إليه محكماً، وما دل لما يذهب

---

(١) الكلام للشوكاني، (فتح القدير (١/ ٣١٧).

(٢) [سورة لقمان: الآية ٣٤].

(٣) في فتح القدير: ذهب.

إليه من يخالفها متشابهاً، سيما أهل علم الكلام، ومن أنكر هذا فعليه بمؤلفاتهم.

واعلم أنه قد ورد في الكتاب العزيز ما يدل على أنه جميعه محكم لكن[1] لا بهذا المعنى الوارد في الآية هذه، بل بمعنى آخر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[2] وقوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾[3] والمراد بالمحكم بهذا المعنى أنه صحيح الألفاظ، قويم المعنى، فائق في البلاغة والفصاحة على كل كلام، وورد أيضاً ما يدل على أنه جميعه متشابه لكن لا بهذا المعنى الوارد في هذه الآية التي نحن بصدد تفسيرها، بل بمعنى آخر، ومنه قوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾[4] والمراد بالمتشابه بهذا المعنى أنه يشبه بعضه بعضاً في الصّحة والفصاحة والحسن والبلاغة. انتهى كلام الشوكاني رحمه الله في تفسيره.

وأفاد شيخ الإسلام ابن تيمية[5] رحمه الله: أن جمهور الأمة على أن الوقف عند قوله إلا الله، وقالت طائفة: إن الراسخين يعلمون تأويله، ولا منافاة بين القولين عند التحقيق، فالتأويل على ثلاثة وجوه: الأول: كلام الأصولين وهو ترجيح المرجوح لدليل، الثاني: التفسير وهو اصطلاح المفسرين، الثالث: الحقيقة التي تؤل إليها الكلام لقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾[6] فتأويل أخبار المعاد هو وقوعها يوم القيامة وتأويل ما أخبر الله به عن نفسه المقدسة بما لها من الأسماء والصفات هو حقيقة نفسه المقدسة،

(١) في فتح القدير: ولكن.
(٢) [سورة هود: الآية ١].
(٣) [سورة يونس: الآية ١].
(٤) [سورة الزمر: الآية ٢٣].
(٥) انظر كلام شيخ الإسلام كاملًا في رسالته القيمة «الإكليل في المتشابه والتأويل» ضمن مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٧٠، ٣١٤).
(٦) [سورة الأعراف: الآية ٥٣].

وتأويل ما أخبر به من الوعد والوعيد هو نفس الثواب والعقاب، فنحن إذا أخبرنا الله تعالى بالغيب الذي اختص به من الدارين وما فيهما علمنا معنى ذلك الذي أريد منا فهمه وفسرناه، وأما نفس الحقيقة المخبر عنها التي لم تكن بعد وإنما يكون يوم القيامة فذلك من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله. انتهى ملخصاً، وزاد عليه السيد الإمام محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله في ترجيح أساليب القرآن[1] وجهاً رابعاً من وجوه التأويل: وقال: تركه الشيخ والإمام وهو المراد في الآية وذلك هو وجه الحكمة فيما لا يعرفه العقول مثل خلق أهل النار وعذابهم وترجيحه على العفو عنهم مع ترجيحه للعفو لشرائعه[2] وأوامره لعباده وقد ذكرت كل طائفة وجهاً معيناً في ذلك واعترضهم الباقون وقد تقصيت ما قيل في ذلك وما يرد عليه في العواصم. انتهى.

قال الجلال السيوطي رحمه الله في الإتقان[3]: اختلف هل المتشابه مما يمكن الاطلاع على علمه أو لا يعلمه إلا الله؟ على قولين منشأهما الاختلاف على قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ هل هو معطوف؟ ويقولون حال أو مبتدأ خبره يقولون والواو للإستئناف، وعلى الأول طائفة يسيرة منهم مجاهد، وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أنا ممن يعلم تأويله، وقال مجاهد: يعلمون تأويله ويقولون آمنا به.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: «الراسخون في العلم يعلمون تأويله، لو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه من منسوخه، ولا حلاله من حرامه، ولا محكمه من متشابهه»[4].

واختاره النووي في شرح مسلم[5] وقال: إنه الأصح، لأنه يبعد أن

(١) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير ص (١٢٥).
(٢) في نسخة ب (بشرائعه).
(٣) الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٧) مختصراً.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره.
(٥) شرح مسلم للنووي (١٦/ ٣٣٣).

يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته، وقال ابن الحاجب رحمه الله: إنه الظاهر انتهى ملخصاً.

(وهو مرئي) بالأعين والأبصار **(للمؤمنين في يوم القيامة)** دار القرار قبل دخول الجنة وبعده لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾[(١)] ولقوله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»[(٢)] وهو حديث صحيح مشهور في الصحيحين وغيرهما رواه أحد وعشرون نفساً من أكابر الصحابة، وفيه أن ذلك قبل دخول الجنة.

ولقوله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «إذا دخل أهل الجنة الجنة» إلى قوله: «فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم»[(٣)] رواه مسلم وذلك بعد دخول الجنة.

ولإجماع الأمة، فإنهم كانوا مجمعين على وقوع الرؤية في الآخرة، وأن الآيات الواردة في ذلك محمولة على ظواهرها، ثم ظهرت مقالة المخالفين وشاعت شبههم وتأويلاتهم.

قال الرازي[(٤)]: مذهبنا في هذه المسألة ما اختاره الشيخ أبو منصور الماتريدي أن نتمسك بالدلائل السمعية في إثبات مذهبنا، فإنه أسرع في إلزام الخصوم وأظهر في تفهيمهم للعوام، وإذا ذكر الخصوم شبهتهم على هذه الدلائل النقلية تعارضهم بالنقول على وجه الدفع والرد.

قال علي القاري[(٥)] رحمه الله [وقد تواترت أحاديث إثبات الرؤية تواتراً

---

(١) [سورة القيامة: الآيتان ٢٢، ٢٣].

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٩) ومسلم برقم (٣٠٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٩٧).

(٤) انظر شرح الفقه الأكبر ص (١٢٢) والرازي هو محمد بن محمد الرازي ولد عام ٦٩٤هـ وتوفي عام ٧٦٦هـ (الأعلام ٣٨/٧).

(٥) شرح الفقه الأكبر ص (١٢٢) وما بين معكوفتين ساقط منه.

معنوياً فيجب قبولها ولا يلتفت إلى ما يتموهه أهل البدعة عقلًا] وأما قول قاضي خان: إن ترك الكلام في هذه حسن، فغير مستحسن، لأن ترك ما يفيد تحقيق المرام لا تثبت الأحكام.

وأفاد الحافظ ابن القيم رحمه الله(١) وقال: قد اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وجميع الصحابة، والتابعون، وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية والفرعونية المعطلون، والباطنية هم عن جميع الأديان منسلخون، [والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون وعن](٢) حبل الله منقطعون، وعلى سب أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم عاكفون، وللسنة وأهلها محاربون، ولكل عدو للّه ورسوله مسالمون. وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون، أولئك أحزاب الضلال [وشيعة اللعين](٣) وأعداء الرسول وحزبه انتهى.

وقد أطال الحافظ في إثبات الرؤية في حادي الأرواح في الباب الخامس والستون، وأجاب عن إيراد كل منكر لها وجمع أحاديث الباب في فصول عديدة ثم قال بعد ذلك(٤):

دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة، وأئمة الإسلام، وأهل الحديث عصابة الإسلام وبرك(٥) الإيمان وخاصة رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم على أن الله سبحانه وتعالى يُرى في القيامة بالأبصار، كما يرى القمر ليلة البدر صحواً، وكما ترى الشمس في الظهيرة، فإن كان ما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة فلا يمكن أن يرده إلا من فوقهم، لاستحالة أن يروا أسفل منهم، أو خلفهم، أو أمامهم، أو عن يمينهم، أو شمالهم، وإن لم تكن لما أخبر به حقيقة كما يقوله فروخ الصابئة،

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص (٣٢٦).
(٢) ما بين المعكوفتين ساقط من حادي الأرواح.
(٣) ما بين المعكوفتين ساقط من حادي الأرواح.
(٤) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص (٣٨٠).
(٥) في المرجع السابق: نزل.

والفلاسفة، والمجوس، والفرعونية، بطل الشرع والقرآن، فإن الذي جاء بهذه الأحاديث هو الذي جاء بالقرآن والشريعة، والذي بلّغها هو الذي بلّغ الدين فلا يجوز أن يجعل كلام الله ورسوله عضين بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها، فلا يجتمع في قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها إنكارها والشهادة بأن محمداً رسول الله[1]، والمنحرفون في باب رؤية الرب تعالى نوعان، أحدهما: من زعم أنه يُرى في الدنيا ويُحاضر ويُسامر، والثاني: من زعم أنه لا يُرى في الآخرة ألبتة، ولا يكلم عباده، وما أخبر به الله ورسوله وأجمع عليه الصحابة والأئمة يكذب الفريقين، وبالله التوفيق. انتهى.

ثم الكفار ليس لهم رؤية الله تعالى كما دل على ذلك قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[2].

(**لوجهين أحدهما: أن ينكشف عليهم انكشافاً تاماً بليغاً جداً أكثر من التصديق به عقلًا**) فهو أمر زائد على صفة العلم (**فكأنه الرؤية بالبصر**) يعني أن رؤيته تكون على وجه خارق للعادة من غير اعتبار المقابلة لهذه الحاسّة كما روي عنه صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «أتموا صفوفكم فإني أراكم من وراء ظهري»[3] على ما رواه الشيخان، وكما يرانا الله تعالى اتفاقاً.

(**إلّا أنه من غير موازاة، ومقابلة، وجهة، ولون، وشكل**) لأن الرؤية نوع كشف وعلم، إلا أنه أتم وأوضح من العلم، فإذا جاز تعلّق العلم به، وليس في جهة، جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة، وكما يجوز أن يَرى اللهُ الخلق وليس في مقابلتهم، جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة، وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة، جاز أن يرى كذلك من غير كيفية وصورة.

---

(١) في حادي الأرواح «والشهادة بأنّ محمّداً رسول الله أبداً. والحمد لله الذي هدَانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق، والمنحرفون...».

(٢) [سورة المطففين: الآية ١٥].

(٣) أخرجه البخاري برقم (٧١٨) ومسلم برقم (١٢٥).

قال القاضي[1] رحمه الله في ما لا بدّ منه: وأفضل نعم الجنّة رؤية الله تعالى. فالمسلمون يرونه في الجنة بلا حجاب، وبلا جهة، وبلا كيف، وبلا مثال. انتهى.

وأفاد المحدث الحاج محمد فاخر الزائر[2] رحمه الله فقال: وما قيل من أنه يرى ولا في مكان ولا على جهة من مقابلة، أو اتصال شعاع، أو ثبوت مسافة بين الرائي والمرئي، فالكتاب والسنة ساكتة عنه، ولمّا وصفته الجهمية بأوصاف لا توجد إلّا في العدم المحض، نفوا الرؤية والاستواء وسائر الصفات، ولم يزل أئمة أهل السنة مجدّين مجتهدين في إثبات الحق ورد الباطل، فعليكم باتباعهم فإنّهم مركز الحق.

(وهذا الوجه قال به المعتزلة وغيرهم) من أهل السنة والجماعة.

(وهو حق) لأن ذات الرؤية ثابتة بالكتاب والسنة إلا أنها متشابهة من حيثية الجهة، فأثبتوا ما أثبته النقل ونفوا ما تنزه عنه العقل.

قال علي القاري[3] رحمه الله: لقد أخطأ شارح عقيدة الطحاوي في هذه المسألة حيث قال: فهل يعقل رؤية بلا مقابلة، وفيه دليل على علوه على خلقه[4]. انتهى.

وكأنه قال بالجهة العلوية لربّه، ومذهب أهل السنة والجماعة أنه

---

(١) هو القاضي ثناء الله الباني البتي (انظر ترجمته ص ٤٢).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) شرح الفقه الأكبر ص (١٢٣).

(٤) في شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ما نصّه:
وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهاً لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه، وإلّا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة؟ ومن قال: يرى لا في جهة ـ فيراجع عقله!! فإمّا أن يكون مكابراً لعقله وفي عقله شيء، وإلّا فإذا قال يرى لا أمام الرائي ولا خلفه، ولا عن يمينه، ولا عن يساره ولا فوق، ولا تحته، رد عليه كل من سمعه بفطرته السّليمة. اهـ.

سبحانه لا يرى في جهة، وقوله «سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» تشبيه للرؤية بالرؤية في الجملة لا تشبيه المرئي بالمرئي من جميع الوجوه انتهى كلام القاري.

قال أبو الطيب[1] تخطئة القاري شارح العقيدة في قوله[2]: هل يعقل رؤية بلا مقابل... إلى قوله: كأنه قال بالجهة العلوية لربه، منظور فيه، لأنه لا استحالة في رؤيته بالتقابل مع علوه على خلقه، كما لا استحالة في قربه بعبادة ومعيته لهم مع كونه فوق العرش مستو عليه، وقد تقدم حديث «فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم»[3].

(وإنما خطأهم) أي خطأ المعتزلة **(في تأويلهم الرؤية بهذا المعنى)** وما يعلم تأويله إلا الله **(أو حصرهم الرؤية في هذا المعنى)** مع عدم دليل الحصر **(وثانيهما أن يتمثل لهم بصور كثيرة)** تليق بشأنه الأقدس المنزه عن مماثلة الخلق وتصور أوهامهم.

(كما هو مذكور في السنة).

قال الماتن رحمه الله في باب ذكر عالم المثال من كتاب الحجة البالغة[4]: قد استفاض في الحديث أن الله تعالى يتجلّى بصور كثيرة لأهل المواقف، وأن النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم يدخل على ربه وهو على كرسيه، وأن الله تعالى يكلم ابن آدم شفاهاً إلى غير ذلك مما لا يحصى والناظر في هذه الأحاديث بين إحدى ثلاث: إما أن يقرّ بظاهرها فيضطر إلى إثبات عالم ذكرنا شأنه وهذه هي التي يقتضيها قاعدة أهل الحديث، نبّه على ذلك السيوطي رحمه الله، وبها أقول وإليها أذهب، أو يقول: إن هذه الوقائع تتراءى لحسِّ الرائي وتتمثل له في بصره وإن لم يكن

---

(١) شرح الفقه الأكبر ص (١٢٣).
(٢) هو محمد صديق حسن خان رحمه الله.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) حجّة الله البالغة (١/ ١٤).

خارج حسه، وقال بنظير ذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾[١] إنهم أصابهم جدب فكان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى كهيئة الدخان من الجوع، ويذكر عن ابن الماجشون أن كل حديث جاء في النقل والرؤية في المحشر فمعناه أنه بغير إبصار خلقه فيرونه نازلًا متجلياً ويناجي خلقه ويخاطبهم وهو غير متغير عن عظمته ولا منتقل، ليعلموا أن الله على كل شيء قدير، أو يجعلها تمثيلًا لتفهيم معان أخرى، ولست أرى المقتصر على الثالثة من أهل الحق. انتهى.

(فيرونه بأبصارهم بالشكل واللون والمواجهة كما يقع في المنام كما أخبر به النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم حيث قال: رأيت ربي في أحسن صورة)[٢] وفي رواية في (صورة شاب).

قال الرازي رحمه الله في تأسيس التقديس: يجوز أن يرى النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم ربّه في المنام في صورة مخصوصة من الأنام، لأن الرؤيا من تصرفات الخيال وهو غير منفك من الصور المتخيلة في عالم المثال انتهى.

وقال بعض المشايخ رحمه الله: إن لله سبحانه تجليات صورية في العقبى، وبهذا يزول كثير من الإشكالات على ما لا يخفى، وما ذكره قاضي خان من منع هذا المنام وشدد في هذا المقام وقواه بنقله عن بعض العلماء الفخام، فقد بيّن جوابه، وعيّن صوابه علي القاري في المرقاة: ومن أجرء ممن أنكر الرؤية في المنام بعدما أحاط علماً بما ورد من منام سيد الأنام عليه التحية والسلام، ولا وجه لمنعه وإنكاره مع أنه ليس باختيار أحد من الناس كائناً من كان.

قال التفتازاني[٣] رحمه الله.. وأما الرؤية في المنام فقد حكيت عن

(١) [سورة الدخان: الآية ١٠].

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٣٢٣٣، ٣٢٣٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩).

(٣) شرح العقائد النسفية للتفتازاني ص (٩٨).

كثير من السلف، ولا خفاء في أنه نوع مشاهدة يكون بالقلب دون العين. انتهى.

وقال أبو حنيفة رحمه الله: رأيت رب العزة في المنام تسعاً وتسعين مرة ثم رآه أخرى تمام المائة وقصتها طويلة وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: رأيت ربي في المنام فقلت: يا رب، بما يتقرب المتقربون إليك، قال: بكلامي يا أحمد، قلت: رب بفهم أو غير فهم، قال: بفهم أو غير فهم، وقال أبو يزيد: رأيت الله في المنام فقلت كيف الطريق إليك، قال: أترك نفسك وتعال. وروي عن حمزة الزيات، وأبي الفوارس الكرماني، والحكيم الترمذي، وشمس الأئمة الكردري أنهم رأوه في المنام[1].

ومن الذين ذهبوا إلى استحالتها في المنام أبو منصور الماتريدي رحمه الله محتجاً بأن ما يرى في النوم خيال ومثال والله تعالى عنه متعال. والحديث يرد عليه وعلى من قال بقوله، وكفى بالحديث دليلًا لو لم يكن في الباب غيره، فكيف وقد اعتضد برؤية الآخرين الثقات، وإنما جوّزها من جوّز بلا كيفية وجهة ومقابلة وخيال، ولكني لا ارتضي به، بل هو جائز بها كما قال الماتن رحمه الله وذهب إليه نوماً كان في الدنيا أو يقظة في الآخرة، والله أعلم.

(**فيرون هنالك عياناً ما يرون في الدنيا مناماً**) بالشّكل واللون والجهة والمقابلة ولا استحالة فيها[2].

(**وهذان الوجهان نفهمهما ونعتقدهما**) لكونهما مستفادين من الأدلة الشرعية، وبهما يحصل المطابقة بين الروايات المختلفة والأحاديث المتعارضة (**و**) مع هذا.

---

(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لا يعلم، الله أعلم، قال الله تعالى لنبيه: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ متفق عليه اهـ. منه عفى الله عنه.

(٢) انظر الفقه الأكبر ص (١٢٢).

(إن كان الله ورسوله أراد بالرؤية غيرهما فنحن آمنا بمراد الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم وإن لم نعلمه بعينه) وهذا دأب الراسخين في العلم فإنّهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وقالت الملائكة: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾.

(ذلك ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن) وهو حديث صحيح اتفق عليه السلف والخلف.

فما شئت كان وإن لم أشأ وما شئت إن لم تشأ لم يكن

(فالكفر والمعاصي كلها) صغيرها وكبيرها (بخلقه وإرادته) إذ لو لم يروها لما وقعت ومن هنا قال أبو مدين المغربي:

لا تنكر الباطل في طوره فإنه بعض ظهوراته

والحاصل أن القدر وما يقع من خيره وشره، وحلوه ومره، كائن عنه سبحانه وتعالى، ما شاء كان وما لا فلا، فالكفر له نسبة إليه سبحانه وهي كونه من خلقه على مقتضى حكمته ولا اعتراض عليه فيه، فإنّه مالك الملك يتصرف فيه كيف يشاء، لا يتضرر بشيء كما لا ينتفع به، وله نسبة إلى المكلف، وهي وقوعه باختياره وكسبه، والاعتراض واقع عليه في فعله، لأنه أسخط مولاه واستحق عقوبته الدائمة في عقباه.

(لا برضاه) لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[1] لأن الكفر يوجب المقت الذي هو أشد الغضب، وهو ينافي رضاء الرب المتعلق بالإيمان وحسن الأدب، فالمعصية ليست بأمر الله تعالى، ولكن بمشيئته لا بمحبته، وبقضائه لا برضاه، وبتخليقه لا بتوفيقه.

قال القاضي[2] رحمه الله في ما لا بد منه: وكلّ ما يقع من الخير والشر، وكل ما يرتكبه العبد من الكفر والإيمان، والطّاعة والعصيان، كلها

---

(١) [سورة الزمر: الآية ٧].

(٢) سبقت ترجمته ص (٤٢).

بإرادته تعالى، لكنه سبحانه لا يرضى بالكفر والمعصية، وقرر عليها العذاب، ويرضى بالطاعة والإيمان، ووعد عليه بالثواب، فالإرادة شيء آخر، والرضاء شيء آخر. انتهى.

(وهو) غني عن العالمين **(لا يحتاج إلى شيء في ذاته وصفاته)** لأن الاحتياج من أمارات الحدوث والإمكان، والله تعالى منزه عنه.

(ولا حاكم عليه) بل هو الحاكم على الكلّ يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1] وفي القنوت: «إنك تقضي ولا يقضى عليك».

(ولا يجب عليه شيء بإيجاب غيره) ومن الغير حتى يوجب شيئاً عليه، بل لا يعقل في حقه الوجوب **(نعم قد يعد شيئاً فيفي بالوعد)** كرماً وفضلًا **(كما ورد)** في القرآن ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[2] وفي الحديث «إن رحمتي سبقت غضبي» **(فهو ضامن على الله)** حسب وعده الصّدق الذي كانوا به يوعدون دون إيجاب غيره **(وجميع أفعاله تتضمن الحكمة)** وقد كان الله عليماً حكيماً، وفعل الحكيم لا يخلو عن الحكمة، قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾[3] **(والمصلحة الكلية على ما يعلم)** هو وإن لم يعلم غيره **(ولا يجب عليه اللطف الجزئي الخاص والأصلح الخاص)** وإلا لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا والآخرة، فإن العدم أصلح له من الوجود في عالم الشهود ولما كان له امتنان على العباد، وقد قال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾[4] ولما كان له استحقاق شكر في الهداية وإفاضة أنواع الخيرات لكونها أداءً للواجب، ولما كان امتناعه على النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم فوق امتناعه على أبي جهل إذ فعل بكل منهما غاية مقدوره من الأصلح له، ولَما كان لسؤال العصمة والتوفيق

(١) [سورة الأنبياء: الآية ٢٣].
(٢) [سورة الأنعام: الآية ١٢].
(٣) [سورة المؤمنون: الآية ١١٥].
(٤) [سورة الحجرات: الآية ١٧].

وكشف الضر والبأساء والبسط في الخصب والرخاء معنى، لأن ما يفعله في حق كل واحد فهو مفسدة له يجب على الله تركها، وما نقل عن معتزلة بغداد من كون الأصلح للكفار تخليدهم في النار فغاية في المكابرة ونهاية في العناد.

(**لا قبيح منه**) بل كل ما يخلقه ففيه حسن وحكمة باعتبار خير وبهذا ورد حديث «الخير كله بيديك والشر ليس إليك»[1] نعم قد يكون قبيحاً وشراً لبعض الناس، فهذا شر جزئي وإضافي، وإما شرّ كلي أو شر مطلق، فالله تعالى منزّه عنه، ولهذا لا يضاف إليه الشر مفرداً قط، بل لا يدخل في عموم الخلق بقوله سبحانه.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[2] وقوله: ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾[3] أو يضاف إلى السبب كقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾[4] أو يحذف فاعله كقوله: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ۝١٠﴾[5] وبالجملة تنسب الطاعة إليه، لأنها محض خير ولا تنسب إليه السيئة، لأنها في صورة شر تأدباً مع أن الكل من عنده فخلق الطاعة فضل وخلق المعصية عدل.

(**ولا ينسب**) بل ولا يتصور (**فيما يفعل أو يحكم إلى جور وظلم**) لأنه لا يصادف لغيره ملكاً حتى يكون تصرفه فيه ظلماً، فكلّ ما سواه من إنس وجن، وملك، وشيطان، وسماء، وأرض، وحيوان، ونبات، وجماد، وجوهر، وعرض، ومدرك، ومحسوس حادث، مملوك له تعالى، وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[6].

(**يراعي الحكمة فيما خلق وأمر، لا أنه يستكمل نفسه وصفاته بشيء**

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١) والنسائي برقم (٨٩٧) والترمذي برقم (٣٤٢٢).
(٢) [سورة الزمر: الآية ٦٢].
(٣) [سورة النساء: الآية ٧٨].
(٤) [سورة الفلق: الآية ٢].
(٥) [سورة الجن: الآية ١٠].
(٦) [سورة فصلت: الآية ٤٦].

وأن يكون له حاجة وغرض) لأن أفعاله ليست معلّلة بالأغراض **(فإن ذلك ضعف وقبح)** مناف للألوهية، وأمارة للحدوث والإمكان، وهو منزه عنه.

(لا حاكم سواه) لقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1] قال الماتن رحمه الله في التفهيمات: أو أشهد لله بالله أن لا حاكم إلا الله، «**وإن الحكم إلا لله**» وإن الله تعالى حكم بالواجب، والمندوب، والمباح، والمكروه، والحرام، من فوق عرشه، فحقق ذلك كلّه في الملأ الأعلى، وفي الشعاع القائم حول تجلية الأعظم، ثم أنزل الشريعة في الناس على لسان من اصطفاه لرسالته، فمن أخبر بأنّ هذا واجب أو حرام من غير ثبت وثقة افترى على الله الكذب ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾[2] بل الحق في المرتبة الأولى أن يجزم بما هو معلوم الاعتقاد لا يقبل النقيض، ويصحح القول في المرتبة الثانية فيقال: القولان مرويان عن الصّحابة مثلًا، إلا أن هذا القول أحبّ إلينا، وأشبه بالسنة. انتهى.

(فليس للعقل في حسن الأشياء وقبحها) بل الحكم بحسنها وقبحها فيها لله تعالى خاصة، وعليه عامة الفقهاء خلافاً للمعتزلة، فإن الحسن عندهم ما يستحسنه العقل، والقبح ما يستقبحه العقل على مراتب، منها ما يكون حسناً بعينه كالإيمان بالله تعالى، والعبادة، وشكر النعمة، ومنها ما هو بمعنى في غيره كبناء الرباطات، والمساجد، وإماطة الأذى عن الطريق **(وكذا)** القبح **(وكذلك)** ليس للعقل حكم **(في كون الفعل سبباً للثواب والعقاب وإنما حسن الأشياء وقبحها بقضاء الله تعالى)** على ألسنة الأنبياء والمرسلين.

(وحكمه وتكليفه للنّاس فمنها ما يدرك بالعقل وجهه ومصلحته ومناسبته

---

(١) [سورة يوسف: الآية ٤٠].

(٢) [سورة النحل: الآية ١١٦].

للثواب والعقاب، ومنها ما لا يدركه إلا بإخبار الرسل عن الله تعالى وكل صفة من صفاته) الذاتية كالعلم، والقدرة، والحياة، والكلام، والسمع، والبصر، والإرادة، والفعلية كالتخليق، والترزيق، والإبداع، والإحياء، والإنبات، والإنماء، وتصوير الأشياء إلى غير ذلك.

(واحدة بالذات) لا يتكرر ولا يتعدد، فهو سبحانه فاعل بفعل واحد جميع المفعولات، فيسمع بسمع واحد جميع المسموعات، ويتكلم بكلام واحد جميع الكلمات، وحي بحياة واحدة، وكذا سائر الصفات، لأن التعدّد والتكرّر من صفات الحادثات، وإنما التعدد في تأثيرها وأسمائها دون نفسها.

(غير متناهية بحسب التعلق والتجدد) كما قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[(١)] وقال: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾[(٢)].

(وإنما هو في التعلق بالمعنى المذكور) فليس التعلق أيضاً بمتعدد، وإنما المتعدد هو المتعلَّق بالفتح فيظهر أحكام التعلق متفاوتة متعددة بحسب تفاوت المتعلقات، وهو سبحانه بريء عن الحدوث، والتجدد، والتعدد، من جميع الوجوه.

(ولله تعالى ملئكة) وإنهم أجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل بأشكال مختلفة، مُنَزّهون عن صفة الذكورية ونعت الأنوثية، إذ لم يرو بذلك نقل ولا دل عليه عقل، وما زعم عبّاد الأوثان أنهم بنات الله فمحال باطل، وإفراط في شأنهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾[(٣)].

(علويون) مسكنهم السمٰوات العلى وهم الملأ الأعلى، وهذا قول أكثر المسلمين.

(مقربون) «أولي أجنحة مثنى وثلٰث ورباع» قال القاضي رحمه الله في ما

---

(١) [سورة المدثر: الآية ٣١].

(٢) [سورة القصص: الآية ٦٨].

(٣) [سورة الأنبياء: الآية ٢٦].

لا بد منه: ويؤمن بأن الملائكة عباد الله حقّ معصومون من الجناح، لا يحتاجون إلى أكل وشرب، مبلّغون للوحي، حاملون للعرش، قائمون بما أمروا، والأنبياء والملائكة مع أنهم أشرف المخلوقات ومقربوا الحضرة، لكن لا علم لهم ولا قدرة كمثل سائر المخلوقات، إلا ما علمهم الله تعالى وأعطاهم من القدرة، وهم مؤمنون بذاته وصفاته كسائر المسلمين، ومعترفون في إدراك كُنهِه بالعجز والقصور، وناطقون في تأدية حقوق العبودية بشكر توفيقه تعالى تشريك عباد الله الخواص في صفاته الواجبة أو العبادة كفر، وكما أن الكفار كفروا بإنكار الأنبياء، كذا النصارى قالوا: إن عيسى ابن الله، ومشركوا العرب قالوا: إن الملائكة بنات الله، وسلّموا لهم علم الغيب فكفروا، لا ينبغي أن يشرك الأنبياء والملائكة في صفاته تعالى. انتهى.

(وملائكة) أخرى **(موكّلون على كتابة الأعمال)** كما دل عليه القرآن ﴿كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾(١) ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾(٢).

(وحفظ العبد عن المهالك) والمهاوي **(والدعوة إلى الخيرات)** كما وردت به السنة الصحيحة **(ويَلَمُون)** من اللّمة بالفتح وهي القرب والإصابة **(للعبد بالخير)** والرشد وما فيه هدايته، ونجاته، وفلاحه، وصلاحه **(لكل واحد)** منهم **(مقام معلوم)** لا يتجاوز عنه كما ورد به الكتاب، وفي الحديث: «إن للشيطان لمته وللملك لمته»(٣) الحديث، قال الماتن رحمه الله في الحجة: إن صورة تأثير الملئكة في نشأة الخواطر الأنس والرغبة في الخير وتأثير الشياطين فيها الوحشة وقلق الخاطر والرغبة في الخير وتأثير الشياطين فيها الوحشة وقلق الخاطر والرغبة في الشر انتهى.

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ وأما إبليس فكان من الجن ففسق عن أمر ربه، ولم يكن منهم، وأما هاروت وماروت فالأصح

---

(١) [سورة الإنفطار: الآيتان ١١، ١٢].

(٢) [سورة ق: الآية ١٨].

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٩٨٨).

أنهما ملكان لم يصدر عنهما كفر ولا كبيرة، وتعذيبهما إنما هو على وجه المعاتبة كما يعاتب الأنبياء على الزلات والسهوات، وكانا يعظان الناس ويقولان إنما نحن فتنة فلا تكفر ولا كفر في تعليم السحر، بل في اعتقاده والعمل به.

(ومن خلْق الله تعالى الشياطين لهم لَمّة شر بابن آدم) وتصرف فيهم كما ورد به الخبر خلافاً للمعتزلة حيث يقولون: لا يمكنهم أن يوسوسوا وإنما نفس الإنسان توسوسه. وهو مردود عليهم لقوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾[2] ولما صح عنه صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[3] وقوله لعائشة رضي الله عنها: «قد جاءك شيطانك»[4]، إلى غير ذلك من الأخبار، ثم الحكمة في أنهم يرونا ونحن لا نراهم أنهم خلقوا على صورة قبيحة، فلو رأيناهم لم نقدر على تناول الطعام والشراب فستروا عنا رحمة علينا، والملئكة خلقوا من النور فلو رأيناهم لطارت أرواحنا لديهم وأعيننا إليهم فأخفوا لذلك.

(والقرآن) على معنى أنه عبارة عن ذلك المعنى القديم يسمى **(كلام الله)** تعالى، والدليل على ثبوته إجماع الأمة من الأئمة، وتواتر النقل عن الأنبياء بأن أوحي إليهم بيان الأحكام، فالقرآن مكتوب في المصاحف، ومحفوظ في القلوب، ومقروء على الألسن، وكلامه صفة واحدة، وتكثره إلى الأمر والنهي والخبر باختلاف التعلقات كسائر الصفات فإنها واحدة، والتكثر والحدوث إنما هو في الإضافات، ويكفي وجود المأمور في علم

---

(١) [سورة البقرة: الآية ٢٦٨].

(٢) [سورة فاطر: الآية ٦].

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٣٨) ومسلم برقم (٢٤، ٢٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢١٦٨/٤) برقم (٢٨١٥) والنسائي في السنن الكبرى (٢٨٧/٥) برقم (٨٩٠٨).

الآمر، قال القاضي رحمه الله في ما لا بد منه: والكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء كالتوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان المجيد، وصحف إبراهيم، وغيرها كلّها حق، فليؤمن بالأنبياء كلّهم وبكتب الله كلها، ولكن لا يلاحظ في الإيمان بهم وبها عددهم وعددها، فإنه لم يثبت بدليل قطعي وكلامه كلام بسيط، وجميع الكتب المنزلة تفضلية. انتهى.

(أوحى الله تعالى به) أي بهذا الكلام اللفظي المؤلف من الأصوات والحروف القائمة بمجالها المسماة بكلام الله **(إلىٰ[1] نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم)** بواسطة الحروف المفردات والمركبات في الحالات المختلفات، وفي هذه المسألة تسعة أقوال:

منها: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل، وهذا قول طائفة من أهل الكلام والحديث.

ومنها: أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء، وهو يتكلم بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

قال علي القاري[2]: ثم الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة يرجع إلى إثبات الكلام النفسي ونفيه، وإلا فأهل السنة لا يقولون بقدم الألفاظ والحروف، وهم لا يقولون بحدوث الكلام النفسي انتهى.

قال الفاضل الآله آبادي رحمه الله: وما قالوا أن كلامه ليس من جنس الحروف والأصوات هو مخالف للسنة والكتاب، وليس بمعقول أيضاً أن يكون كلامه بلا صوت وحرف كإنسان فقدت أعضاءه كلها، بل القرآن كلامه منه بدء وإليه يعود، ولفظه ومعناه كلّها من الله سبحانه وتعالى، وليس جبرائيل عليه السلام إلا ناقلًا، وليس شأنه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم إلا نقله، فكل ما يمرّ على لسان أحد من القرآن فهو كلامه الذي

---

(١) في نسخة ب (على).

(٢) شرح الفقه الأكبر ص (٤٢).

تكلم به وسمع منه جبرائيل صدقاً، وأنزله على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم يقيناً، فمن قال: إنه كلام ملك، أو كلام بشر، فمسكنه سقر، ولا يعلم طريق تكلّمه سبحانه وتعالى إلا هو، وكيفيته موكولة إليه تعالى، وقد أوقع ظن انحصار طريق التكلم فيما هو معروف بين الحيوانات كثيراً من الناس في ورطة التأويل الهائلة، وأغرقهم بعدما أبعدهم عن ساحل نجاة الإيمان بما ورد به الكتاب والسنة في لجة الإضطراب المهلكة، كيف وقد وقع تسبيح الحصى، وتكلم الأحجار والأشجار معجزة له صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم على غير طريق معهود، فإن تكلّم القادر على كل شيء من دون طريق عادي فأي استحالة فيه؟ وأما الكلام النفسي الذي ذكر في كتب الأشاعرة وغيرهم فلا استشمام لرائحته في الكتاب والسنة، ولا يتميز عن العلم إلا باعتبار معتبر والله أعلم.

قال أبو الطيب: وبهذا قال عصابة من أهل السنة والحنابلة كلهم إلا ما شاء الله تعالى، وكذا شرذمة قليلة من كل طائفة من أهل السنة، وظلّمت الحنفية ومن قال بقولهم الحنابلة ومن تبعهم في القول بتبديعهم وتضليلهم ولم يقل أحد من الحنابلة المعتبرة المعوّل عليه بكون الغلاف والجلد قديماً، والظاهر أن أمثال هذه الخرافات مدسوسة عليهم وهم بريئون عنه[1].

قد أصبحت أم الخيار تدعي ... علي ذنباً كله لم أصنع

والله أعلم.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا﴾ وهو النفث في الروع برؤيا أو خلق علم ضروري عند توجهه إلى الغيب ﴿أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ أن يسمع كلاماً منظوماً كأنه سمع من خارج ولم ير قائله.

(أو يرسل رسولًا) فيتمثل الملك له **(فيوحي بإذنه ما يشاء)** وربما يحصل عند توجهه إلى الغيب وانقهار الحواس صوت صلصلة الجرس كما

(١) في نسخة ب (عنها). أقول: ومن ادعى أمثال هذه الخرافات فعليه بالدليل، بذكر القائل، والمصدر، والصّحة.

قد يكون عند عروض الغشي من رؤية ألوان حمر وسود. كذا في الحجة البالغة.

(فهذا حقيقة الوحي) الرباني **(ولا يجوز الإلحاد)** الميل عن الحق **(في أسماء الله تعالى)** لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾[1] قال الجلالين[2]: أي حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم كاللات من الله، والعزى من العزيز، ومنات من المنان. انتهى. وفي تمهيد أبي الشكور السالمي قد أجمع العلماء على أن من سمى الله باسم لم يسم به ولم يوافق معنى الربوبية، ولم يرد به الخبر فإنه يكفر، وإن وافق معنى الربوبية جاز.

(وصفاته) قال الماتن رحمه الله في الحجة البالغة: والحق أن أسماءه توقيفية بمعنى أنا وإن عرفنا القواعد التي بنى الشارع بيان صفاته سبحانه وتعالى عليها، لكن كثيراً من الناس لو أبيح لهم الخوض في الصفات لضلوا وأضلوا كثيراً من الصفات وإن كان الوصف بها جائزاً في الأصل، لكن قوم من الكفار حملوا تلك الألفاظ على غير محلّها، وشاع ذلك فيما بينهم، فكان حكم الشرع النهي عن استعمالها دفعاً لتلك المفسدة.

وكثيراً من الصّفات يوهم استعمالها على ظواهرها خلاف المراد، فوجب الإحتراز عنها، فلهذه الحكم جعلها الشرع توقيفية ولم يبح الخوض فيها بالرأي.

وبالجملة فالضحك، والفرح، والتبشش، والغضب، والرضا يجوز لنا استعمالها، والبكاء، والخوف، ونحو ذلك لا يجوز لنا استعمالها وإن كان المأخذان متقاربان، والمسألة على ما حققناه معتضدة بالعقل والنقل، لا يحوم الباطل من بين يديها ولا من خلفها، والإطالة في إبطال أقوالهم ومذاهبهم لها موضع آخر غير هذا الموضع. انتهى كلامه.

---

(١) [سورة الأعراف: الآية ١٨٠].

(٢) تفسير الجلالين (ص ١٦٥).

وفي الفقه الأكبر وشرحه لعلي القاري: وكل ما ذكره العلماء بالفارسية من صفات الله تعالى كالوجه والقدم والعين فجاز القول به بأن نتبعهم في التعبير عن أسمائه وصفاته حسب ما ذكره العلماء باختلاف لغاته سوى اليد بالفارسية، فإنه لا يجوز تعبيرها، ومفهومه أنه لا يجوز للعلماء وغيرهم أن يعبّروا في صفته ونعته بذكر اليد ونحوها على وفق ما ورد بها، كما يقال بيده أزمة التحقيق، ويجوز أن يقال: «يد» بلا تشبيه ولا كيفية من الهيئة والكمية كما يقتضيه التنزيه، وإذا كان القول مقروناً بالتنزيه فالفرق بين اليد والوجه تدقيق يحتاج إلى تحقيق.

ثم رأيت أن السلف أجمعوا على عدم تأويل اليد وتبعهم الأشعري في ذلك بخلاف سائر الصفات، فإن فيها خلافاً عنهم بين التأويل والتفويض انتهى ملخصاً.

(فيتوقف إطلاقه على الشرع) دون العقل والعرف ومما أطلقه الشرع عليه سبحانه وتعالى اليد في قوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[1] و ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[2] «وخلقك الله بيده»[3] رواه الشيخان «وخط لك في الألواح بيده» رواه البخاري «وغرس أشجاره بيده»، ومنها اليمين في قوله: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[4]، «وكلتا يديه يمين»[5] رواه مسلم ومنها الكف في قوله: «ثم أفاض بهم في كفيه» وقوله: «فتربوا في كف الرحمن»[6] ومنها الأصبع في قوله: «إن الله يضع السماء على أصبع»[7] رواه الشيخان و «قلوب الخلائق بين أصبعين من أصابع الرحمن»[8] رواه

(١) [سورة ص: الآية ٧٥].
(٢) [سورة المائدة: الآية ٦٤].
(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٥١٦) ومسلم برقم (١٩٣).
(٤) [سورة الزمر: الآية ٦٧].
(٥) أخرجه مسلم برقم (١٨٢٧).
(٦) أخرجه أحمد (٢/٢٦٨) ومسلم برقم (١٠١٤).
(٧) أخرجه البخاري برقم (٤٨١١) ومسلم برقم (٢٧٨٦) والترمذي برقم (٣٢٣٨).
(٨) أخرجه البخاري ومسلم.

البخاري ومنها الشمال في قوله: «ثم يطوي الأرضين بشماله»[(١)] رواه الشيخان ومنها القدم في قوله: «يضع فيها قدمه فتقول قط قط»[(٢)] رواه البخاري ومنها الرجل في قوله: «يضع الله فيها رجله»[(٣)] رواه البخاري ومنها الوجه في قوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[(٤)] وقوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[(٥)] ومنها النفس في قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾[(٦)] و«أنت كما أثنيت على نفسك»، ومنها العين في قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾[(٧)] وقوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[(٨)] ومنها النزول في قوله: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا» ومنها الإتيان في قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[(٩)] ومنها الكلام في قوله: ﴿مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾[(١٠)] وقوله: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾[(١١)] و ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[(١٢)] و ﴿يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[(١٣)] ومنها القول في قوله: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾[(١٤)] و ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾[(١٥)] و ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[(١٦)] ومنها الساق في قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[(١٧)] ومنها

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥١٩) ومسلم برقم (٧٣٨٢).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٨٤٨) ومسلم برقم (٢٨٤٨).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٤٨٥٠) ومسلم برقم (٢٨٤٦).
(٤) [سورة الرحمٰن: الآية ٢٧].
(٥) [سورة البقرة: الآية ١١٥].
(٦) [سورة المائدة: الآية ١١٦].
(٧) [سورة طه: الآية ٣٩].
(٨) [سورة الطور: الآية ٤٨].
(٩) [سورة الفجر: الآية ٢٢].
(١٠) [سورة الكهف: الآية ١٠٩].
(١١) [سورة لقمان: الآية ٢٧].
(١٢) [سورة التوبة: الآية ٦].
(١٣) [سورة التوبة: الآية ١٥].
(١٤) [سورة السجدة: الآية ١٣].
(١٥) [سورة ق: الآية ٢٩].
(١٦) [سورة النساء: الآية ١٢٢].
(١٧) [سورة القلم: الآية ٤٢].

الحقو في قوله: «فأتت الرحم فأخذت بحقو الرحمن»[1] ومنها الجنب في قوله: ﴿مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ﴾[2] ومنها الفوق في قوله: «ثم الله فوق ذلك»[3] ومنها الإستواء في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾[4] إلى غير ذلك مما ورد به الآيات الصريحة والأحاديث المستفيضة، فيجب الإيمان بها كما جاءت بظواهرها من غير تحريف، وتبديل، وتشبيه، وتمثيل، ويجوز إطلاقها بعباراتها وألفاظها، واستعمالها على وجهها من غير تعطيل ولا تأويل، ولا يبحث عنه بأكثر من استعمالها ويكل علمها إلى الله سبحانه وتعالى كما قيل في المثل السائر «أعط القوس باريها» ويقول: آمنا بها على مراد الله تعالى، ولا يقيس عليه شيئاً من قِبَلِ نفسه وتلقاء رأيه، فلا يثبت له سبحانه ما لم يثبته الله لنفسه ولا رسوله له، بل يتوقف على إطلاق الشرع وهو سواء السبيل، وعليه درج السلف الصالح، والأئمة المجتهدون، ومن حذا حذوهم من العلماء وأهل الحديث.

(والمعاد) أي عود الجسم بعد الإعدام بأجزائه وعوارضه كما كان **(الجسماني)** قال الماتن رحمه الله: حشر الأجساد وإعادة الروح ليست حياة مستأنفة إنما هي تتمة النشأة المتقدمة بمنزلة التخمة لكثرة الأكل، ولولا[5] ذلك لكانوا غير الأولين، ولما أخذوا بما فعلوا. انتهى.

(حق) لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾[6] وقوله تعالى: ﴿يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾[7] وما في معناها من الآيات القاطعة، والنصوص اللامعة، والأدلة القائمة، والحجج الناهضة، فالإيمان بالحشر بأن يحييهم الله تعالى بعد فنائهم، ويجمعهم للعرض والحساب من

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٠).

(٢) [سورة الزمر: الآية ٥٦].

(٣) سبق تخريجه.

(٤) [سورة الأعراف: الآية ٥٤].

(٥) في نسخة ب زيادة كيف ولا.

(٦) [سورة المؤمنون: الآية ١٦].

(٧) [سورة يس: الآية ٧٩].

ضروريات الدين، وإنكاره كفر باليقين، ثم إنه سبحانه وتعالى كما يحي العقلاء يحي المجانين، والصبيان، والجن، والشياطين، والبهائم، والحشرات، والطيور، للأخبار الواردة في ذلك قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[1] و ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾[2] وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾[3].

(يحشر الأجساد ويعاد فيها الروح) لأن المذهب المختار هو الحشر المركب بين الروح والجسد، وأما السقط الذي لم يتم أعضاءه فروي عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله أنه إذا نفخ فيه الروح يحشر، وإلا فلا، فهو الظاهر.

(وتكون الأبدان تلك الأبدان التي كانت شرعاً وعرفاً) لأن الأجزاء الأصلية من البدن باقية وهي الأجزاء الحاصلة في أول الفطرة، وهو وقت تعلق الأرواح بالأشباح على أن الحشر لا يكون إلا بجميع الأجزاء من أول العمر إلى آخره، تحقيقاً لمعنى الإعادة كما ورد أنه سبحانه يعيد القلفة، والأجزاء المقطعة من الظفر، والشعر، وأمثال ذلك، ثم يبقي ما أراده ويعدم ما أراده على ما تعلقت به المشيئة في الكمية، والكيفية، والهيئة.

(وإن طالت أو قصرت كما ورد أن ضرس الكافر يكون مثل أُحد) اسم جبل بالمدينة وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم «جبل يحبنا ونحبه»[4].

(أو كانت ألطف منها كما ورد في صفة أهل الجنة) أنهم جرد مرد **(وذلك)** أي عرفاً **(كما أن الصبي هو الذي يشب ويشيب وإن تبدلت الأجزاء فيه ألف مرة)** كما يقال لمن رأى حال الصّبا في الشيخوخة إنه بعينه، وإن

---

(١) [سورة الكهف: الآية ٤٧].

(٢) [سورة التكوير: الآية ٥].

(٣) [سورة الأنبياء: الآية ١٠٤].

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٧٣٣٣) ومسلم برقم (١٣٦٥) والترمذي برقم (٣٩٢٢) وابن ماجه برقم (٣١١٥).

بدّلت الصور والهيئات، بل كثير من الأعضاء والآلات، ولا يقال لمن جنى بالشباب فعوقب في المشيب إنه عقوبة لغير الجاني، فَكِبَرُ ضرس الكافر بمنزلة ورم أعضائه.

(والمجازاة) وعقد له الماتن رحمه الله باباً مستقلًا مشتملًا على حكمه وسرّه **(والحساب)** على ما نطقت به النّصوص من الكتاب والسّنة، وأنها أمور ممكنة أخبر بها الصادق، والناس فيه يتفاوت إلى مناقش في الحساب وإلى مسامح فيه، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب، وهم المقربون، فيسأل الله تعالى من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة، ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين، ويسأل المبتدعة عن السنة، ويسأل المسلمين عن الأعمال.

(والصراط) وهو جسر ممدود على ظهر جهنّم «أرقّ من الشعر وأحدّ من السيف»[١] رواه مسلم، تزلّ عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه فتهوي بهم إلى النار، وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار.

(حق) لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾[٢] قال النووي رحمه الله المراد في الآية المرور على الصراط. انتهى، وهو المروي عن ابن عباس رحمه الله وجمهور المفسرين [وقال تعالى][٣] ﴿مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾[٤] وهذا ممكن يجب التصديق به، فإن القادر على أن يُطِيرَ الطير [في الهواء قادر على][٥] أن يسير الإنسان على الصراط، وأنكره أكثر المعتزلة، لأنه لا يمكن عبوره وإن أمكن فهو تعذيب المؤمنين، [والجواب ما ورد في الصحيح][٦] «يضرب الصراط بين ظهري جهنم

---

(١) مسلم برقم (١٨٣).

(٢) [سورة مريم: الآية ٧١].

(٣) سقطت من نسخة (أ).

(٤) [سورة الصافات: الآيتان ٢٣ ـ ٢٣].

(٥) سقطت من نسخة (أ).

(٦) سقطت من نسخة (أ).

ويمر المؤمنون عليه فأولهم كالبرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وأشد الرجال [حتى يجيء الرجل فلا يستطيع][1] أن يسير سير إلا زحفاً، في حافتيه كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت بأخذه، فمخدوش، وناج، ومكدوس في النار»[2].

(**والميزان**) وله لسان وكفتان يعرف به مقادير الأعمال، بأن توزن صحفها به، والعقل قاصر عن إدراك كيفيته، وهو حق لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[3] الآية وقوله: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾[4] وروى[5] الترمذي وحسنه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص «يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق وينشر عليه تسعة وتسعون سجلًا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر، فيقول: لا، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات! فيقال: إنك لا تظلم فتوضع

---

(١) سقطت من نسخة (أ).

(٢) مسلم برقم (١٩٥).

(٣) [سورة الأنبياء: الآية ٤٧].

(٤) [سورة الأعراف: الآية ٨].

(٥) قال الصواف لما أملى علينا حمزة الكناني هذا الحديث في الجامع العتيق بمصر صاح رجل في المجلس صيحة فاضت نفسه معها وأنا ممن حضر جنازته وصلى عليه، وقال أبو الفيض محمد مرتضى الواسطي الزبيدي في أمالي الحنفي هذا حديث جيد الإسناد عظيم الموقع مسلسل بالبصريين وصحابيه سكن مصر مع أبيه وأقام بعده مدة يسيرة ثم تحول منها رواه أحمد والترمذي والطبراني وابن حبان في صحيحه كلهم من حديث ابن المبارك، ورواه ابن ماجة من حديث سعيد ابن مريم وابن حبان أيضاً من حديث عبد الله بن عمر الخرساني والطبراني أيضاً من حديث عبد الله بن صالح كاتب الليث والحاكم من حديث يونس بن محمد المؤدب خمستهم عن الليث بن سعد فوقع لنا عاليا وقال الحاكم أنه على شرط مسلم أي أن رجاله موثوقون فعامر وثقه أبو داود والنسائي والحبلي وثقه يحي بن معين وروى له البخاري في الأدب المفرد والله أعلم. انتهى منه عفى الله تعالى عنه.

السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء»[1].

مهما تفكرت في ذنوبي خفت على نفسي احتراقه
لكنه ينطفي لهيبي بذكر ما جاء في البطاقة

قال الغزالي والقرطبي[2] رحمهما الله: لا يكون الميزان في حق كل أحد فالسبعون ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرفع لهم ميزان، ولا يأخذون صحفاً، ثم اعلم أن الموزون أعمّ من الطاعة والمعصية حتى يظهر الثقل والخفة بحسب ما تعلق به الإرادة والمشيئة، ونتوقف فيه على بيان كيفيته سواء يقال بوزن صحائف الأعمال، أو بتجسيم الأقوال والأفعال، ولا عبرة بإنكار المعتزلة بعد ما وردت به الأخبار.

قال أبو الطيب: وكذا حوض النبي صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم حق.

قال القرطبي[3]: وهما حوضان، الأول قبل الصّراط وقبل الميزان على الأصح فإن النّاس يخرجون عطاشاً من قبورهم فيَردونه قبل الميزان والصراط، والثاني في الجنة، وكلاهما يسمى كوثراً، روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: «بينما رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذا أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليّ آنفاً سورة» فقرأ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾[4] ثم قال «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير، وهو حوض ترد عليه

---

(١) بهذا اللفظ أخرجه ابن ماجة برقم (٤٣٠٠)، وأخرجه الترمذي بنحوه برقم (٢٦٣٩).
(٢) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة للقرطبي (٢/ ٣٧٥) وانظر شرح الفقه الأكبر لعلي القاري ص ١٣٩..
(٣) التذكرة في أحوال الموتى والآخرة بتصرف من الشارح (١/ ٣٦٢). وانظر شرح الفقه الأكبر ص ١٤٣.
(٤) [سورة الكوثر: الآية ١].

أمتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء، يختلج العبد منهم، فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال: أتدري ما أحدث بعدك؟»[١] وفي الصحيح «حوضي مسيرة شهر، ماءه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، كيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً»[٢] وفي رواية لمسلم «يشخب فيه ميزابان من الجنة»[٣] وفي لفظ لغيره «يغث فيه ميزابان من الكوثر»[٤] و روى ابن ماجة حديث الكوثر في الجنة «حافتاه الذهب، مجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك وأشد بياضاً من الثلج»[٥].

قال أبو الطيب: وكذا الكتاب المثبت فيه طاعات العباد ومعاصيهم حق، يؤتى للمؤمنين بأيمانهم والكفار بشمائلهم ووراء ظهورهم لقوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾[٦] إلى غير ذلك من الآيات وهي كثيرة، ولحديث السجلات وغيرها وقد تقدم، وأنكرته المعتزلة زعماً منهم أنه عبث، والجواب المنع، وتمام البحث في محلّه.

(والجنة والنار حق) للآيات والأحاديث الواردة في إثباتهما وهي أشهر من أن يخفى، وهما مخلوقتان اليوم قبل يوم الجزاء للنصوص الدالة على ذلك نحو ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٧] و ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[٨] وقصة آدم وحواء في إسكانهما الجنة وإخراجهما منها، وأحاديث الإسراء وفيها «أدخلت الجنة» «ورأيت النار»، وفي حديث الشفاعة يقول ابن آدم «وهل أخرجكم من الجنة

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٠٠).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٩) ومسلم برقم (٢٢٩٢).
(٣) هذا اللفظ لأحمد وليس لمسلم (١٤٩/٥).
(٤) هذا الحديث لمسلم برقم (٢٣٠١).
(٥) أخرجه ابن ماجة برقم (٤٣٣٤).
(٦) [سورة الإسراء: الآية ١٣].
(٧) [سورة آل عمران: الآية ١٣٣].
(٨) [سورة البقرة: الآية ٢٤].

إلا خطيئة أبيكم»[1] وغير ذلك.

وفي المسألة خلاف المعتزلة، وأجاب عنه الحافظ ابن القيم رحمه الله في الباب السابع من كتابه حادي الأرواح جواباً مشبعاً وذكر أدلة ذلك وقال في الباب الأول[2] في بيان وجود الجنة الآن: لم يزل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم، والتابعون وتابعوهم، وأهل السنة والحديث قاطبة، وفقهاء الإسلام، وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلّهم من أولهم إلى آخرهم، فإنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا أنها موجودة إلى أن نبغت نَابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون الآن مخلوقة[3]، بل الله ينشئها يوم القيامة انتهى.

وأيضاً صيغة «أعدت» موضوعة للمضي حقيقة فلا وجه للعدول عنها إلى المجاز إلا بصريح آية أو صحيح دلالة وأنّى لهم ذلك، فيجب إجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه، ولا يقال لا فائدة في خلقهما قبل يوم الجزاء، لأن الله تعالى ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[4]، ثم هما (باقيتان) ولا يفنى أهلهما لقوله تعالى في حق الفريقين: ﴿خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[5] وقول الجهمية بفنائهما وأهلهما مخالف للكتاب والسنة والإجماع، وليس عليه شبهة فضلًا عن حجة، وعقد الحافظ ابن القيم رحمه الله في حادي الأرواح الباب السابع والستين في بيان أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد، وقال[6]:

هذا يعلم بالإضطرار أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٩٥).

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص (٣٧).

(٣) في حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: أن تكون مخلوقة الآن، وقالت: بل...

(٤) [سورة الأنبياء: الآية ٢٣].

(٥) [سورة النساء: الآية ٥٧] و [سورة الأحزاب: الآية ٦٥].

(٦) [سورة هود: الآية ١٠٨].

وسلم أخبر به وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾(١)، وأطال في ذلك وفي الرد على المخالفين فليرجع إليه.

قال أبو الطيب: وكذا ما أخبر الله تعالى به من الحور، والقصور، والأنهار، والأشجار، والأثمار لأهل الجنة، ومن الزقوم، والحميم والسلاسل، والأغلال لأهل النار حق، خلافاً للباطنية، والعدول عن ظواهر النّصوص إلى معانٍ يدّعيها أهل الباطن إلحاد وإنكار للكتاب والسنة.

(ولم ينصّ نصّ بتعيين مكانهما) صراحة لا تبقى معها شبهة، وإلا فدل على كون الجنة في السماء قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾(٢) وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء كما ورد في أحاديث المعراج قوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم: «سقف الجنة عرش الرحمن»، وعن ابن عباس أنه قال: «الجنة في السماء السابعة، ويجعلها حيث شاء يوم القيامة، وجهنم في الأرض السابعة»، وقال مجاهد: قلت لابن عباس: أين الجنة؟ قال: فوق سبع سمٰوات، قلت: فأين النار؟ قال: تحت سبع أبحر مطبقة رواه ابن مندة، كذا في الباب الثالث عشر من حادي الأرواح(٣).

قال علي القاري(٤): ثم الأصح أن الجنة في السماء. انتهى.

وقال السيوطي رحمه الله في الدراية شرح النقاية: ونعتقد أن الجنة في السماء، وقيل في الأرض، وقيل بالوقف لا يعلمه إلا الله، والذي اخترته هو المفهوم من سياق القرآن والحديث كقوله في قصة آدم ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا﴾(٥) وفي الصحيح «سلوا الله الفردوس فإنه أعلى الجنة وفوقه عرش

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم (ص ٣٨٣).
(٢) [سورة النجم: الآيات: ١٣ ـ ١٥].
(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص ٩٧).
(٤) شرح الفقه الأكبر ص (١٤٤).
(٥) [سورة البقرة: الآية ٣٨].

الرحمٰن ومنه تفجر أنهار الجنة»[1] وفي صحيح مسلم «أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش»[2] وأخرج أبو نعيم في تاريخ أصبهان من طريق عبيد عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً «أن جهنم محيطة بالدنيا وأن الجنة من ورائها» فلذلك كان الصراط على جهنم طريقاً إلى الجنة وتقف عن النار أي نقول فيها بقول الوقف أي محلها حيث لا يعلمه إلا الله، فلم يثبت لي حديث اعتمده في ذلك، وقيل تحت الأرض لما روى ابن عبد البر وضعفه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً «لا يركب البحر إلا غازٍ أو حاج أو معتمر فإن تحته ناراً»[3] وروي عنه أيضاً موقوفاً «لا يتوضىء بماء البحر لأنه طبق جهنم» وفي شعب الإيمان للبيهقي[4] عن وهب بن منبّه: «إذا قامت القيامة أمر بالفلق فيكشف عن سقر وهو غطاؤها فيخرج منه نار فإذا وصلت إلى البحر المطبق على شفير جهنم وهو بحر البحور نشفته أسرع من طرفة العين وهو حاجز بين جهنم والأرضين السبع فإذا نشفت اشتعلت في الأرضين السبع فتدعها حجرة واحدة، وقيل هي على وجه الأرض لما روي عن وهب أيضاً قال: «أشرف ذو القرنين على جبل قاف فرأى تحته جبالاً صغاراً. . . إلى أن قال: يا قاف أخبرني عن عظمة الله، فقال: إنّ شأن ربّنا لعظيم وإن ورائي أرضاً مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة بين ثلج يحطم بعضها بعضاً ولولا هي لاحترقت من حر جهنم»، وروى الحارث بن أسامة في مسنده عن عبد الله بن سلام قال: «الجنة في السماء والنّار في الأرض»[5] وقيل محلّهما في السّماء هذا آخر كلام السيوطي رحمه الله، فالحاصل أن لكون الجنة في السماء أدلة يحتج بها من وجه، وليس لتعيين

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٢١).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٦/٣) برقم (٢٤٨٩) والبيهقي في سننه (١٨/٦) برقم (٨٤٤٣) وابن عبدالبر في التمهيد (٢٤٠/١).

(٤) البيهقي في شعب الإيمان (٣٣٣/١) برقم (٣٦٨).

(٥) انظر مسند الحارث (زوائد الهيثمي) (٨٧٢/٢) والحاكم في المستدرك (٦١٢/٤).

مكان النار دليل صريح يستدل به ولذا قال الماتن رحمه الله:

(بل حيث شاء الله تعالى إذ لا إحاطة لنا بخلق الله وعوالمه) فالله تعالى أعلم حيث جنته وناره، أسأل الله الجنة جنة الفردوس وأعوذ به من النار.

(ولا يخلد المسلم) بل يخرج الموحّدون من النار بعد الإنتقام حتى لا يبقى في جهنّم موحد بفضل الله تعالى، فلا يخلّد في النار موحّد، قال الماتن رحمه الله: وأما خلود صاحب الكبيرة في النار فليس بصحيح وليس من حكمة الله أن يفعل بصاحب الكبيرة مثل ما يفعل بالكفار سواء و الله أعلم.

(صاحب الكبيرة) قال الماتن رحمه الله في باب مفاسد الآثام من كتاب حجة الله البالغة: إنّ الكبيرة والصغيرة تطلقان باعتبارين أحدهما بحسب حكمة البر والإثم، وثانيهما بحسب الشرائع والمناهج المختصة بعصر دون عصر.

أما الكبيرة بحسب حكمة البر والإثم، فهي ذنب توجب العذاب في القبر وفي المحشر إيجاباً قوياً، وتفسد الإرتفاقات الصالحة إفساداً قوياً، ويكون من الفطرة على الطرف المخالف جداً، والصغيرة ما كان مظنة لبعض ذلك أو مفضياً إليه في الأكثر أو يوجب بعض ذلك من وجه ولا يوجبه من وجه، كمن ينفق في سبيل الله وأهله جياع، فيرفع رذيلة البخل ويفسد تدبير المنزل.

وأما بحسب الشرائع الخاصة فما نصّت الشريعة على تحريمه، أو أوعد الشارع عليه بالنار، أو شرع عليه حد، أو سمى مرتكبه كافراً خارجاً من الملّة إبانة لقبحه وتغليظاً لأمره، فهو كبيرة وربّما يكون شيء صغيرة بحسب حكمة البر والإثم، كبيرة بحسب الشريعة. انتهى.

وتفصيل ذلك في مسك الختام شرح بلوغ المرام، واستوعب ذلك البحث الشيخ ابن حجر المكي رحمه الله في الزواجر عن اقتراف الكبائر[١]

(١) انظر الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي أوّل الكتاب.

وهو كتاب نفيس جداً لم يؤلّف في الباب مثله لا قبله ولا بعده، وقد جمع الشيخ محي الدين بن ابراهيم النحاس في كتابه تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين[1] شطراً من الكبائر وغيرها فانظر ثمة.

(في النار) وإن مات من غير توبة لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[2] أي من الكبائر والصغائر مع التوبة وبدونها، وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾[3] ونفس الإيمان عمل خير لا يمكن أن يرى جزاءه قبل دخول النار، ثم يدخل النار، لأنه باطل بالإجماع فتعين الخروج من النار لقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾[4] وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧﴾[5] إلى غير ذلك من النصوص الدالة على كون المؤمن من أهل الجنة، وأيضاً الخلود في النار من أعظم العقوبات، وقد جعل جزاء الكفر الذي هو أعظم الجنايات، فلو جوزي به غير الكافر لكانت زيادة على قدر الجناية، فلا يكون عدلًا خلافاً للمعتزلة، والكافر مخلد بالإجماع، وفي هذه المسألة خلاف المعتزلة، ولا عبرة بهم بعد ورود النصوص بها.

(وهي التي قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[6] **يعني بالصّلوات والكفارات)** فإن الحسنات يذهبن السيئات **(والعفو عن الكبائر)** إذا لم تكن عن استحلال **(جائز)** والإستحلال كفر، وقد كثرت النصوص الواردة فيه، قال الماتن رحمه الله: والحق أن الكبائر ليست محصورة في عدد وأنها تعرف بإيعاد النار في الكتاب والسنة

---

(١) كتاب تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين للشيخ محي الدين أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي الشهير بابن النحاس صاحب التآليف المتنوّعة والمفيدة مطبوع عدّة طبعات ولكنها تحتاج كلّها إلى تحقيق.

(٢) [سورة النساء: الآية ٤٨].

(٣) [سورة الزلزلة: الآية ٧].

(٤) [سورة التوبة: الآية ٧٢].

(٥) [سورة الكهف: الآية ١٠٧].

(٦) [سورة النساء: الآية ٣١].

الصحيحة، وشَرْعِ الحد عليه، وتسميته كبيرة، وجعله خروجاً عن الدين، وكون الشيء أكثرَ مفسدة مما نص النبي صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم على كونه كبيرة أو مثلها في المفسدة.

(غير أن أفعال الله تعالى في الدنيا والآخرة على وجهين موافقة بسنة الله الجارية بين عباده وخلقه، وكائن على سبيل خرق العوائد) خلافاً للمعتزلة، فإنهم يخصّصونه بالكبائر المقرونة بالتوبة، وكذلك العفو عن حقوق النّاس جائز بطريق خرق العوائد كما وردت به الأخبار واستفاضت.

قال الماتن رحمه الله في الحجة: اختلف الناس في الكبيرة إذا مات العاصي عليها ولم يتب، هل يجوز أن يعفوَ الله عنه أو لا؟ وجاء كل فرقة بأدلة الكتاب والسنة، وَحَلُّ الإختلاف عندي أن أفعال الله تعالى على وجهين: منها الجارية على العادة المستمرة، ومنها الخارقة للعادة، والقضايا التي يتكلم بها الناس موجهة بجهتين: أحدهما: في العادة، والثاني: مطلقاً، وشرط التناقض اتحاد الجهة مثل ما قرره المنطقيون في القضايا الموجهة، وقد يحذف الجهة فيجب اتباع القرائن، فقولنا كل من تناول السّم مات، فمعناه بحسب العادة المستمرة، وقولنا ليس كلّ من تناول السم مات معناه بحسب خرق العادة، فلا تناقض وكما أن الله [في الدنيا أفعالًا خارقة و][1] أفعالًا جارية على العادة فكذا في المعاد أفعال خارقة [و][2] عادية، أمّا العادة المستمرة فأن يعاقب العاصي إذا مات من غير توبة زماناً طويلًا، وقد تخرق العادة وكذلك حال حقوق العباد.

(وهذا وجه التطبيق بين النّصوص المتعارضة بَادِيَ الرأي) وأوّل النظر، وكذلك يجوز العقاب على الصغيرة سواء اجتنب مرتكبها الكبائر أم لا، لدخولها تحت قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[3] ولقوله: ﴿لَا

---

(١) سقطت من نسخة (أ).

(٢) سقطت من نسخة (أ).

(٣) [سورة النساء: الآية ٤٨].

﴿يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾[1] [وإحصاؤها][2] إنما يكون للسؤال والمجازاة، وغيرها من الآيات والأخبار الواردة في ذلك، وفيه خلاف المعتزلة.

(والشفاعة حق) وهي ستة أنواع، أعظمها الشفاعة في فصل القضاء والإراحة من طول الوقوف، وهي مختصة بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم بعد تردّد الخلق إلى نبيّ بعد نبيّ.

الثانية: الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب، قال النووي: وهي مختصة به، وتردد في ذلك التقيان ابن دقيق العيد والسبكي.

الثالثة: الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها، قال القاضي عياض رحمه الله: وليست مختصة به، وتردد فيه النووي، قال السبكي رحمهما الله: لأنه لم يرد تصريح بذلك ولا بنفيه.

الرابعة: الشفاعة في إخراج من أدخل النار من الموحدين، ويشاركه فيها الأنبياء والملائكة والمؤمنون.

الخامسة: الشفاعة في زيادة الدّرجات في الجنّة لأهلها، وجوز النووي رحمه الله اختصاصها به صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم.

السادسة: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن استحق الخلود في النار كما في حق أبي طالب، وفي الصحيح «لعله تنفعه شفاعتي فيجعل في ضحضاح من نار»[3].

(لمن أذن له الرحمن) من الأنبياء والملٰئكة، والصلحاء، والشهداء، والعلماء، والحفاظ، والأولياء، والفقراء، وأطفال المؤمنين الصابرين على البلاء، كلّ على حَسَب جاهه ومنزلته عند الله، ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أُخرج بفضل الله عز وجل، فلا يخلد في النار مؤمن، بل

---

(١) [سورة الكهف: الآية ٤٩].

(٢) سقطت من نسخة (أ).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢١٠).

يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، وهذه الشّفاعة في حق أهل الكبائر بالمستفيض من النّصوص والأخبار خلافاً للمعتزلة، وهذا مبني على جواز العفو والمغفرة بدون الشفاعة فبالشفاعة أولى، وعندهم لما لم يجز لم تجز، وقيْد الإذن موجود في غير موضع من القرآن نحو قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[1] وغير ذلك، فالنزاع فيه مكابرة وجهل عن مقاصد الشرع.

(وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم لأهل الكبائر من أمته حق) لقوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[2] رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم عن أنس، والترمذي وابن ماجة والحاكم عن جابر، والطبراني عن ابن عباس، والخطيب عن ابن عمرو عن كعب بن عجرة، فهو مشهور في المبنى متواتر بالمعنى، ومن الأدلة على تحقيق الشفاعة قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[3] وقوله: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[4] إذ مفهومه أنها تنفع المؤمنين[5]، وظاهره أن هذه الشفاعة ليست مختصة بأهل الكبائر من هذه الأمة فإنّه بالنسبة إلى جميع الأمم كاشف الغمة ونبي الرحمة، وقد ثبت أن له عليه السّلام أنواعاً من الشفاعة - اللّهم ارزقنا شفاعته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم يوم الحساب - وفي المسألة خلاف المعتزلة إلا في نوع الشفاعة لرفع الدرجة وهو صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم. **(أول شافع وأول مشفع)**[6] كما

---

(١) [سورة البقرة: الآية ٢٥٥].

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤٧٣٩) والترمذي برقم (٢٤٣٥) وابن حبان [الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان برقم (٦٤٦٧)] والحاكم في المستدرك (١/ ٦٩) وابن ماجة برقم (٤٣١٠) وأحمد (٣/ ٢١٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٦٠٨).

(٣) [سورة محمد: الآية ١٩].

(٤) [سورة المدثر: الآية ٤٨].

(٥) هذا الكلام لعلي القاري، انظر شرح الفقه الأكبر ص ١٣٨.

(٦) أخرجه مسلم برقم (٢٢٧٨).

في الصحيح، وروى البيهقي حديث «خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، لا ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين»[1].

(وحيث وقع نفي الشفاعة فالمراد منه الشفاعة التي تكون بغير إذن الله تعالى ورضائه) كما قال: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[2].

(وعذاب القبر) أي إيلامه للكافر والفاسق بأن يرد الروح إلى الجسد أو ما بقي منه حق، للفاسق، وعصاة المؤمنين، وللكفار كلهم أجمعين، قال صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم «عذاب القبر حق»[3] ومر على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان»[4] رواه الشيخان.

قال الماتن رحمه الله: إن المبتدعين شكّكوا في كثير من المسائل الإسلامية بأنها مخالفة للعقل، وكل ما هو مخالف له يجب ردّه وتأويله، كقولهم في عذاب القبر إنه يكذبه الحس والعقل، وقالوا في الحساب والميزان والصراط نحواً من ذلك، فطفقوا يأولون بتأويلات بعيدة.

(وتنعيمه للمؤمن) وهذا أولى مما وقع في عامّة الكتب من الإقتصار على إثبات عذاب القبر دون تنعيمه بناء على أن النصوص الواردة فيه أكثر وعلى أن عامة أهل القبور كفار وعصاة، فالتعذيب بالذكر أجدر، وفي الخبر إنّ القبر «روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران»[5] رواه الترمذي والطبراني.

وقد اتفق أهل الحق على أن الله تعالى يخلق في الميت نوع حياة في

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٧٥) واللآلكائي في السّنة برقم (٢٠٧٤) وابن أبي عاصم في السّنة برقم (٧٩١).

(٢) [سورة النبأ: الآية ٣٨].

(٣) أخرجه البخاري برقم (١٣٧٢) والنسائي برقم (١٣٠٨).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٢١٦) ومسلم برقم (١١١).

(٥) أخرجه الترمذي برقم (٢٤٦٠).

القبر قدر ما يتألم ويتلذذ، ولكن اختلفوا في أنه هل يعاد الروح إليه أم لا؟ والمؤمن إن كان مطيعاً لا يكون له عذاب القبر، وإن كان عاصياً يكون له عذاب القبر وضغطته، لكن ينقطع عنه يوم الجمعة وليلته ثم لا يعود، وإن مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة يكون له العذاب ساعة واحدة وضغطة القبر، ثم ينقطع عنه العذاب إلى يوم القيامة قاله القونوي، ولكن أدلة ذلك الأخبار آحاد، فلو ثبتت إنما تكون ظنية اللهم إلا إن تعدد طرقه بحيث يصير متواتراً معنوياً[1].

(حق) ثابت بالدلائل السّمعية منها قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[2] وذلك في القبر بدليل قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[3] وكذا قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾[4] أي عذاب القبر دون عذاب الآخرة وكذا قوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[5] أي ضيقة فسرت في حديث بعذاب الكافر في قبره كذا في الجلالين[6] إلى غير ذلك من الأدلة، واشتهر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم وعن السلف الصالحين الإستعاذة من عذاب القبر، وهو ممكن فيجب التصديق به، ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطيور، فإن المدرك من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على إعادة الإدراك إليها، ذكره الغزالي رحمه الله.

قال أبو الطيب: وكذا ضغطة القبر حق حتى للمؤمن الكامل لحديث «لو كان أحد نجى منها لنجى سعد بن معاذ الذي اهتز له عرش الرحمن»[7] وهي أخذ أرض القبر وضيقه أولاً عليه، ثم الله سبحانه يفسح ويوسع المكان مدّ

---

(١) هذا الكلام من شرح الفقه الأكبر بتصرف. ص (١٥٠).
(٢)(٣) [سورة غافر: الآية ٤٦].
(٤) [سورة السجدة: الآية ٢١].
(٥) [سورة طه: الآية ١٢٤].
(٦) تفسير الجلالين ص (١٩٦).
(٧) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ٥٥، ٩٨).

نظره إليه، وقيل ضغطته بالنسبة إلى المؤمن على هيئة معانقة الأم الشفيقة إذا قدم عليها ولدها من السفر البعيد، وسؤال الملكين الذين يقال لهما:

(المنكر والنكير) للمقبور حيث يدخلان القبر فيسألان العبد عن ربّه وعن دينه وعن نبيه **(حق)** واقع في قبره أو مستقره، قال صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا النبي محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، وأما الكافر والمنافق فيقول: لا أدري»[1] رواه الشيخان، وفي رواية لأبي داود «فيقولان له من ربك؟ وما دينك؟ وما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، والرجل المبعوث رسول الله، ويقول الكافر في الثلاث: لا أدري» واستثني من عموم سؤال القبر الأنبياء، والأطفال، والشهداء، ففي صحيح مسلم أنه سئل عن ذلك فقال: «كفى ببارقة السّيوف شاهداً»[2] وفي الكفاية أن لا سؤال للأنبياء وقال السيد أبو شجاع، إن للصّبيان سؤالاً وكذا للأنبياء عند البعض، وقال بعضهم صبيان المسلمين مغفور لهم قطعاً، والسؤال لحكمته لم يطلع عليها، وتوقف الإمام الأعظم رحمه الله في سؤال أطفال الكفرة ودخولهم الجنة وحكم غيره بذلك فيكونوا خدم أهل الجنة[3].

وقال أبو الطيب: الصواب عندي هو التوقف فقد توقف فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم حيث قال: «الله أعلم بما كانوا يعملون»، وكذا إعادة الروح في العبد في قبره حق، فيقول المؤمن: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد، ويقول الكافر: هاه هاه لا أدري. رواه أبو داود وأصله في الصحيحين.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٣٨) ومسلم كتاب الجنة رقم (٧٠). فائدة: تسمية الملكين بمنكر ونكير ليس عليه دليل صحيح.

(٢) النسائي (٤/ ٤٠٥) برقم (٢٠٥٢).

(٣) انظر شرح الفقه الأكبر ص (١٤٨).

وفي المسألة[1] خلاف المعتزلة وبعض الرافضة، وقد وردت الأحاديث المتظاهرة في المبنى المتواترة في المعنى في تحقيق أحوال البرزخ والعقبى استوفاها الجلال السيوطي رحمه الله في شرح الصدور في أحوال الموتى والقبور، وفي البدور السافرة في أحوال الآخرة، وله في ذلك أبيات التثبيت وعليه شرح للسيد العلامة محمد بن اسماعيل الأمير سماه جمع التشتيت، فعليك بها إن كنت ممن يريد الإطلاع على نقيرها وقطميرها[2].

وكذا بقاء الروح بعد موت البدن حق، منعمة أو معذبة لا تفنى، وأما محلّها فتقدم محلّ أرواح الشهداء، وأمّا غيرهم فأرواح المؤمنين في علّيين، وأرواح الكفار في سجين، ولكل روح بجسدها اتصال معنوي.

قال القرطبي[3]: أرواح الشهداء في الجنة، وأما غيرهم فتارة يكون في الأرض على أفنية القبور وتارة في السماء، وقيل تزور قبورها كل جمعة، وقيل أرواح المؤمنين كلهم في الجنة، وتفصيل ذلك في شرح البرزخ وغيره.

(وبعثه الرسل إلى الخلق) أي سفارة العبد بين الله وخليقته، ليزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والآخرة حق ثابت واقع، خلافاً للبراهمة حيث قالوا: لا فائدة في بعثتهم إذ في العقل مندوحة عنهم، قلت: العقل لا يهدي إلى الأفعال المنجية في الآخرة كما لا يهدي إلى الأدوية المفيدة للصّحة، فحاجة الخلق إلى لأنبياء كحاجتهم إلى الأطباء، ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة وصدق النبيّ بالمعجزة.

(وتكليف الله تعالى عباده بالأمر والنهي على ألسنة الرسل حق) فهم مُبَيِّنُون للناس ما يحتاجون إليه من أمور الدنيا والدين، فكان من فضل الله ورحمته إرسال الرسل من البشر إلى البشر، مبشّرين لأهل الإيمان والطاعة بالجنة والثواب، ومنذرين لأهل الكفر والعصيان بالنار والعقاب، وذلك مما

---

(١)(٢) الكلام لعلي القاري انظر شرح الفقه الأكبر ص (١٤٨).
(٣) التذكرة للقرطبي (١/ ١٩٣) بتصرف يسير من الشارح.

لا طريق للعقل إليه، وإن كان فبأنظار دقيقة لا يتيسّر إلا لواحد بعد واحد، قال الماتن رحمه الله: إن الله تعالى أراد ببعثة الرسل أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور، فأوحى إليهم أمره لذلك، وألقى عليهم نوره، ونفث فيهم الرغبة في إصلاح العالم، وكان ابتداء القوم يومئذ لا يتحقق إلا بأمور ومقدمات وجب في حكمة الله تعالى أن يلتوي جميع ذلك في إرادة بعثهم، وأن يكون افتراض طاعة الرسل وانقيادهم منفسخاً إلى افتراض مقدمات الإصلاح، وكل ما لا يتم في العقل أو العادة إلا به فإنه جملة يجر بعضها بعضاً، و الله لا يخفى عليه خافية، وليس في دين الله جزاف، فلا يعين شيئاً دون نظائره إلا لحكم وأسباب يعلمها الراسخون في العلم. انتهى.

(وهم متميزون بأمور لا توجد في غيرهم على سبيل الإجتماع تدل على كونهم أنبياء منها خرق العوائد) أي المعجزات الناقضات للعادات، وذلك لأنه لولا التأييد بالمعجزة لما وجب قبول قوله، ولما بان الصادق في دعوى الرسالة عن الكاذب، وعند ظهور خرق العادة يحصل الجزم بصدقه بطريق جري العادة بأن الله تعالى يخلق العلم بالصدق عقيب ظهور خرق العوائد.

(ومنها سلامة فطرتهم وكمال أخلاقهم وغير ذلك) ممّا دلت عليه النصوص القرآنية والأدلة الحديثية.

(والأنبياء معصومون) والعصمة لها أسباب ثلاثة:

أن يخلق الإنسان نقيّاً من الشهوات الرذيلة سمحاً لا سيما فيما يرجع إلى محافظة الحدود الشرعية.

وأن يوحى إليه حسن الحسن وقبح القبح وما لهما.

أن يحول الله بينه وبين ما يريد من الشهوات الرذيلة ويأتي تفصيل ذلك في المتن.

(من الكفر) قبل الوحي وبعده بالإجماع، لأنه أكبر الكبائر، ولكونه

سبحانه ﴿لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[1] وكذا منزهون عن تعمد الكبائر عند الجمهور خلافاً للحشوية. وإنما الخلاف في أن امتناعه بدليل السمع أو العقل، والمحققون من الأشاعرة على أن كلّ ذلك من السمع والإجماع، وذهب الأشاعرة إلى أن الأنبياء معصومون عن الكبائر مطلقاً ـ أي عمداً ـ وسهواً عن الصغائر عمداً، كذا صرح به في شرح المواقف.

قال القاضي[2] رحمه الله في ما لا بد منه: العصمة خاصّية الأنبياء والقول بكونها في الأولياء كفر، وهي في الإصطلاح عبارة أن لا يمكن صدور الصغيرة والكبيرة عمداً وخطأً، وكذا اختلال العقل، والغفلة في النوم واليقظة، والهذيان، والسكر، ولا بد من ذلك في الأنبياء لئلا يشتبه في الوحي، والقول بها في غير الأنبياء خلاف الإجماع. انتهى.

(والإصرار عليها) أي على الكبائر، وكذا الفواحش والقبائح نحو القتل، والزنا، وظلم العباد، وقصد الفساد في البلاد، وقد كانت من بعض الأنبياء قبل ظهور مراتب النبوة، أو بعد ثبوت منقب الرسالة زلات، وتقصيرات، وخطيئات، وعثرات بالنسبة إلى ما لهم من أعلى المقامات وسنى الحالات، كما وقع لآدم عليه الصّلوٰة والسّلام من أكل الشجرة على وجه النسيان، ثم الزلّة لا تخلو عن القران ببيان أنها زلّة، إمّا من الفاعل نفسه كقول موسى حين قتل القبطي ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[3] وإمّا من الله سبحانه كما في قصّة آدم ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾[4] قال التفتازاني رحمه الله: إنّ الأنبياء معصومون عن الكذب خصوصاً فيما يتعلق بأمور الشرع وتبليغ الأحكام وإرشاد الأمّة، إمّا عمداً فبالإجماع، وإمّا سهواً فعند الأكثرين.

(يعصمهم الله تعالى عنها بوجوه ثلاثة: أحدها أن يخلقهم في سلامة الفطرة وكمال اعتدال الأخلاق فلا يرغبون في المعاصي بل يكونون منفرين

---

(١) [سورة النساء: الآية ١١٦].
(٢) سبقت ترجمته ص (٤٢).
(٣) [سورة القصص: الآية ١٥].
(٤) [سورة طه: الآية ١٢١].

عنها) قال القونوي رحمه الله: اختلف الناس في كيفية العصمة فقال بعضهم: هي محض فضل الله تعالى بحيث لا اختيار للعبد فيه، وذلك إما بخلقهم على طبع يخالف غيرهم بحيث لا يميلون إلى المعصية ولا ينفرون عن الطاعة كطبع الملائكة، وإما بصرف همتهم عن السّيئات وجذبهم إلى الطاعات جبراً من الله تعالى بعد أن أودع في طبائعهم ما في طبائع البشر.

(وثانيها: أن يوحي إليهم أن المعاصي يعاقب عليها والطاعات يثاب عليها فيكون ذلك رادعاً عن المعاصي) قال بعضهم: العصمة فضل من الله ولطفه، لكن على وجه يبقى اختيارهم بعد العصمة في الإقدام على الطاعة والإمتناع عن المعصية، وإليه مال الشيخ أبو منصور الماتريدي حيث قال: العصمة لا تزيل المحنة - أي الإبتلاء - والإمتحان لا تجبره على الطاعة ولا تعجزه عن المعصية، بل هي لطف من الله بحمله على فعل الخير وزجره عن الشر مع بقاء الإختيار تحقيقاً للإبتلاء والإختيار.

(والثالث: أن يحول الله تعالى بينهم وبين المعاصي بأحداث لطيفة غيبية كظهور صورة يعقوب عاضاً على أصبعه في قصة يوسف عليه السلام) يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾(1).

(ومحمد صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم خاتم النبيين) وناسخ لما قبله من شرائع اليهود، والنصارى، والمجوس، والصابئين، والمشركين.

(لا نبيّ بعده) كما ورد به الكتاب والخبر، وهو عبده ورسوله وصفيه، لم يعبد الصنم، ولم يشرك بالله طرفة عين، لا قبل النبوة ولا بعدها، ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط، وأما قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾(2) وكذا قوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾(3) فمحمول على ترك الأولى بالنسبة إلى مقامه الأعلى.

---

(1) [سورة يوسف: الآية ٢٤].

(2) [سورة التوبة: الآية ٤٣].

(3) [سورة الأنفال: الآية ٦٧].

(ودعوته عامة إلى جميع الإنس والجن) لقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[1] أو لحديث مسلم «بعثت إلى الخلق كافة وكانت دعوة موسى مقصورة على بني إسرائيل وما آمن بعيسى إلا شرذمة قليلون».

(وهو أفضل الأنبياء لهذه الخاصة) أي عموم الدعوة **(وبخواص أخرى نحو هذه)** عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم قال: «فضلت على الأنبياء بستٍ: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»[2] رواه الترمذي، وقال هذا حديث حسن صحيح في حديث مسلم والترمذي عن أنس «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»[3] رواه أحمد والترمذي وابن ماجة عن أبي سعيد «وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض فأكس حلة من حلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش وليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري»[4] إلى غير ذلك من الخواص التي خصَّ الله بها نبيه صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، وتفضيل الأنبياء بعضهم على بعض قطعي بحسب الحكم الإجمالي ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[5] وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[6] وأما بحسب الحكم التفصيلي فالأمر ظني، والمعتقد المعتمد أن أفضل الخلق نبينا صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، وقد ادعى بعضهم الإجماع على ذلك، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله فضّل محمداً على أهل السماء وعلى الأنبياء، ثم نوح، وموسى، وعيسى أفضل من سائر الأنبياء، والخمسة وهم أولو العزم من الرسل عند جمهور العلماء، وقد

---

(١) [سورة الفرقان: الآية ١].

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٢٣) والترمذي برقم (١٥٥٣).

(٣) أخرجه أحمد (٣/٣) والترمذي برقم (٣٦١٥) وابن ماجة برقم (٤٣٠٨).

(٤) الحديث السابق.

(٥) [سورة البقرة: الآية ٢٥٣].

(٦) [سورة الإسراء: الآية ٥٥].

جمعهم الله في موضعين حيث قال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾[1] فبدأ بنوح، لأنه أول الأنبياء والمرسلين، ثم بنبينا لأنه خاتم النبيين، ثم ذكر ما بينهما من الثلاثة. والظاهر أن نوحاً أفضل ثم موسى وعيسى، وفي الصحيح «خير البرية إبراهيم عليه السلام» قال السيوطي رحمه الله: لم أقف على نقل أي الثلاثة أفضل انتهى.

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ﴾[2] ترتيب الأربعة وفق الوجود، وقدّم نبينا لتقدم رتبته في عالم الشهود فأول الأنبياء آدم وآخرهم محمد عليهما السلام، وقد روي بيان عددهم في بعض الأحاديث مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وفي رواية مائتا ألف وأربع وعشرون ألفاً، والأولى أن لا يقتصر على عدد في التسمية فقد قال الله تعالى: ﴿مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ﴾[3] ولا يؤمن في ذكر العدد أن يدخل فيهم من ليس منهم ويخرج منهم من هو فيهم، وكلهم كانوا مخبرين مبلغين عن الله تعالى صادقين ناصحين.

(وكرامات الأولياء وهم المؤمنون العارفون بالله تعالى وصفاته المحسنون في إيمانهم حق يكرم الله بها من يشاء ويختص برحمته من يشاء) و الله ذو الفضل العظيم، ويكون ذلك معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمته، لأنه يظهر بها أنه ولي ولن يكون ولياً إلا وأن يكون محقاً في ديانته، وديانته الإقرار بالقلب واللسان برسالة رسوله مع الطاعة في أوامره ونواهيه، حتى لو ادعى الولي الإستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن ولياً ولم يظهر ذلك على يده، ويظهر الكرامة على طريق نقض العادة للولي من قطع المسافة البعيدة في المدة القليلة كإتيان صاحب سليمان بعرش بلقيس، وظهور الطعام والشراب عند الحاجة، كما في حق

---

(١) [سورة الشورى: الآية ١٣].

(٢) [سورة الأحزاب: الآية ٧].

(٣) [سورة غافر: الآية ٧٨].

مريم، والمشي على الماء كما نقل عن كثير من الأولياء، والطيران في الهواء كما نقل عن سليمان السرخسي وغيره، وكلام الجماد والعجماء، واندفاع المتوجه من البلاء، وكفاية المهم من الأعداء، وغير ذلك من الأشياء التي يطول ذكرها، وأنكرته المعتزلة ولا عبرة بهم بعد ورود النص من الكتاب والسنة بها، وأما التي تكون لأعداء الله تعالى مثل إبليس في طي الأرض له حتى يوسوس من في الشرق والغرب، وفي جريه مجرى الدم، وفرعون حيث كان يأمر النيل فإنه يجري على وفق أمره، والدجال مما روي في الأخبار فلا نسميها كرامات لكن نسميها قضاء حاجات لهم، وذلك لأن الله يقضي حاجات أعدائه استدراجاً لهم ومكراً بهم في الدنيا وعقوبة لهم في العقبى، كما قال الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(١)] وفي الحديث «إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب من النعمة وهو مقيم على المعصية فإنما ذلك استدراج»[(٢)] الحديث فيغترون به ويزدادون عصياناً وكفراً، وذلك كله جائز وقوعه من الله وثابت نقلاً وممكن عقلاً، كما في قصة إبليس ودعوته بقوله: ﴿أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[(٣)] وإجابته بقوله: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾[(٤)].

ثم اعلم أنه ليس للأولياء شيء يتميزون به عن سائر الناس في الظاهر من الأمور المباحات، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحاً، بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم إذا لم يكونوا من أهل البدع[(٥)] الظاهرة والفجور، فيوجدون في أهل القرآن،

---

(١) [سورة الأعراف: الآية ١٨٢].

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٤٥).

(٣) [سورة الأعراف: الآية ١٤].

(٤) [سورة الحجر: الآيتان ٣٧ ـ ٣٨].

(٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فهو رد» متفق عليه وعن جابر رضي الله عنه: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة» رواه مسلم وعن بلال بن الحارث المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: =

وأهل العلم، وأهل الجهاد والسيف، ويوجدون في التجار والصناع والزراع، وكان السلف يسمّون أهل الدين والعلم القرّاء، فيدخل فيهم العلماء والنّساك، ثم حدث بعد ذلك اسم الصّوفية والفقراء وهذا عرف حادث[1]، فمن كان من هذه الأصناف اتقى لله فهو أكرم عند الله، وإذا استوى رجلان في التقوى استويا عند الله في الدرجة، ويجب على الأولياء الإعتصام بالكتاب والسنة، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار الكتاب والسنة، وهذا مما اتفق عليه الأولياء، ومن خالف فليس من أولياء الله الذين أمر الله تعالى باتباعهم، بل إما أن يكون كافر وإما أن يكون مفرطاً في الجهل، وكل من خالف شيئاً مما جاء به الرسول مقلداً في ذلك لمن يظن أنه ولي الله فإنه بنى أمره على أن ولي الله لا يخالف في شيء ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء الله كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة، فكيف إذا لم يكن كذلك؟ ولشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله رسالة في ذلك سماها كتاب «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» وهو كتاب نفيس جداً مختصر فعليك به.

(**ونشهد بالجنة والخير للعشرة المبشرة**) الذين بشرهم النبي صلى الله

= «من ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه الإثم مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً» رواه الترمذي وعن إبراهيم بن ميسرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام» رواه البيهقي في شعب الإيمان مرسلًا ا.هـ. منه عفى الله عنه.

(١) وقد تنازع الناس أيها أفضل مسمى الصوفي أو مسمى الفقير وأيها أفضل الغني الشاكر أو الفقير الصابر وهذه المسألة فيها نزاع قديم بين الجنيد وابن عطاء والصواب في هذا كله ما قاله الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وفي الصحيح: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا» فدل الكتاب والسنة على أن أكرم الناس عند الله أتقاهم. وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «لا فضل لعربي على أعجمي ولا فضل لأعجمي على عربي ولا لأسود على أبيض ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى» ا.هـ. منه عفى الله عنه.

عليه وآله وأصحابه وسلم حيث قال: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمٰن في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة.

قال علي القاري رحمه الله: للسلف في الشهادة بالجنة ثلاث أقوال:

أحدها: أن لا يشهد لأحد إلا للأنبياء عليهم السلام، وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية والأوزاعي، وهذا أمر قطعي لا نزاع فيه.

والثاني: أن يشهد لكل مؤمن جاء نص في حقه، وهذا قول كثير من العلماء لكنه حكم ظني.

الثالث: أن يشهد أيضاً لمن شهد له المؤمنون كما في الصحيحين أنه صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم مر بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال: «وجبت» ومرّ بأخرى فأُثنيَ عليها بشر، فقال: «وجبت» فقال عمر: ما وجبت يا رسول الله، صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض»[(١)]. وهذا أمر ظاهري غالبي و الله أعلم.

(وفاطمة) عليها السلام لقوله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»[(٢)] رواه النسائي ورواية الترمذي «خير نسائها»[(٣)] ورواية الحارث بن أسامة «خير نساء عالمها»[(٤)] وفضائلها كثيرة لا تخفى على الأحباء والأعداء.

(وخديجة) رضي الله عنها **(وعائشة)** رضي الله عنها لأخبار مستفيضة فيهما، وقد صحح ابن العماد أن خديجة أفضل من عائشة لقوله صلى الله

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٣٦٧) ومسلم برقم (٩٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب مناقب فاطمة رضي الله عنها. والترمذي برقم (٣٧٨١).

(٣) لم أجده عند الترمذي بهذا اللفظ.

(٤) مسند الحارث (زوائد الهيثمي) (٢/٩٠٩) برقم (٩٩٠)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٢/١٢٦).

عليه وآله وأصحابه وسلم: «لا والله ما رزقني الله خيراً منها»[1] ويؤيده أن عائشة أقرأها النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم من جبرائيل عليه السلام[2]، وخديجة أقرأها السلام جبرائيل عليه السلام من ربّها[3]، إلا أن حديث «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[4] رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجة عن أبي موسى رضي الله عنه ظاهر في أن عائشة أفضل أفراد النساء، وأما حمله على العهد ففي مقام البعد، ثم تقييدهنّ بما عدا خديجة في غاية من التكلف.

قال القاري رحمه الله: في التفضيل بين خديجة وعائشة أقوال ثالثها الوقف. انتهى.

(والحسن والحسين) عليهما السلام لقوله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[5][6] **(رضي الله عنهم)** وعنّا، ولغير ذلك من الأخبار الكثيرة.

(ونوقّرهم) أي الصّحابة وأهل البيت ونتولهم جميعاً **(ونعترف بعظم محلهم في الإسلام)** قال ابن دقيق العيد في عقيدته: وما نقل فيما شجر بينهم واختلفوا فمنه ما هو باطل وكذب فلا يلتفت إليه، وما كان صحيحاً أوّلناه تأويلًا حسناً، لأن الثناء عليهم من الله تعالى سابق، وما نقل من الكلام اللاحق محتمل للتأويل، والمشكوك والموهوم لا يبطل الحق المعلوم.

(وكذلك أهل بدر) وهم ثلثمائة وبضعة عشر، عن البراء قال: «كنا نتحدث أن عدة أصحاب بدر يوم بدر كعدة أصحاب طالوت ثلاثمائة وثلاث

---

(١) لم أعثر عليه.
(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٧٦٨) ومسلم برقم (٢٤٤٧).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٨٢٠) ومسلم برقم (٢٤٣٢).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٣٧٦٩) ومسلم برقم (٢٤٤٦).
(٥) انظر شرح الفقه الأكبر ص (١٨١) والقول السيوطي.
(٦) أخرجه الترمذي برقم (٣٧٦٨).

عشر»[1] رواه الترمذي وقال في الباب عن ابن عباس وهذا حديث حسن صحيح، وقد روى ابن ماجة عن رافع بن خديج قال: جاء جبرائيل أو ملك إلى النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم فقال: «ما تعدون من شهد بدراً فيكم؟ قالوا: خيارنا، قال: كذلك هم عندنا خيار الملائكة»[2].

قال أبو منصور البغدادي[3]: أجمع أهل السنة والجماعة على أن أفضل الصحابة الخلفاء الأربعة، ثم بقية العشرة المبشرة بالجنة، ثم أهل بدر، فباقي أهل أحد، فباقي أهل بيعة الرضوان، فباقي الصحابة أجمعين.

قال علي القاري[4] رحمه الله: لعل المراد إجماع أكثر أهل السّنة لوقوع الإختلاف بين علي وعثمان عند البعض وإن كان الجمهور على الترتيب المذكور.

(وأهل بيعة الرضوان) روى أبو داود الترمذي وصححه أنه صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم قال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»[5].

والحاصل أن السّابقين الأولين من الأنصار والمهاجرين أفضل من غيرهم لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾[6] وأمّا تفضيل أولاد الصحابة، فقال بعضهم: لا نفضل بعد الصحابة أحد إلا بالعلم والتقوى، والأصح أن فضل أبنائهم على ترتيب فضل آبائهم، إلا أولاد فاطمة عليها السلام فإنهم مفضلون على أولاد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، لقربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم،

---

(١) أخرجه الترمذي (١٥٢/٤) برقم (١٥٦٨).
(٢) أخرجه ابن ماجة برقم (١٦٠).
(٣) انظر شرح الفقه الأكبر ص (١٧٨).
(٤) المرجع السابق ص (١٧٨).
(٥) أخرجه الترمذي برقم (٣٨٦٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٦) [سورة الحديد: الآية ١٠].

فهم العترة الطاهرة والذرية الطيبة الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، كذا في الكفاية وشرح الفقه الأكبر[1] لعلي القاري رحمه الله، وهو الصواب عندي. وبه أقول وإليه أذهب.

(وأبو بكر إمام حق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم) لأن الصحابة قد أجمعوا على خلافته يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، وبايعه علي كرم الله وجهه على رؤوس الأشهاد، بعد توقف كان منه، ولو لم تكن الخلافة حقاً لما اتفق عليه الصحابة.

(ثم عمر رضي الله عنه) إمام حق بعد أبي بكر رضي الله عنه لوقوع الإختلاف على خلافته، لكن تفضيله ظني إلا أنه قويّ لم يختلف فيه سني، ويدلّ عليه كتابة الصديق رضي الله عنه على ما ذكره في شرح المواقف: «هذا ما عهد أبو بكر بن قحافة في آخر عهده من الدنيا، وأول عهده بالعقبى حالة يبر بها الفاجر ويؤمن فيها الكافر، أني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب فإن أحسن السيرة فذاك ظني به، والخير أردت، وإن يكن الأخرى ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2].

والمسألة مستوفاة في كتاب الماتن رحمه الله المسمى بإزالة الخفا عن خلافة الخلفاء، وهو كتاب لم يؤلف مثله في هذا الباب.

(ثم عثمان) رضي الله عنه إمام حق بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان عمر قد ترك الخلافة شورى بين ستة عثمان، وعلي، وعبد الرحمٰن بن عوف، وطلحة، والزبير، وسعد ابن أبي وقاص، بمعنى أنهم يتشاورون فيما بينهم ويعيّنون من هو أحق بها منهم، بحسب رأيهم، وإنما فعل ذلك لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم مات وهو راضٍ عنهم.

قال القونوي رحمه الله: وإنما أجمعوا على عثمان لوجود شرائط الإمامة فيه.

---

(١) انظر شرح الفقه الأكبر ص (١٨١، ١٨٢).

(٢) [سورة الشعراء: الآية ٢٢٧].

(ثم علي) المرتضى عليه السلام، زوج فاطمة الزهراء، وابن عم المصطفى، وأخوه في الله، وباب مدينة العلم[١]، والعالم في الدرجة العليا، والكاشف لمعضلات المسائل التي رجع كبار الصحابة إليه في الفتيا، ولمّا استشهد عثمان ومضت ثلاثة أيام من قتله اجتمع المهاجرون والأنصار وسألوا عليّاً وناشدوه بالله في حفظ الإسلام وصيانة دار هجرة النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، فقبلها بعد شدة وبعد أن رآه مصلحة لعلمهم وعلمه أنه أعلم من بقي من الصحابة، وأفضلهم، وأولاهم به، فبايعوه وليس من شرط ثبوت الخلافة إجماع الأمة على ذلك، قال القاري: وعلى هذا الترتيب وجدنا السلف الصالحين والأئمة المجتهدين والظاهر أنه لو لم يكن لهم دليل على ذلك لما حكموا بذلك.

(ثم تمت الخلافة) النبوية على صاحبها الصلاة والتحية **(وبعدها ملك عضوض)** لقوله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم يصير بعدها ملكاً عضوضاً»[٢] فخلافة الصديق رضي الله عنه منها سنتان وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصف، وخلافة عثمان اثنا عشر سنة، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة ابنه الحسن عليه السلام ستة أشهر، وقد استشهد علي رضي الله عنه على رأس ستين سنة عن وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، فمعاوية رضي الله عنه ومن بعده لا يكون خلفاء، بل ملوكاً وأمراء **(وأبو بكر رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم)** بعدية زمنية وهو لكثرة صدقه، وقوة تصديقه، وسبق توفيقه، فهو أفضل الأولياء من الأوّلين والآخرين، وقد حكى الإجماع على ذلك ولا عبرة بمخالفة الروافض هنالك، وقد استخلفه صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم في الصلاة فكان هو الخليفة حقاً عدلًا وصدقاً **(ثم)** أفضل الناس بعد

---

(١) إشارة إلى حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» والحديث أخرجه الترمذي برقم (٣٧٢٣) وقال عنه الألباني في ضعيف الجامع برقم (١٤١٠): إنه موضوع.

(٢) أخرجه أحمد (٢٢١/٥) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٤٥٩).

رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه **(عمر)** بن الخطاب الفاروق بين الحق والباطل لقوله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «إن الله ينطق على لسان عمر» وقد أجمعوا على فضيلته وحقيّة خلافته، وقصة شهادته، وأمر الشورى، والمبايعة مذكورة في صحيح البخاري بطولها.

(ولا نعني الأفضلية من جميع الوجوه حتى يعمّ النسب والشجاعة والقوة والعلم وأمثالها) من التي كانت في علي[١] بن أبي طالب عليه السلام مثلًا، بل هي بمعنى عظم نفعه في الإسلام، وهو في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أكثر مما في غيرهما، فتقديم علي على الشيخين مطلقاً خلاف ما عليه الجمهور، وإنما ذهب بعض إلى تفضيل علي على عثمان ومنهم أبو الطفيل من الصحابة، وأبو حنيفة الإمام الأعظم من تبع التابعين، والذي اعتقده في دين الله واعتمده أن تفضيل أبي بكر قطعي حيث أمره بالإمامة على طريق النّيابة مع أن المعلوم من الدين أن الأولى بالإمامة أفضل، وقد كان علي حاضراً في المدينة وكذا غيره من أكابر الصحابة، وعيّنه صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم لما علم أنه أفضل الأنام في تلك الأيام، حتى إنه تأخر مرّة وتقدم عمر، فقال: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[٢] قاله علي القاري وبه أقول.

(فأميرا أمة النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم ووزيراه أبو بكر وعمر باعتبار الهمة البالغة في إشاعة الحق) خاصّة، دون اعتبار النّسب

---

(١) قال رضي الله عنه في التفهيمات مبشرة سألته صلى الله عليه وآله وأصحابه سؤالًا روحانياً عن تفضيل الشيخين على علي رضي الله عنهم مع أنه أشرفهم نسباً وأقضاهم حكماً وأشجعهم جناباً والصوفية أولهم عن اخرهم ينتسبون إليه ففاض على قلبي منه صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم أن له صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم وجهين وجهاً ظاهراً ووجهاً باطناً فالوجه الظاهر إلى إقامة العدل في الناس وتأليفهم وإرشادهم إلى ظاهر الشريعة وهما بمنزلة الجوارح له في ذلك والوجه الباطن إلى مراتب الفناء والبقاء وعلومه المروية كلها إنما تتبع من الوجه الظاهر انتهى رحمه الله تعالى عنه.

(٢) أخرجه الحاكم (٥٤٢/٣).

والعلم والشجاعة وغيرها عامة، مما كان في غيرهما أكثر وأوفر منهما بإقرارهما، وبهذا يحصل التوفيق بين الروايات المختلفة والأدلة المتباينة.

(فإن للنبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم وجهين: وجه يأخذ عن الله ووجه يعطي الخلق، ولهما في الإعطاء للخلق تأليفاً للناس وجمعاً لهم وتدبيراً للحرب يد طولى) فكانا بهذا الإعتبار وزيراه، قال الماتن رحمه الله: قد أجمع من يعتد به من الأمة على أن أفضل الأمة أبو بكر الصديق ثم عمر، وذلك لأن أمر النبوة له جناحان تلقى العلم عن الله وبثّه في الناس، أما التلقي من الله فلا يشرك النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم في ذلك أحد، وأما بثّه فإنّما تحقق بسياسة وتأليف ونحو ذلك، ولا شك أن الشيخين رضي الله عنهما أكثر الأمة في هذه الأمور في زمان النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم وبعده. انتهى.

ثم قال: ولكن هذا آخر ما أردنا إيراده في كتاب حجة الله البالغة فالحمد لله.

قال الغزالي[1] رحمه الله: إن فضل الصحابة على حسب ترتيبهم في الخلافة إذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل، وذلك لا يطلع عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم.

وقد ورد في الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة، وإنما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحي والتنزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفضيل، فلولا فهمهم لذلك لما رتبوا الأمر كذلك، إذ كان لا تَأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عن الحق صارف. انتهى.

(ونكفّ ألسنتنا عن ذكر الصحابة إلا بخير) وإن صدر من بعضهم ما هو في صورة شر فإنه إما كان عن اجتهاد أو لم يكن على وجه فساد من إصرار وعناد، بل كان رجوعهم عنه إلى خير معاد بناء على حسن الظن بهم، لقوله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم «خير القرون

---

(١) الإحياء للغزالي (١/ ١٧٣، ١٧٤).

قرني»[1] ولقوله: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»[2] ولقوله: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[3] ولقوله: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»[4] رواه أهل السنن وهذا قليل من كثير السنة، وأما الكتاب فآياته فيهم أكثر من أن تحصر وليست بخافية على ممارس القرآن، وقد قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾[5] وقال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ﴾ ومن هنا يخاف الكفر على أهل الغيظ بهم (وهم أئمتنا وقادتنا في الدين) لقوله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر»[6] رواه الترمذي وقوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»[7] وقوله: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[8] رواه الدارمي وابن عدي وغيرهما وكفى بثناء الله عليهم في كتاب الله العزيز حجة ومن أصدق من الله قيلاً وبأي حديث بعده يؤمنون.

(وسبهم حرام) لقوله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «لا تسبوا أصحابي»[9] رواه الشيخان قال النووي[10]: سب الصحابة حرام ومن أكبر الفواحش، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر، وقال بعض المالكية يقتل،

---

(١) أخرجه البخاري بلفظ: «خير الناس قرني» رقم (٢٦٥٢)، وأمّا حديث «خير القرون قرني» فضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/٩٦) برقم (١٤٢٧).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٦٧٣) ومسلم برقم (٢٥٤٠).

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ٨٧) والترمذي برقم (٣٨٦٢) والبغوي في شرح السّنة (٣٨٦٠).

(٥) [سورة الفتح: الآية ٢٩].

(٦) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٢) والترمذي برقم (٣٦٦٣).

(٧) أخرجه أبو داود برقم (٤٦٠٧) والترمذي برقم (٢٦٧٦).

(٨) هذا الحديث موضوع، انظر (السلسلة الضعيفة للألباني حديث رقم ٥٨)

(٩) سبق تخريجه.

(١٠) انظر شرح مسلم (١٦/ ١٣٩).

وقال القاضي عياض: سب أحدهم من الكبائر، وقد صرّح بعض علمائنا بأنه يقتل من سب الشيخين. انتهى.

وصحّح أبو شكور السالمي في التمهيد وعلي القاري وآخرون أن سبّهما ليس بكفر، وخالف المتأخرون فقالوا: كفر لأدلة قاطعة، ووجوه ناطقة ثبتت في ذلك عندهم، وهو الصواب عند إمعان النظر في هذا الباب.

قال التفتازاني(١): سب الصحابة والطعن فيهم إن كان مخالف الأدلة القطعية فكفر كقذف عائشة رضي الله عنها، وإلا فبدعة وفسق.

(وتعظيمهم واجب) على الأمة المرحومة بإيجاب الله تعالى ورسوله المستفاد من الكتاب والسنة، وقد ورد من فضائلهم فيهما ما يطول ذكره.

(ولا نكفّر أحداً من أهل القبلة) المراد بهم الذين اتفقوا على ما هو من ضروريات الدين، كحدوث العالم، وحشر الأجساد، وعلم الله بالكليات والجزئيات، وما أشبه ذلك من المسائل المهمات، فمن واظب طول عمره على الطاعات والعبادات مع اعتقاده قدم العالم، أو نفي الحشر، أو نفي علمه سبحانه بالجزئيات لا يكون من أهل القبلة، والمراد بعدم تكفير أحد منهم عند أهل السنة أنه لا يكفّر ما لم يوجد شيء من أمارات الكفر وعلاماته، ولم يصدر عنه شيء من موجباته، وقال الأستاذ أبو إسحاق: نكفر من يكفرنا ومن لا فلا، وعدم التكفير مذهب المتكلمين، والتكفير مذهب الفقهاء.

(إلا بما فيه نفي الصانع القادر) العليم المختار الكريم كالدهرية **(أو عبادة غير الله تعالى)** كعبدة الأصنام وسائر الوثنيين من الأنام **(وإنكار المعاد)** كالفلاسفة الطغام حيث أنكروه بناء على امتناع إعادة المعدوم بعينه، وهو مع أنه لا دليل لهم عليه يعتد به غير مضر بالمقصود، لأن مرادنا أن الله تعالى يجمع الأجزاء الأصلية للإنسان ويعيد روحه إليه سواء سمى ذلك إعادة المعدوم بعينه، أو لم يسم، قاله التفتازاني.

---

(١) شرح العقائد النسفية للتفتازاني (ص ١٦٥).

(و) إنكار **(النبي)** وما علم مجيئه بالضرورة أو المجمع عليه كاستحلال المحرمات **(وسائر ضروريات الدين)** ومهمات الشرع المبين، وأما ما عداها فالقائل بها مبتدع لا كافر، كذا في المواقف.

(والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب) لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[١] **(بشرط أن لا يؤدي إلى الفتنة)** لأن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم شرع لأمته[٢] إيجاباً إنكار المنكر ليحصل من إنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة والخروج عليهم، فإنه أساس كلّ شر وفتنة إلى آخر الدهر، وقد استأذن الصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم في قتال الأمراء الذين يؤخّرون الصلاة عن وقتها وقالوا: أفلا نقاتلهم، فقال: «لا ما أقاموا الصلاة»[٣]، وقال: «من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يدا عن طاعته»[٤] ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من بضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكّة وصارت دار الإسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ومنعه من ذلك مع قدرته عليه خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه، كما وجد سواء قاله الحافظ ابن القيم رحمه الله في الإعلام[٥].

---

(١) [سورة آل عمران: الآية ١١٠].
(٢) هذا الكلام لابن القيم (٣/ ١٢).
(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢٩)، (٦/ ٢، ٣) أبو داود (٤٧٦٠).
(٤) أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٤) ومسلم (١٨٤٩).
(٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ١٢).

(وإن يظن قبوله) ممن أمره بشيء أو نهاه عن شيء من المعروف والمنكر وإلا فالسكوت أولى والصموت أحلى.

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله[1]: إنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

الثانية: أن يقلّ وإن لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: ما[2] هو شر منه.

فالدرجتان الأوليتان[3] مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرّمة، فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة، إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله كرمي النّشاب وسباق الخيل ونحو ذلك، وإذا رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب أو سماع بكاء وتصدية فإن نقلتهم عنه إلى طاعة الله فهو المراد، وإلا كان تركهم على ذلك خيراً من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك، وكان[4] ما هم فيه شاغلًا لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلًا بكتب المجون ونحوها وخِفت من نقله عنها انتقاله إلى كتب البدع والضلال فدعه وكتبه الأولى، وهذا باب واسع، سمعت[5] شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قدس الله روحه ونوّر ضريحه يقول: مررت أنا وأصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرّم الخمر[6] لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدّهم الخمر عن قتل النفوس، وسبْي الذرية، وأخذ

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ١٢، ١٣).

(٢) في المرجع السّابق: أن يخلفه ما هو شرّ منه.

(٣) في المرجع السّابق: الأولَيَان.

(٤) في المرجع السّابق: فكان.

(٥) في إعلام الموقعين: وسمعت.

(٦) في إعلام الموقعين: إنما حرّم الله الخمر.

الأموال فدعهمْ، كذا في إعلام الموقعين[1].

(فهذه عقيدتي) بل عقيدة جميع أهل السنة والجماعة مع اختلاف يسير في بعضها من بعضهم تعصباً أو إنصافاً **(أدين الله تعالى بها)** وأعتمد في الدين عليها **(ظاهراً)** إقراراً باللسان **(وباطناً)** تصديقاً بالجنان، فإن كل ذلك مما وردت به الآيات والأخبار، وشهدت به النصوص والآثار، فمن اعتقد جميع ذلك كان من أهل الحق وعصابة السنة،وفارق أهل الضلال وحزب البدعة.

نسأل الله كمال اليقين، وحسن الثبات في الدين، لنا ولكافة المسلمين، برحمته إنه أرحم الراحمين **(والحمد لله أولًا وآخراً)** ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[2].

ولما انجرّ الكلام إلى هذا المقام تمّت العقيدة مع شرحها الجامع للفوائد السديدة في أسبوع من شهر جمادى الأولى سنة ألف ومائتين وأربع وثمانين الهجرية على صاحبها الصلاة والتحية، لكن بقيت مسائل ملحقات لم يذكرها صاحب العقيدة فاستحسنت ذكرها، تتمياً للمقاصد، وتكميلًا للعقائد والعوائد على سبيل الاختصار لعل ينتفع بها أحد من أهل الدين والاعتبار، وبالله التوفيق وبيده أزمة التحقيق.

فمنها: مسألة صفات الباري تعالى شأنه.

فذهب المعتزلة والفلاسفة لصعوبة هذا المقام إلى نفي الصفات، والكرامية إلى نفي قِدمها، والأشاعرة إلى نفي عَيْنيتها وغَيْريتها، فقالوا: إنّ له سبحانه صفات أزلية قائمة بذاته، وهي لا هو بحسب المفهوم الذهني، ولا غيره بحسب الوجود الخارجي، فإن مفهوم الصّفات غير مفهوم الذات، إلا أنها لا تغايرها باعتبار ظهورها في الكائنات.

قال علي القاري رحمه الله: إن الصّحابة رضي الله عنهم والتابعين

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٣/ ١٢، ١٣).

(٢) [سورة الحديد: الآية ٣].

وغيرهم من المجتهدين قد أجمعوا على أن كل صفة من صفات الله تعالى لا هو ولا غيره، كذا ذكر الشارح. انتهى.

قال أبو الطيب: لم أقف على هذا الإجماع، وقال الحاج المحقق محمد فاخر المحدث رحمه الله: الكلام في عينية الذات مع الصفات وزيادتها عليها لا يوجد له رائحة في الكتاب والسنة غير أنه سبحانه موصوف بصفات الكمال، فالذي ينفي الصفات له خوف عظيم، والذي يقول بعينيتها، والذي يقول بأنها لا عين ولا غير والذي يعتبر بزيادتها على الذات فقد خاضوا فيما لم يكلّفوا به ولم يأذن به الله، وأدخلوا في العقائد ما لم يكن من قبيلها عفا الله عنا وعنهم. انتهى.

وزاد الماتن رحمه الله وقال: إن الله كيف اتصف بهذه الصفات وهل هي زائدة على ذاته أو عين ذاته؟ وما حقيقة السمع والبصر والكلام وغيرها؟ فإن المفهوم من هذه الألفاظ غير لائق بجناب القدس، والحق في هذا المقام أن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم لم يتكلم فيه بشيء، بل حجر أمته عن التكلم فيه والبحث عنه، فليس لأحد أن يقدّم على ما حجره عنه. انتهى كلامه.

وهذا هو الصواب الذي لا يخالطه الفساد، وبه أقول وإليه أذهب، وقد وافق الأشاعرة في ذلك الكلابية المنسوبة إلى عبد الله بن كلاب، فإنه كان يقول: لا أقول صفاته هي هو، ولا هي غيره، كذا في غنية الطالبين.

ومنها مسألة المعية قالت الجهمية: إن الله تعالى بذاته في كل مكان، واحتجوا بآيات المعية وما أشبهها، وآيات الإستواء والتفوق وأحاديثهما حجة عليهم، وكذا الرسل وأتباعهم أثبتوا أنه خارج العالم فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وقال الجم الغفير بل خلق لا يحصون: معناها معيته العلم والقدرة والإحاطة ومعيته النصر والتأييد والمعونة.

قال الحافظ الذهبي في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾(١): هو كما إذا

(١) [سورة الحديد: الآية ٤].

كتبت إلى رجل إني معك وأنت غائب عنه، قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت هذه الآية في ربيعة وحبيب ابني عمر وصفوان بن أمية كانوا يوماً يتحدثون فقال أحد: هل يعلم الله ما نقول؟ فقال الثاني: يعلم البعض دون البعض، وقال الثالث: إن كان يعلم البعض فليعلم الكل. فالمراد من قوله «معهم» أنه عالم بكلامهم وضميرهم وسرّهم وإعلانهم. انتهى.

وقال الإمام أبو محمد عبيد الله بن مسلم بن قتيبة[1] في مختلف الحديث: نحن نقول في قول الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[2] يعلم ما هم عليه كما إذا وجهت رجلًا إلى بلد وقلت له: احذر التقصير فإني معك. يريد أنه لا يخفى عليّ تقصيرك ولا يسوغ لأحد أن يقول: إنه سبحانه بكل مكان على الحلول فيه مع قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[3] ومع قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[4] فكيف يصعد إليه شيء وهو معه؟ وكيف تعرج الملئكة والروح إليه وهو معه؟ انتهى.

وقال الحافظ الآجري[5] فإن قيل ما معنى قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[6] قيل علمه، والله على عرشه، وعلمه محيط بهم، والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم، وهو على عرشه، هذا قول المسلمين. انتهى.

وأما كلام المفسرين من مقلّدي المجتهدين فلا حاجة إلى نقله فإنّهم جميعاً ذهبوا إلى مثل ذلك، وقال بعض أهل العلم: معيته نوعان: عامة وخاصة: وقد اشتمل القرآن على النوعين، وليس ذلك على طريق الإشتراك اللفظي، بل حقيقتها الصّحبة اللآئقة، وقد أخبر أنه مع خلقه مع كونه مستوياً

---

(١) مختلف الحديث ص (٢٧١).

(٢) [سورة المجادلة: الآية ٧].

(٣) [سورة طه: الآية ٥].

(٤) [سورة فاطر: الآية ١٠].

(٥) الشريعة للآجري ص (٢٨٨).

(٦) [سورة المجادلة: الآية ٧].

على العرش، وقرن بين الأمرين في الآية وكلاهما حق ولا تناقض بين علوه وبين معيته، وإنما يظهر التعارض في بادىء النظر في أنظار القاصرين دون المحصّلين.

ومنها: مسألة القرب، قال الموصلي في سيف السنة: اختلف فيها السلف والخلف على قولين، فقالت طائفة: نحن أقرب إليه بالعلم والقدرة والإحاطة، وعلى هذا فيكون المراد قربه سبحانه بنفسه، وهو نفوذ قدرته ومشيئته فيه وإحاطة علمه به، والقول الثاني: أن المراد قرب ملائكته منه، وأضاف ذلك إلى نفسه بصيغة ضمير الجمع على عادة العظماء في إضافة أفعال عبيدها إليها بأوامرهم ومراسيمهم إليهم، فيقول الملك: نحن قتلناهم وهزمناهم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾[1] وجبرائيل هو الذي كان يقرءه على رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم قال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾[2] فأضاف قتل المشركين يوم بدر إليه، وملائكته هم الذين باشروه إذ هو بأمره، وهذا القول أصحّ من الأول بوجوه... إلى قوله: والذي عندي أن الرحمة لما كانت من صفات الله تعالى وصفاته قائمة بذاته، فإذا كانت قربته للمحسنين فهو سبحانه قريب منهم قطعاً، فهو قريب من المحسنين بذاته ورحمته قرباً ليس له نظير، وهو مع ذلك فوق سمٰواته على عرشه، ويدنو من أهل عرفة عشيّة عرفة وهو على عرشه، فإن علوه سبحانه على سمٰواته من لوازم ذاته، فلا يكون قطّ إلا عالياً، ولا يكون فوقه شيء ألبتة، كما قال أعلم الخلق به: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء»[3] وهو سبحانه قريب في علوّه وعال في قربه، كما في الحديث الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا في سفر مع النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم فارتفعت أصواتنا بالتكبير، فقال: «أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمّ ولا

---

(١) [سورة القيامة: الآية ١٨].

(٢) [سورة الأنفال: الآية ١٧].

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٣).

غائباً إن الذي تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[1] فأخبر صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم وهو أعلم الخلق به أنه أقرب إلى أحدهم من عنق راحلته، وأخبر أنه فوق سمٰواته على عرشه، مطلع على خلقه، يرى أعمالهم، ويعلم ما في بواطنهم، وهذا حق لا يناقض أحدهما الآخر. انتهى كلامه.

وإلى هذا يؤدي كلام الإمام أبي حنيفة رحمه الله في الفقه الأكبر وليس قرب الله ولا بعده من طريق طول المسافة وقصرها، ولا على معنى الكرامة والهوان، ولكن المطيع قريب منه بلا كيف، والعاصي بعيد منه بلا كيف، والقرب والبعد والإقبال يقع على المناجي ذلك جواره في الجنة والوقوف بين يديه بلا كيف.

ومنها: أن عهد الميثاق ثابت بالكتاب والسنة، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[2] الآية، والسنة الحديث المروي في المصابيح وغيره خلافاً للمعتزلة حيث حملوا الآية والحديث على المعنى المجازي، فمن آمن بعد ذلك وصدق فقد ثبت عليه ودام، ومن كفر فقد بدّل وغيّر.

ومنها: أن الله تعالى يضل من يشاء عدلًا منه، ويهدي من يشاء فضلًا منه، وإضلاله خذلانه، وقد يضاف الهداية إلى النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم مجازاً بطريق التسبيب كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[3] وقد يسند الإضلال إلى الشيطان مجازاً وكذا إلى الأصنام كقوله: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾[4] وقوله: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[5] وقوله: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾[6].

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٢) ومسلم برقم (٢٧٠٤).
(٢) [سورة الأعراف: الآية ١٧٢].
(٣) [سورة الإسراء: الآية ٩].
(٤) [سورة ص: الآية ٨٢].
(٥) [سورة إبراهيم: الآية ٤٦].
(٦) [سورة طه: الآية ٨٥].

ومنها أن الإيمان في اللّغة: إذعان حكم المخبر وقبوله وجعله صادقاً، وفي الشرع: هو تصديق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما جاء به من عند الله تعالى في جميع ما علم بالضرورة مجيئه من عنده تعالى إجمالاً، فإنه كاف في الخروج عن عهدة الإيمان ولا يخط درجته عن الإيمان التفصيلي والإقرار باللسان، وذهب جمهور المحققين إلى أنه هو التصديق بالقلب، وإنما الإقرار شرط لإجراء الأحكام في الدنيا لما أن تصديق القلب أمر باطن لا بد له من علامة، فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مؤمن عند الله وإن لم يكن مؤمناً في أحكام الدنيا، ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فبالعكس، وهو اختيار الشيخ أبي منصور.

قال التفتازاني: والنصوص متعاضدة لذلك قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[2] وقال: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[3] وقال صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «اللهم ثبت قلبي على دينك»[4] وقال لأسامة حين قتل من قال لا إله إلا الله: «هلاّ شققت قلبه»[5] انتهى. ولفظة القاضي[6] رحمه الله في ما لابد منه: الإيمان عبارة عن تصديق الجنان مع الإنقياد وتصديق اللسان، لكن تصديق اللسان يسقط عند الضرورة. انتهى.

ومنها أن الإيمان والإسلام واحد، لأن الإسلام هو الخضوع والإنقياد بمعنى قبول الأحكام الشرعية وذلك حقيقة التصديق، ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٦﴾[7]

---

(١) [سورة المجادلة: الآية ٢٢].

(٢) [سورة النحل: الآية ١٠٦].

(٣) [سورة الحجرات: الآية ١٤].

(٤) سبق تخريجه.

(٥) أخرجه مسلم برقم (٩٦) وأبو داود برقم (٢٦٤٣) وابن ماجة برقم (٣٩٣٠) وأحمد (٤/ ٤٣٩).

(٦) انظر ترجمته ص (٤٢).

(٧) [سورة الذاريات: الآيتان ٣٥، ٣٦].

وفي طريق اللّغة فرق بينهما، لكن لا يصلح في الشرع أن يحكم على أحد بأنه مؤمن وليس بمسلم أو مسلم وليس بمؤمن، لأنه لا يكون إسلام بلا إيمان ولا إيمان بلا إسلام، ولا نعني بوحدتهما سوى ذلك، والدين اسم واقع على الإسلام والإيمان والشرائع كلّها، والناس مستوون في الإيمان والتوحيد، متفاضلون في الأعمال.

ومنها أن الإيمان باق مع النوم والغفلة والإغماء والموت ـ وإن كان كل منها تضاد التصديق والمعرفة ـ حقيقة، لأن الشرع حكم ببقاء حكمها إلى أن يقصد صاحبهما إلى إبطالهما باكتساب أمر حكم الشرع بمنافاته لهما فيرتفع ذلك الحكم خلافاً للمعتزلة.

ومنها أنه اختلف في أن الإيمان مخلوق أو غير مخلوق، فذهب إلى الأول أهل سمرقند، وإلى الثاني أهل بخارى، مع اتفاقهم على أن أفعال العباد كلّها مخلوقة، وذكر عن أحمد بن حنبل وجماعة من أهل الحديث أن الإيمان غير مخلوق، قال صاحب المسائرة: ومال إليه الأشعري، قلت: ولم أقف على الكلام عليه للصحابة والتابعين.

ومنها أن الإيمان يزيد وينقص أم لا؟ قالت الحنفية لا، وحملوا الآيات الدالة على زيادة الإيمان على أنهم كانوا آمنوا في الجملة، ثم يأتي فرض بعد فرض، فكانوا يؤمنون بكل فرض خاص، وهذا التأويل روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقالت الشافعية: يزيد وينقص إبقاءً للآيات على ظواهرها من غير تأويل، وهو الأوفق بسياق الآيات وسِباقها، ولا يصار إلى التأويل إلا عند تعذر الحمل على الظاهر، والنزاع عند التحقيق لفظي، ولذا قال ابن الهمام: إن الحنفية لا يمنعون الزيادة والنقصان باعتبار جهات هي غير نفس ذات التصديق، بل بتفاوته بتفاوت المؤمن به عند الحنفية ومن وافقهم لا بسبب ذات التصديق. انتهى.

وقال في الحجة البالغة: الإيمان على ضربين، أحدهما: الإيمان الذي يدور عليه أحكام الدنيا من عصمة الدماء والأموال، وضبطه بأمور ظاهرة في الإنقياد وهو قوله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «أمرت أن أقاتل»

الخ، وثانيهما: الإيمان الذي يدور عليه أحكام الآخرة من النجاة والفوز بالدرجاتِ، وهو متناول لكل اعتقاد حق وعمل مرضي وملكة فاضلة، وهو يزيد وينقص، وسنة الشارع أن يسمّى كل شيء منهما الإيمان ليكون تنبيهاً بليغاً على جزئيته، وهو قوله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له»[1] وقوله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[2] وله شعب كثيرة، ومثله كمثل الشجرة القال للدوحة والأغصان، والأوراق، والأزهار، والثمار أنها شجرة فإذا قطع أغصانها وضبط أوراقها، وخزف ثمارها، قيل شجرة ناقصة فإذا قطعت الدوحة بطل الأصل وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[3] الآية انتهى.

ومنها أن المؤمن إذا وجد منه التصديق والإقرار صحّ أن تقول: أنا مؤمن حقاً، تحقيقاً للإيمان، ولا يقول إن شاء الله، وفيه نزاع مشهور بين الحنفية والشافعية، وانتصر كلّ طائفة منهما لمذهبها، والحق أن النزاع لفظي، وقد ذهب إلى الجواز كثير من السلف حتى الصحابة والتابعين.

قال ابن الهمام: لا خلاف في أنه لا يقال إن شاء الله تعالى للشك في ثبوت الإيمان في الحال، وإلا كان الإيمان منفياً، بل الإستثناء فيه اتباع لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[4] انتهى. وقيل إن ما نحن فيه ليس داخلًا في عموم الآية.

قال علي القاري: الحاصل أن المستثنى إذا أراد الشك في أصل إيمانه منع من الإستثناء وهذا لا خلاف فيه، وأما إذا أراد أنه مؤمن كامل أو ممن

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥، ١٥٤، ٢١٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٠٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٠) ومسلم (٤١).

(٣) [سورة الأنفال: الآية ٢].

(٤) [سورة الكهف: الآيتان ٢٣، ٢٤].

يموت على الإيمان فالإستثناء جائز، إلا أن الأولى تركه باللسان وملاحظته بالجنان. انتهى.

قلت: ولكل وجهة هو مولّيها فاستبقوا الخيرات.

ومنها أن أفعال العباد كلّها من الكفر، والإيمان، والطاعة، والعصيان، مخلوقة الله تعالى لقوله: ﴿خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[1] خلافاً للمعتزلة، وهي اختيارية يثابون بها إن كانت طاعة، ويعاقبون عليها إن كانت معصية، لا كما زعمت الجبرية أن لا فعل للعبد.

قال القاضي[2] رحمه الله في ما لا بد منه: أفعال العباد الإختيارية كلّها مخلوقة لله تعالى جعل الأسباب والوسائط حجاب فعله، بل دليلًا على ثبوت فعله، فالعقلاء يدركون من حركة الجمادات المحرك، ويعلمون أن هذه الحركة ليست ملائمة حال هذا الجماد، وإنما له فاعل وراءه، وكذا العقلاء الذين اكتحلت بصيرتهم بكحل الشريعة يعلمون أن الممكن لا يقدر على إيجاد ممكن آخر، ولو فعلًا من الأفعال أو عَرَضاً من الأعراض، نعم هذا القدر من الفرق في الأفعال الإختيارية وحركة الجماد متحقّق، والإيمان به واجب لأن الله تعالى أعطى العباد صورة القدرة والإرادة، وجرت عادة[3] الله بأن العبد إذا قصد فعلًا خلق الله ذلك الفعل وأوجده على هذه الصورة والقدرة يقال إن العبد كاسب، ويترتب عليه المدح والذم، والثواب والعقاب، إنكار الفرق بين حركة الجماد وحركة الإنسان كفر، وخلاف الشرع، وخلاف بداهة العقل، والإعتقاد بكون غير الله خالقاً لشيء من الأشياء كفر، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم «القدرية مجوس هذه الأمة»[4] انتهى.

---

(١) [سورة الصافات: الآية ٩٦].

(٢) سبقت ترجمته ص (٤٢).

(٣) أي سنّة الله.

(٤) أخرجه أبو داود برقم (٤٦٩١) والحاكم في المستدرك (١/ ٨٥).

وقال الشيخ محمد فاخر المحدث[1]: وما قالوا من أن الفعل من الحق والكسب من العبد، فليس بمعقول عند أهل العقل، ولا يحكم به الكتاب والسنة. انتهى.

ثم الحسن من أفعاله برضاء الله والقبيح منها ليس برضاه، والإستطاعة مع الفعل، خلافاً للمعتزلة، والتكليف يعتمد عليها، وقال في الحجة البالغة: أفعال العبد اختيارية لكن لا اختيار لهم في ذلك الإختيار، إنما مثله كمثل رجل أراد أن يرمي حجراً، فلو أنه كان قادراً حكيماً خلق في الحجر اختيار الحركة أيضاً، ولا يرد عليه أن الأفعال إذا كانت مخلوقة لله تعالى وكذلك الإختيار ففيم الجزاء؟ لأن معنى الجزاء يرجع إلى ترتب بعض أفعال الله تعالى على البعض بمعنى أن الله تعالى خلق هذه الحالة في العبد فاقتضى ذلك في حكمته أن يخلق فيه حالة أخرى من النعمة والألم، كما أنه يخلق في الماء حرارة فيقتضي ذلك أن يكسوه صورة الهواء، وإنما يشترط وجود الإختيار وكسب العبد في الجزاء بالعرض لا بالذات، وذلك لأن النفس الناطقة لا تقبل لون الأعمال التي لا تستند إليها، بل إلى غيرها من جهة الكسب، ولا الأعمال التي لا تستند إلى اختيارها وقصدها، وليس في حكمة الله أن يجازي العبد بما لم تقبل نفسه الناطقة لونه، فإذا كان الأمر على ذلك كفى هذا الإختيار الغير المستقل في الشرطية إذا كان مصححاً لقبول لون العمل، وهذا الكسب الغير المستقل إذا كان مصححاً لتخصيص هذا العبد بخلق الحالة المتأخرة فيه دون غيره، وهذا تحقيق شريف مفهوم من كلام الصحابة والتابعين فاحفظ. انتهى.

ومنها أن الكبيرة لا تُخرج المؤمن من الإيمان لبقاء التصديق الذي هو الإيمان خلافاً للمعتزلة، ولا يدخله في الكفر خلافاً للخوارج.

ومنها أن الكفار معذّبون في النار أبداً، وعصاة المؤمنين إن دخلوا في النار يخرجوا منها بالعجلة أو التأني ألبتة، ويدخلون الجنة ثم يخلدون فيها.

---

(١) سبقت ترجمته.

ومنها أن لا يثبت العصمة لغير الأنبياء والملائكة من الصحابة وأهل البيت والأولياء[1].

ومنها أن يجعل المتابعة مقصورة على الأنبياء، ويؤمن بما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، ويعمل بما قاله، ويمتنع عما نهى عنه، ويردّ قول كل واحد وفعله المخالفين لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم وفعله رأس الشعرة. قاله القاضي في ما لا بد منه.

ومنها أن الحرام رزق، وكل يستوفي رزقه حلالًا كان أو حراماً لحصول التغذي بهما جميعاً، غير أن العبد يستحق الذم والعقاب على أكل الحرام خلافاً للمعتزلة، فإن الحرام عندهم ليس برزق ولا يتصور أن لا يأكل الإنسان رزقه أو يأكل غير رزقه.

ومنها أن المقتول ميت بأجله المقدر لموته لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾[2] وقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[3] خلافاً للمعتزلة أن الله تعالى قد قطع عليه الأجل.

ومنها أن الموت قائم بالميت مخلوق لله تعالى لقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾[4] وهو والأجل واحد، قال في الحجة البالغة: قد تحقق عندنا بالوجدان الصحيح أن الموت انفكاك النسمة عن البدن لفقد استعداد البدن لتوليدها لا انفكاك الروح القدسي عن النسمة، وإذا تحللت النسمة في الأمراض المذلقة وجب في حكمة الله تعالى أن يبقى الشيء من النسمة بقدر ما يصح ارتباط الروح الالهي بها. انتهى.

ومنها أن المسح على الخفين في الحضر والسفر للمقيم يوماً وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها ثابت بالسنة التي كادت تكون متواترة، قال الحسن

---

(١) أي لا تثبت العصمة لغير الأنبياء والملائكة سواء كانوا من الصحابة أو من أهل البيت أو من الأولياء.

(٢) [سورة آل عمران: الآية ١٤٥].

(٣) [سورة الأعراف: الآية ٣٤].

(٤) [سورة الملك: الآية ٢].

البصري: «أدركت سبعين نفراً من الصحابة يرون المسح عليهما»، فمن أنكره يخشى عليه الكفر، قلت: قد استوفيت أدلتها في شرح الدرر البهية فليرجع إليها.

ومنها أن صلاة التراويح[1] في شهر رمضان سنة بأصلها لما ثبت أنه صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم صلّاها في ليال، ثم تركها شفقة على الأمة أن لا تجب على العامة أو يحسبوها واجبة، ولم يأت تعيّن العدد في الروايات الصّحيحة المرفوعة ولكن يعلم من حديث «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره»[2] رواه مسلم، أن عددها كان كثيراً، وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف والبيهقي في سننه «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم يصلي في رمضان في غير جماعة بعشرين ركعة والوتر»[3] وضعفه البيهقي لأجل أبي شيبة إبراهيم بن عثمان جد أبي بكر ابن أبي شيبة قاضي واسط، قال في سبيل الرشاد: وأبو شيبة ضعفه أحمد، وابن معين، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي وغيرهم، وكذّبه شعبة، قال ابن معين: ليس بثقة، وعد هذا الحديث من منكراته. انتهى. وأورد لابن عدي هذا الحديث في الكامل[4] من مناكيره.

وقال الأوزاعي رحمه الله في المتوسط: وأما ما نقل أنه صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم صلى في الليلتين اللتين خرج فيهما عشرين ركعة فهو منكر، وقال الزركشي في الخادم: دعوى أنه صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم صلى في تلك الليلة عشرين ركعة لم يصح، بل الثابت في الصحيح الصلوٰة من غير ذكر للعدد.

---

(١) ذكر الشارح صلاة التراويح وقبلها المسح على الخفين ضمن ما يعتقده وذلك لمخالفة الرافضة ذلك.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١١٧٥).

(٣) أخرجه البيهقي في سننه (٤٩٦/٢) برقم (٤٣٩١) وابن أبي شيبة في مصنفه (١٩٣/٢) برقم (٧٦٨٠) و (١٦٤/٢).

(٤) الكامل لابن عدي (٢٤٠/١).

وفي تهذيب الكمال لأبي حجاج المزي[1]: أبو شيبة له مناكير منها حديث أنه كان يصلي في رمضان عشرين ركعة والوتر، وقد ضعفه أبو حاتم الرازي ابن فضل الملائي، وقال الترمذي: منكر الحديث، وقال الجرجاني: ساقط، وقال أبو علي النيسابوري: ليس بالقوي، وقال صالح بن محمد البغدادي: ضعيف لا يكتب حديثه، وقال معاذ العنبري: كتبت إلى شعبة أسأل عنه، الأزدي عنه فقال: لا ترو عنه فإنه رجل مذموم. انتهى ملخصاً.

وفي ميزان الإعتدال للذهبي في ترجمة أبي شيبة عن ابن معين ليس بثقة، وقال أحمد: ضعيف، وقال البخاري: سكتوا عنه، وقال النسائي: متروك الحديث، ومن مناكيره ما روى البنوي عنه عن الحاكم عن مقسم عن ابن عباس.

وفي تدريب الراوي شرح تقريب النواوي[2]: البخاري يطلق فيه نظر وسكتوا عنه في من تركوا حديثه.

وفي سبل السلام[3] أن من أثبت صلاة التراويح وجعلها سنة في قيام رمضان استدل بحديث جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم خرج في شهر رمضان ثم انتظروه من الليلة القابلة فلم يخرج وقال: « إني خشيت أن يكتب عليكم الوتر»[4] رواه ابن حبان، وليس فيه دليل على كيفية ما يفعلونه ولا كميته، فإنهم يصلونه جماعة عشرين ركعة يتروحون بين كل ركعتين، فأما الجماعة فإن النبي صلى الله عليه وآله وآصحابه وسلم صلى بهم جماعة ثم ترك خشية أن يفرض عليهم، ثم إن عمر أول من جمعهم على إمام معين، وقال: «إنها بدعة» كما أخرجه مسلم في صحيحه وأخرجه غيره من حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم كان يرغبه في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمته فيقول: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[5]

---

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٤٩/٢).
(٢) تدريب الراوي شرح تقريب النواوي (١/ ٤٣٩).
(٣) سبل السلام شرح بلوغ المرام (١/ ٣٣٥، ٣٣٦).
(٤) انظر الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٦/ ١٦٩، ١٧٠) برقم (١٤٠٩).
(٥) أخرجه مسلم برقم (٧٥٩) والدارمي (٢/ ٢٦).

وتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلّم والأمر على ذلك وفي خلافة أبي بكر وصدرا من خلافة عمر، زاد في رواية عند البيهقي[١] قال عروة: فأخبرني عبد الرحمٰن القاري أن عمر بن الخطاب خرج ليلة في رمضان فطاف في المسجد وأهل المسجد أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلون بصلاته الرهط فقال عمر والله لا أظن لو جمعناهم على قارىء واحد لكان أمثل وعزم عمر على أن يجمعهم على قارىء واحد فأمر أبي بن كعب أن يقوم بهم في رمضان فخرج عمر والناس يصلون بصلاته فقال عمر «نعم البدعة هذه» وساق البيهقي في السنن عدة روايات في هذا المعنى[٢].

إذا عرفت هذا عرفت أن عمر هو الذي جعلها جماعة على معين وسماها بدعة، وأما قوله: «نعم البدعة» فليس في البدعة ما يمدح، بل كلّ بدعة ضلالة. واعلم أنه يتعين حمل قوله: «بدعة» على جماعة لهم على معين وإلزامهم بذلك لا أنه أراد أن الجماعة بدعة، لأنه صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم قد جمع بهم كما عرفت، وأما الكميّة وهي جعلها عشرين ركعة فليس فيه حديث مرفوع إلا ما رواه عبد بن حميد والطبراني من طريق أبي شيبة عن ابن عباس رضي الله عنه وقد تقدم ما قالوا فيه، وجاء في رواية جابر أنه «صلى بهم ثمان ركعات والوتر ثم انتظروه في القابلة فلم يخرج إليهم»[٣] رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، وساق البيهقي روايات أن عمر أمر أبياً وتميم الداري يقومان بالناس بعشرين ركعة[٤]، وفي رواية أنهم كانوا يقومون في زمن عمر بعشرين ركعة[٥]، وفي رواية بثلاثة وعشرين ركعة[٦]، وفي رواية أن علياً رضي الله عنه كان يؤمهم بعشرين ركعة ويوتر بثلاث[٧] وقال وفيه قوة.

---

(١) أخرجه البيهقي برقم (٤٣٧٨) (٢/٤٩٣).

(٢) انظر المرجع السابق.

(٣) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (٦/١٦٩) برقم (٢٤٠٩) وابن خزيمة في صحيحه (٢/١٣٨) برقم (١٠٧٠).

(٤)(٥)(٦)(٧) أخرجه البيهقي في سننه (٢/ ٤٩٦).

وإذا عرفت هذا عرفت أنه ليس في العشرين رواية مرفوعة، بل حديث عائشة المتفق عليه أنه صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، فعرفت من هذا كله أن صلاة التراويح على هذا الأسلوب الذي اتفق عليه الأكثر بدعة، نعم قيام رمضان سنة بلا خلاف والجماعة في نافلته لا تنكر، فقد ائتم ابن عباس وغيره به صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم في صلاة الليل، لكن جعل هذه الكيفية والكمية سنة والمحافظة عليها هو الذي يقول إنه بدعة، وهذا عمر خرج أولًا والناس أوزاع متفرقون منهم من يصلي منفرداً، ومنهم من يصلي جماعة على ما كانوا عليه في عصره صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، وخير الأمور ما كانت على عهده صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، وأما تسميتها بالتراويح فكأنه وجه ما أخرجه البيهقي من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم يصلي أربع ركعات في الليل ثم يتروح فأطال حتى رحته»[1] الحديث، قال البيهقي تفرد به المغيرة بن زياد وليس بالقوي، فإن ثبت فهو أصل في تروح الإمام في صلاة التراويح انتهى. وأما حديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»[2] أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجة والترمذي وصححه الحاكم وقال: على شرط الشيخين، ومثله حديث «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر»[3] أخرجه الترمذي وقال: حسن، وأخرجه أحمد وابن حبان وله طرق فيها مقال إلا أنه يقوّي بعضها بعضاً، فإنه ليس المراد بسنة الخلفاء الراشدين إلا طريقتهم الموافقة لطريقته من جهاد الأعداء وتقوية شعائر الدين ونحوها، فإن الحديث عامّ لكل خليفة راشد، ولا يخص الشيخين، ومعلوم من قواعد الشريعة أنه ليس لخليفة راشد أن يشرع طريقة غير ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، ثم إن هذا عمر نفسه الخليفة الراشد سمّى ما رآه من تجميع صلاته

(١) أخرجه البيهقي في سننه (٢/ ٤٩٧) برقم (٤٣٩٩).

(٢)(٣) سبق تخريجه.

ليل رمضان بدعة، ولم يقل أنها سنة. فتأمل على أن الصحابة رضي الله عنهم خالفوا الشيخين في مواضع ومسائل فدل أنهم لم يحملوا الحديث على أن ما قالوه وفعلوه حجة، وقد حقق البرماوي الكلام في شرح الألفية في أصول الفقه مع أنه قال: إنما الحديث الأول يدل على أنهم إذ لو اتفق الخلفاء الأربعة على قول كان حجة لا إذا انفرد واحد منهم أو منهما، والتحقيق أن الإقتداء ليس هو التقليد، بل هو غيره كما حققناه في شرح نظم الكافل في بحث الإجماع. انتهى كلام السبل.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني رحمه الله في بعض فتاواه: إن نفس قيام رمضان لم يوقت النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم فيه عدداً معيناً، بل هو كان صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم لا يزيد في رمضان ولا في غيره على ثلاث عشرة ركعة، كان يطيل الركعات فلمّا جمعهم عمر رضي الله عنه على أبيّ بن كعب، كان يصلي بهم عشرين ركعة ثم يوتر بثلاث، وكان يخفف القراءة بقدر ما زاد من الركعات، لأن ذلك أخفّ على المأمومين من تطويل الركعة الواحدة، ثم كان طائفة من السلف يقومون بأربعين ركعة ويوترون بثلاث، وآخرون قاموا بست وثلاثين وأوتروا بثلاث، وهذا شائع فكيف ما قام في رمضان من هذه الوجوه فقد أحسن، والأفضل مختلف باختلاف أحوال المصلين، فإن كان فيهم احتمال لطول القيام فالقيام بعشر ركعات وثلاث بعدها كما كان النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم يصلي لنفسه في رمضان وغيرها هو الأفضل، وإن كان لا يحتملون فالقيام بعشرين هو الأفضل، وهو الذي يعمل به أكثر المسلمين، فإنه وسط بين العشر والأربعين، وإن قام بأربعين وغيرها جاز ذلك ولا يكره شيء من ذلك، وقد نصَّ على ذلك غير واحد من الأئمة كأحمد وغيره، ومن ظنّ أن قيام رمضان فيه عدد مؤقت عن النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم لا يزاد عليه ولا ينقص فقد أخطأ. انتهى.

وقد حققت المقام في مسك الختام شرح بلوغ المرام فليرجع الطالب إليه وليعول عليه وبالله التوفيق.

ومنها أن الصلاة خلف كل بر وفاجر وصالح وطالح من المؤمنين جائز، لقوله صلى الله عليه وآله ويصحابه وسلم: «صلوا خلف كل بر وفاجر»[١] أخرجه الدارقطني عن أبي هريرة وكذا البيهقي.

قال علي القاري: فمن ترك الجمعة والجماعات خلف الإمام الفاجر، فهو مبتدع عند أكثر العلماء، والصحيح أنه يصليها ولا يعيدها، وكان ابن مسعود وغيره يصلّون خلف الوليد بن عقبة ابن أبي معيط، وكان يشرب الخمر. انتهى.

وقال التفتازاني رحمه الله: وما نقل عن السلف من المنع عن الصلاة خلف المبتدع فمحمول على الكراهة، ثم المعتزلة وإن جعلوا الفاسق غير مؤمن لكنهم يجوزون الصلاة خلفه، لأن شرط الإمامة عندهم عدم الكفر لا لوجود الإيمان بمعنى التصديق والإقرار والأعمال جميعاً، وكذلك يصلى على كل بر وفاجر إلا من خصّه الشرع، وهو الغال، وقاتل نفسه، والكافر، والشهيد، ويصلى على القبر، وعلى الغائب خلافاً للحنفية.

ومنها أن الوليّ لا يبلغ درجة الأنبياء بإجماع المسلمين، وقول بعض الصوفية إن الولاية أفضل من النبوة مأوّل أو مردود عليه.

قال القاضي[٢] ثناء الله: القول بأفضلية الولاية من النبوة باطل شرعاً وتأويله بأن ولاية النبي أفضل من نبوته باطل كشفاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني رحمه الله في كتاب الفرقان[٣]: قد اتفق سلف الأمّة وأمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء، وقد ظن طائفة غالطة أن خاتم الأولياء يكون أفضل الأولياء قياساً على خاتم الأنبياء، فلم يتكلم أحد من المشايخ

(١) أخرجه الدارقطني (٢/ ٥٧) والبيهقي (٤/ ١٩) وضعفه الألباني (تخريج أحاديث شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٢١).

(٢) ثناء الله الباني البنى انظر ترجمته (ص ٤٢).

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان ص (١٩٠، ١٩١) ط دار ابن حزم.

المتقدمين بخاتم الأولياء إلا الحكيم الترمذي[1] صنف فيه مصنفاً غلط فيه في مواضع، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم أنه خاتم الأولياء كابن العربي وغيره. انتهى ملخصاً.

ومنها أنه ليس من شرط الوليّ أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطىء، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة، ويشتبه عليه بعض أمور الدين، ويجوز أن يظن الخوارق أنها كرامات وتكون من الشيطان لبّسها عليه لينقص درجته، ولا يعرف أنها من الشيطان وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله، فإن الله تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان، ولهذا لم يجب على الناس الإيمان بجميع ما يقوله، ولا يجوز أن يعتمد على ما يقع له ويراه إلهاماً ومحادثة وخطاباً من الحق، بل يجب أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، فإن وافقه قبله، وإن خالفه لم يقبله، وإن لم يعلم أهو موافق أم مخالف توقف فيه. كذا في كتاب الفرقان.

ومنها أن الإلهام والكشف والمنام ليس في شيء من حجج الإسلام، ولا يثبت بحكم من أحكام الدين، نعم تصلح لشهادة الأحكام الثابتة ومتابعتها وتأييدها.

قال القاضي ثناء الله رحمه الله: إن كان الكشف والإلهام خلاف آحاد الحديث أو القياس الجامع مع الشرائط فالترجيح للحديث والقياس ويحكم بالخطأ في الكشف، وهذه المسألة مجمع عليها بين السلف والخلف، لأن قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم حجة قاطعة، واحتمال الكذب والنسيان في الرواية ضعيف، وكثيراً ما يقع الخطأ في كشف الأولياء. انتهى.

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسن، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، من مشايخ خراسان نفي من ترمذ إلى بلخ، لابتداع وتأليفه كتاب «ختم الولاية»، توفي سنة ٣٢٠ هـ (صفة الصفوة ٤/ ١٦٧)، طبقات الصوفية (ص ١٧).

ومنها أنه لا يصل العبد ما دام عاقلًا بالغاً حيث يسقط عنه الأمر والنهي لعموم الخطابات الواردة في التكاليف وإجماع المجتهدين على ذلك قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾[1].

ومنها أن اليأس من الله تعالى كفر، لقوله تعالى: ﴿لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[2] والأمن من الله تعالى كفر، لأنه لا يأمن من مكر الله إلا القوم الخاسرون.

ومنها أن تصديق الكاهن بما يخبره عن الغيب كفر لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾[3] ولقوله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد[4]صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم».

قال القاضي ثناء الله رحمه الله: ليس للأولياء علم الغيب إلا ما علمهم الله على طريق خرق العادة بالكشف والإلهام، فالقول بعلم الغيب للأولياء كفر قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾[5] وقال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾[6] والآيات الأخرى شاهدة على ذلك. انتهى.

ومنها أن في دعاء الأحياء للأموات وصدقتهم عظيم نفع لهم خلافاً للمعتزلة، لما ورد في صحاح الأخبار من الدعوات للموتى وقد توارثه السلف، فلو لم يكن للأموات نفع فيه لما كان له معنى والأخبار الدالة على ذلك والآثار كثيرة.

---

(١) [سورة الحجر: الآية ٩٩] والمقصود باليقين في الآية هو الموت.
(٢) [سورة يوسف: الآية ٨٧].
(٣) [سورة النمل: الآية ٦٥].
(٤) أخرجه أبو داود برقم (٣٩٠٤) والترمذي (١٣٥) وابن ماجة (٦٣٩) والبيهقي (١٩٨/٧).
(٥) [سورة الأنعام: الآية ٥٠].
(٦) [سورة البقرة: الآية ٢٥٥].

ومنها أن الله تعالى يجيب الدعوات ويقضي الحاجات كلّها لقوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1] وفي إجابة دعاء الكافر خلاف.

ومنها أن الجني الكافر يعذب بالنار اتفاقاً لقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[2] والمسلم منهم يثاب بالجنة عند أبي يوسف ومحمد ووافقهما بقية أهل السنة والجماعة، ويؤيدهم قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾[3].

ومنها أن المتصف بسعادة الإيمان قد يشقى بأن يرتد في المال، والشقيّ قد يسعد في الأفعال، والتغير يكون على السعادة والشقاوة دون الإسعاد والإشقاء، فإنهم من صفات الله تعالى، ولا تغير عليه، ولا على صفاته، فلا يلزم من تغيرهما تغير علم الله فإن القديم لا يكون محلًا للحوادث.

قال التفتازاني رحمه الله: والحق أنه لا خلاف في المعنى، فإنه إن أريد بالإيمان والسعادة مجرد حصول المعنى فهو حاصل في الحال، وإن أريد ما يترتب عليه النجاة والثمرات في المآل فهو في مشيئة الله تعالى لا قطع بحصوله في الحال، فمن قطع بالحصول أراد الأول، ومن فوض إلى المشيئة أراد الثاني. انتهى.

قال علي القاري: هو غاية التحقيق ونهاية التدقيق وبالله التوفيق.

ومنها أن سائر ما أخبر به النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم من أشراط الساعة من رفع القرآن، وغربة الإسلام، وقلة العلم، وكثرة الجهل، والهرج، وخروج الدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى عليه السلام من السماء، وطلوع الشمس من مغربها، وكذا الآيات الصغرى، والفتن الكبرى التي تكون قبل ذلك، فهو حق، لأنها أمور ممكنة أخبر بها الصادق.

قال القاضي رحمه الله في ما لا بد منه: قد أخبر رسول الله صلّى الله

(١) [سورة غافر: الآية ٦٠].
(٢) [سورة هود: الآية ١١٩].
(٣) [سورة الرحمٰن: الآيتان ٤٦ ـ ٤٧].

عليه وآله وأصحابه وسلم بأن البعث بعد الموت يوم القيامة حق، والنفخ للإماتة والإحياء حق، وانشقاق السمٰوات، ووقوع النجوم، وطيران الجبال، وخراب الأرض من النفخة الأولى، وخروج الموتى من القبور، وخلق العالم بعد العدم بعد النفخة الثانية حق، وما أخبر به صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم عن أنواع عذاب النار، الحيّة، والعقرب، والسلاسل، والأطواق، والنار، والحميم، والزقوم، والغسلين، ونطق بها القرآن وكذا أنواع نعيم الجنة من المآكل، والمشارب، والحور، والقصور وغير ذلك كلّها حق، وقد استوفى السيد محمد البرزنجي المدني رحمه الله أشراط الساعة في الإشاعة، وجمعتها أنا في رسالتي «اقتراب الساعة» بالفارسية ولعلك لا تجد مثلها في هذا الباب، وجمع السيوطي رحمه الله في أحوال البرزخ والنار والجنة كتباً مستقلة.

ومنها أن رسل البشر أفضل من رسل الملٰئكة بوجوه ذكرت في محلها، وكذا رسل الملائكة أفضل من عامة البشر بالإجماع، بل بالضرورة، وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة خلافاً للمعتزلة والفلاسفة وبعض الأشاعرة، حيث ذهبوا إلى تفضيل الملائكة على البشر، وجعلها صاحب الحجة البالغة من قسم ما لم ينطق به الكتاب، ولم يستفض به السنة، ولم يتكلم فيه الصّحابة، وأضاف خوضهم في ذلك إلى استنباط من الدلائل العقلية.

ومنها أن المعراج لرسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم في اليقظة بشخصه إلى السماء الدنيا إلى ما شاء الله تعالى من العلى ثابت بالخبر المشهور المروي في الصحيح وغيره بطرق متعددة كثيرة، فمن ردّ ذلك الخبر ولم يؤمن بذلك الأثر فهو ضال مبتدع، والإسراء من المسجد الحرام إلى بيت المقدس قطعي، ثبت بالكتاب وإنكاره كفر، والمعراج من الأرض إلى السماء الدنيا مشهور مستفيض ومنكره مبتدع، ومن السماء إلى الجنة وإلى العرش آحاد، واختلف في الإنتهاء فقيل إليها، وقيل إليه، وقيل إلى ما فوقه وهو مقام ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾[1] واختلفت

---

(١) [سورة النجم: الآيتان ٨، ٩].

الصّحابة ومن عاصرهم والعلماء من بعدهم هل كان الإسراء بروحه، أو جسده على ثلاث مقالات، وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه إسراء بالجسد، وفي اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس وجابر، وأنس، وحذيفة، وعمر، وأبي هريرة، ومالك بن صعصعة، وأبي حية البدري، وابن مسعود، والضحاك، وسعيد بن جبير، وقتادة وسعيد بن المسيب، وابن شهاب، وابن جريج، وهو قول محمد بن جرير الطبري، وأحمد ابن حنبل، وجماعة عظيمة من المسلمين، وهذا قول أكثر المتأخرين من الفقهاء، والمحدثين، والمتكلمين، والمفسرين، وقد أفرد علي القاري في ذلك رسالة مختصرة سماها المنهاج العلوي في المعراج النبوي، وبينها القاضي عياض في الشفا، والخفاجي في شرحه نسيم الرياض، وغيرهما في غيرهما.

ومنها أن السلف اختلفوا في مسألة رؤيته صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم ربّه تعالى بعينه يقظة في إسرائه لجسده، فأنكرته عائشة رضي الله عنها، وقال جماعة من المحدثين والعلماء بقول عائشة، وهو المشهور عن ابن مسعود وغيره، ومثله روي عن أبي هريرة أنه قال: إنما رأى جبرائيل، واختلف عنه، وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا، وجوزه في الآخرة جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين، وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه رآه بعينه، وعن عطاء وكعب الأحبار أنه رآه بقلبه، وعن أبي ذر رأى محمد صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم ربه، وكان الحسن البصري يحلف بالله لقد رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم ربه، وعن عكرمة وابن مسعود رآه بعينه، وعن أحمد بن حنبل أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه ربه، رآه، رآه، رآه حتى انقطع نفسه، وقال سعيد ابن جبير: لا أقول رآه، ولا لم يره، وقال أبو الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه: إنه صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم رأى الله ببصره وعيني رأسه، ووقف بعضهم في هذا فلم يعتقد ثبوته ولا نفيه، وقال: ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز أن يكون.

قال التفتازاني: والصحيح أنه رأى بفؤاده لا بعينه. انتهى.

قلت: ذات الرؤية ثابتة بلا شك، وشبهته بقلب كان أو بعين.

ومنها أن استحلال المعصية صغيرة كانت أو كبيرة كفر إذا ثبت كونها معصية بدليل قطعي، والإستهانة بها كفر، والإستهزاء على الشريعة كفر، لأنه من أمارات التكذيب، وتفصيل ما يتفرع على هذا الأصل مبسوط في الزبر الكلامية.

ومنها أن المعدوم ليس بشيء على ما ذهب إليه المحققون، والمراد بالشيء الثابت المتحقق وهذا حكم ضروري لم ينازع فيه إلا المعتزلة، وإن أريد أن المعدوم لا يسمى شيئاً فهو بحث لغوي.

ومنها أنه أجمع أهل السنة والجماعة على أن رؤية الله تعالى بعين البصر جائزة في الدنيا والآخرة عقلًا، وواقعة ثابتة في العقبى سمعاً ونقلًا، واختلفوا في جوازها في الدنيا شرعاً، فأثبتها الأكثرون ونفاها الآخرون، والأمّة اتفقت على أنه تعالى لا يراه أحد في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا لنبينا صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم حال عروجه إلى السماء.

ومنها رؤية الله تعالى في المنام، فالأكثرون على جوازها من غير كيفية، وقد روي عن كثير من السلف كما تقدم وهو نوع مشاهدة يكون بالقلب للكرام.

ومنها أن الروح محدثة، وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام، وعلى هذا درج الصحابة والتابعون، حتى نبغت نابغة قاصرة الفهم في الكتاب والسنة فزعمت أنها قديمة، واتفق أهل السنة والجماعة على أنها مخلوقة، وممن نقل الإجماع على ذلك الإمام محمد بن نصر المروزي وابن قتيبة وغيرهما، واختلف في أن الروح تموت أم لا؟ فقالت طائفة نعم، وقال آخرون: لا، وقد دلّ على ذلك الأحاديث الواردة في نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله تعالى إلى أجسادها، وفي الحجة البالغة في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[1] يعلم من هنالك أن الخطاب لليهود السائلين عن

---

(١) [سورة الإسراء: الآية ٨٥].

الروح، وليست الآية نصاً في أنه لا يعلم أحد من الأمة المرحومة حقيقة الروح كما يظن، وليس كل ما سكت عنه الشرع لا يمكن معرفته ألبتة، بل كثيراً يسكت عنه لأجل أن معرفته دقيقة لا يصلح لتعاطيها جمهور الأمة وإن أمكن لبعضهم. انتهى.

ومنها أن الكافر منعّم عليه في الدنيا لقوله ﷺ «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»(١) وقال الأشعري: ليس بنعمة، بل هو نقمة حيث حجبه عن الله تعالى كما قال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾(٢) والخلاف لفظي لأنها نعمة دنيوية ونقمة أخروية، ولذا قال ابن الهمام: والحق أنها في نفسها نعم وإن كانت سبب نقم.

ومنها أن العقل آلة المعرفة والموجب هو الله تعالى، ووجوب الإيمان بالعقل مروي عن أبي حنيفة رحمه الله ويؤيده قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٣) وحديث «كل مولود يولد على فطرة الإسلام»(٤)، وبه قال أبو منصور الماتريدي وقال الأشعري لا يجب لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(٥).

قال الغزالي: معرفة الله تعالى وطاعته واجبة بإيجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلفاً للمعتزلة انتهى، وأطال في ذلك في الإحياء.

ومنها أنه لا يوصف الله تعالى بالقدرة على الظلم، لأن المحال لا يدخل تحت القدرة، وعند المعتزلة أنه يقدر ولا يفعل.

ومنها أن تكليف ما لا يطاق كتكليف الأعمى بالإبصار ونحوه غير جائز عند الحنفية والمعتزلة، خلافاً للأشعري والشافعية، وقالوا: لو لم يجز

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٥٦) والترمذي برقم (٢٣٢٤).

(٢) [سورة المؤمنون: الآيتان ٥٥، ٥٦].

(٣) [سورة إبراهيم: الآية ١٠].

(٤) أخرجه البخاري برقم (١٣٨٥) ومسلم برقم (٢٦٥٨).

(٥) [سورة الإسراء: الآية ١٥].

ذلك لاستحال سؤال دفعه، وقد سألوا ذلك فقالوا: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[1] والأصح عدم الوقوع لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[2] سواء كان ممتنعاً في نفسه كجمع الضدين أو ممكناً كخلق الجسم، وأما التكليف بما هو ممتنع لغيره كإيمان من علم الله أنه لا يؤمن مثل فرعون ونحوه فقد اتفق الكل على جوازه[3] ووقوعه شرعاً.

ومنها أن السحر والعين حق لقوله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم «العين حق»[4] رواه أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه ويدل عليه قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾[5] ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾[6].

قال الماتريدي رحمه الله: القول بأن السحر على الإطلاق كفر خطأ.

ومنها أن السنة ليست اسماً في الحقيقة لمذهب خاصّ من الكلام، ولكن المسائل التي اختلفت فيها أهل القبلة وصاروا لأجلها فرقاً متفرقة وأحزاباً متحزبة بعد انقيادهم لضروريات الدين على قسمين: قسم نطقت به الآيات، وصحّت به السنة، وجرى عليه السلف من الصحابة والتابعين، فلما ظهرت إعجاب كل ذي رأي برأيه، وتشعبت بهم السبل، اختار قوم ظاهر الكتاب والسنة، وعضوا بنواجذهم على عقائد السلف، فلم يبالوا بموافقتها للأصول العقلية، ولا بمخالفتها لها، فإن تكلموا بمعقول فلإلزام الخصوم والرد عليهم، أو لزيادة الطمأنينة، لا لإستفادة العقائد منهم، وهم أهل

---

(١) [سورة البقرة: الآية ٢٨٦].

(٢) [سورة البقرة: الآية ٢٨٦].

(٣) وجد على حاشية الكتاب: ومن أدلة جواز التكليف بما لا يطاق أن الله سبحانه أمر أبا جهل أن يصدق بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم ومن جملة أن لا يصدق أبو جهل رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم فقد أمر بتكليف ما لا يطاق ومن أراد التحقيق فليرجع إلى اسفار علم الكلام انتهى عبد الرشيد عفى الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٠) ومسلم برقم (٢١٨٧).

(٥) [سورة البقرة: الآية ١٠٢].

(٦) [سورة الفلق: الآية ٤].

السنة، وذهب قوم إلى التأويل والصرف عن الظاهر حيث خالفت للأصول العقلية بزعمهم، فتكلموا بالمعقول لتحقق الأمر وتبيينه على ما هو عليه، فمن هذا القسم سؤال القبر، ووزن الأعمال، والمرور على الصراط، والرّؤية، وكرامات الأولياء، فهذا كلّه ظهر به الكتاب والسنة وجرى عليه السلف، ولكن ضاق نطاق المعقول عنها بزعم قوم فأنكروها وأوّلوها، وقال قوم منهم: آمنا بذلك وإن لم ندر حقيقته، ولم يشهد له المعقول عندنا، ونحن نقول: آمنا بذلك كلّه على بيّنة من ربنا، وشهد له المعقول عندنا.

وقسم لم ينطق به الكتاب، ولم يستفض به السنة، ولم يتكلم فيه الصحابة، فهو مطويّ على غرّة، فجاء ناس من أهل العلم فتكلموا فيه واختلفوا، وكان خوضهم فيه إما استنباط من الدلائل العقلية كفضل الأنبياء على الملائكة، وفضل عائشة على فاطمة، وإما لتوقف الأصول الموافقة للسنة عليه وتعلقها به بزعمهم، كمسائل الأمور العامة وشيء من مباحث الجواهر والأعراض، فإن القول بحدوث العالم يتوقف على إبطال الهيولي وإثبات الجزء الذي لا يتجزىء، والقول بخلق الله تعالى العالم بلا واسطة يتوقف على إبطال القضية القابلة بأن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد، والقول بالمعجزات يتوقف على إنكار الّلزوم العقلي بين الأسباب ومسبّباتها، والقول بالمعاد الجسماني يتوقف على إمكان إعادة المعدوم، إلى غير ذلك مما شمخوا به كتبهم، وإما تفصيلًا وتفسيراً بما تَلَقَّوه من الكتاب والسنة فاختلفوا في التفصيل والتفسير بعد الإتفاق على الأصل، كما اتفقوا على إثبات صفتي السمع والبصر، ثم اختلفوا، فقال قوم: هما صفتان راجعتان إلى العلم بالمسموعات والمبصرات، وقال آخرون: هما صفتان على حِدَتهما، كما اتفقوا على أن الله تعالى حي، عليم، مدبر، قديم، متكلم، ثم اختلفوا فقال قوم: إنما المقصود إثبات غايات هذه المعاني من الآثار والأفعال، وأن لا فرق بين هذه السمع وبين الرحمة والغضب والجود في هذا، وإن الفرق لم تثبته السنة، وقال قوم: هي أمور موجودة قائمة بذات الواجب واتفقوا على إثبات الإستواء على العرش والوجه والضحك على الجملة، ثم اختلفوا فقال قوم: إنما المراد معان مناسبة فالإستواء هو

الإستيلاء، والوجه الذات، وطواها قوم على غيرها، وقالوا: لا ندري ماذا أريد بهذه الكلمات، وهذا القسم لست استضح ترفع أحد الفرقتين على صاحبتها بأنها على السنة كيف وإن أريد قحّ السنة فهو تركِ الخوض في هذه المسائل رأساً، كما لم يخض فيها السلف، وما أن مست الحاجة إلى زيادة البيان فليس كلّ ما استنبطوا من الكتاب والسنة صحيحاً أو راجحاً، ولا كلّ ما حسبه هؤلاء متوقفاً على شيء مسلّم التوقف، ولا كل ما أوجبوا رده مسلّم الردّ، ولا كل ما امتنعوا من الخوض فيه استصعاباً له صعباً في الحقيقة، ولا كلّ ما جاء به من التفصيل والتفسير أحق مما جاء به غيرهم، ولما ذكرنا من أن كون الإنسان سُنّيا معتبر بالقسم الأول دون الثاني ترى علماء السنة يختلفون فيما بينهم في كثير من الثاني كالأشاعرة والماتريدية، وترى الحذاق من العلماء في كل قرن لا يحتجرون من كل دقيقة لا تخالفه السنة وإن لم يقل بها المتقدّمون، نعم لا محيص لكل خائض في فن أن يعتصم بأحق ما هنالك بالنسبة إلى ذلك الفن، وإنما الأقرب من الحق باعتبار فن الحديث ما خلص بعد تدوين أحاديث البلاد وآثار فقهائها، ومعرفة المتابع عليه من المتفرد به، والأكثر رواة والأقوى رواية مما هو دون ذلك، وأما هؤلاء باحثون بالتخريج والإستنباط من كلام الأوائل، المتحلون مذهب المناظرة والمجادلة، فلا يجب علينا أن نوافقهم في كل ما يتفوهون به، فنحن رجال وهم رجال، والأمر بيننا وبينهم سجال، هذا ما أفاده في الحجة البالغة.

ومنها أن المجتهد في العقليات والشرعيات قد يخطىء ويصيب، وفي المسألة احتمالات، وهٰهنا دليل يرفع النزاع ويوضح الحق إيضاحاً لا يبقى بعده ريب لمرتاب وهو الحديث الثابت في الصحيحين من طرق «أن الحاكم إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر»[1] فهذا الحديث يفيد أن الحق واحد وأن بعض المجتهدين يوافقه، فيقال إنه مصيب ويستحق أجرين، وبعض المجتهدين يخالفه ويقال له مخطأ واستحقاقه للأجر لا

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٠٣١) ومسلم برقم (١٧١٩).

يستلزم كونه مصيباً، واسم الخطأ عليه لا يستلزم أن لا يكون له أجر. فمن قال: كل مجتهد مصيب، وجعل الحق متعدداً بتعدد المجتهدين فقد أخطأ خطأً بيناً، وخالف الصواب مخالفة ظاهرة، فإن النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم جعل المجتهدين قسمين: قسماً مصيباً، وقسماً مخطئاً، لو كان كل واحد منهم مصيباً لم يكن لهذا التقسيم معنى، وهكذا من قال: إن الحق واحد ومخالفه آثم، فإن هذا الحديث يرد عليه رداً بيناً ويدفعه دفعاً ظاهراً، لأن النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم سمّى من لم يوافق الحق في اجتهاده مخطئاً، ورتب على ذلك استحقاقه بالأجر، فالحق الذي لا شك فيه ولا شبهة أن الحق واحد، ومخالفه مخطىء مأجور إذا كان قد وفّى الإجتهاد حقّه، ولم يقصر في البحث بعد إحرازه لما يكون به مجتهداً، ومما يحتج به على هذا حديث «القضاة ثلاثة»[(١)] فإنه لو لم يكن الحق واحداً لم يكن للتقسيم معنىً، ومثله قوله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم لأمير السرية «وإن طلب منك أهل حصن النزول على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله فإنك لا تدري تصيب حكم الله فيهم أم لا»[(٢)]، وتمام هذا البحث في كتاب إرشاد الفحول للشوكاني رحمه الله فليرجع إليه.

ومنها أنه لا يجوز خلو العصر عن مجتهد كما قالت الحنابلة، وبه جزم الأستاذ أبو إسحاق والزبيري، ونسبه أبو إسحاق إلى الفقهاء، قال الزبيري: لن تخلو الأرض من قائم لله بالحجة في كل وقت ودهر وزمان، وذلك قليل في كثير، فإما أن يكون غير موجود كما قال الخصم فليس بصواب، لأنه لو عدم الفقهاء لم تقم الفرائض كلها، ولو عطّلت الفرائض كلّها لحلّت النقمة بالخلق كما جاء في الخبر «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»[(٣)]، ونحن نعوذ بالله أن نؤخر مع الأشرار، انتهى.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٣٥٧٣) وابن ماجة برقم (٣٤١٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٣٢٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٧٣١) وأبو داود برقم (١٦١٢) والترمذي برقم (١٦١٧) وابن ماجة برقم (٢٨٥٨) وأحمد (١/ ٤٣٥).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٩٤٩) والطيالسي (٣١١).

قال ابن دقيق العيد: هذا هو المختار عندنا، وقال في شرح خطبة الإلمام: والأرض لا تخلو من قائم لله بالحجة والأمة الشريفة لا بد لها من سالك إلى الحق على واضح الحجة إلى أن يأتي أمر الله في أشراط الساعة الكبرى، انتهى.

قلت: ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يخذلهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»(١) أو كما قال.

قال الشوكاني في إرشاد الفحول: لا يخفى على من له أدنى فهم أن الإجتهاد وقد يسره الله للمجتهدين تيسيراً لم يكن للسابقين، لأن التفاسير للكتاب العزيز قد دونت وصارت في الكثرة إلى حد لا يمكن حصره، والسنة المطهرة قد دونت، وتكلم الأئمة على التفسير والترجيح والتصحيح بما هو زيادة على ما يحتاج إليه المجتهد، وقد كان السلف الصالح ومن قبل هؤلاء للمنكرين يرحل للحديث الواحد من قطر إلى قطر، فالإجتهاد على المتأخرين أيسر وأسهل من الإجتهاد على المتقدمين، ولا يخالف في هذا من له فهم صحيح وعقل سويّ، وإذا أمعنت النظر وجدت هؤلاء المنكرين إنما أتوا من قبل أنفسهم، فإنهم لما عكفوا على التقليد واشتغلوا بغير علم الكتاب والسنة حكموا على غيرهم بما وقعوا فيه، واستصعبوا بما سهله الله على من رزقه العلم والفهم، وأفاض على قلبه أنواع علوم الكتاب والسنة انتهى.

وللسيد البدر المنير محمد بن اسماعيل الأمير اليمني رسالة في ذلك سماها إرشاد النقاد إلى تيسير الإجتهاد(٢)، فليرجع الطالب الصادق إليه فإنها نفيسة جداً في الباب.

ومنها أن التقليد في المسائل الشرعية الفرعية جائز أم لا؟ فذهب

(١) سبق تخريجه.

(٢) وهي مطبوعة وقد حققها الأخ صلاح الدين مقبول جزاه الله خيراً.

جماعة من أهل العلم أنه لا يجوز مطلقاً، قال القرافي رحمه الله: مذهب مالك وجمهور العلماء وجوب الإجتهاد وإبطال التقليد، وادعى ابن حزم الإجماع على النهي عن التقليد، وذكر الشوكاني رحمه الله نصوص الأئمة الأربعة المصرحة بالنهي عن التقليد في رسالته المسماة بـ «القول المفيد في حكم التقليد» وكتابة المسمى بـ «أدب الطلب ومنتهى الأرب»، وقال في إرشاد الفحول: وبهذا تعلم أن المنع من التقليد إن لم يكن إجماعاً، فهو مذهب الجمهور، ويؤيد هذا حكاية الإجماع على عدم التقليد للأموات، وإن عمل المجتهد برأيه إنما هو رخصة له عند عدم الدليل، ولا يجوز لغيره أن يعمل به بالإجماع، فهذان الإجماعان يجتثان التقليد من أصل. انتهى.

وذهب قوم إلى التفصيل وهو أنه يجب على العامي ويحرم على المجتهد، وبهذا قال كثير من أتباع الأئمة الأربعة، قال الشوكاني رحمه الله: ولا يخفاك أنه إنما يعتبر في الخلاف أقوال المجتهدين، وهؤلاء هم مقلّدون فليسوا ممّن يعتبر خلافه، ولا سيما أئمتهم الأربعة يمنعوهم من تقليدهم وتقليد غيرهم، وقد تعسّفوا فحملوا كلام أئمتهم هؤلاء على أنهم أرادوا المجتهدين من الناس لا المقلّدين، فيا لله العجب.. إلى قوله:

والحاصل أنه لم يأت من جوز التقليد فضلًا عمن أوجبه بحجة ينبغي الإشتغال بجوابها قط، ولم نؤمر بردّ شرائع الله سبحانه إلى آراء الرجال، بل أمرنا بالردّ إلى كتاب الله وسنة رسوله، ومن لم يسعه ما وسع أهل هذه القرون الثلاثة الذين هم خير قرون هذه الأمة على الإطلاق فلا وسع الله عليه، وقد ذم الله المقلّدين في كتابه العزيز في كثير من الآيات. انتهى.

ومن أراد إستيفاء هذا البحث على التمام فليرجع إلى الكتب التي ألفت في هذا المرام كإعلام الموقعين للحافظ ابن القيم، وإيقاظ همم أولي الأبصار للفلاني، والشهاب الثاقب للسيد أحمد حسن القنوجي، والإنصاف، وعقد الجيد، للشاه ولي الله المحدث الدهلوي، وما في معناها وبالله التوفيق.

ومنها أنه هل يجب على العامي إلتزام مذهب معيّن في كل واقعة أم لا؟ فقال جماعة منهم: يلزمه ورجحه إلكيا، وقال آخرون لا يلزمه ورجحه ابن برهان والنووي، واستدلوا بأن الصحابة رضي الله عنهم لم ينكروا على العامة تقليد بعضهم في بعض المسائل وبعضهم في البعض الآخر وهو الحق، وقال ابن المنير: الدليل يقتضي إلتزام مذهب معين بعد الأربعة لا قبلهم. انتهى.

قال الشوكاني رحمه الله: وهذا التفصيل مع زعم قائله أنه اقتضاه الدليل من أعجب ما يسمعه السّامعون وأعزب ما يعتبر به المنصفون. انتهى.

ومحل تمام هذا البحث كتب أصول الفقه فليرجع إليه وإلى ما صنّف فيه خاصة.

ومنها أن إيمان المقلّد الذي لا دليل معه صحيح، قال الأستاذ أبو منصور: فلو اعتقد من غير معرفة بالدليل فاختلفوا فيه، فقال أكثر الأئمة إنّه مؤمن من أهل الشفاعة، وإن فسق بترك الإستدلال، وبه قال أئمة الحديث انتهى.

قلت: وبه قال أبو حنيفة رحمه الله، ومالك، وسفيان الثوري، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد رحمهم الله وعامة الفقهاء، بل نقل بعضهم الإجماع على ذلك، وقال الأشعري وجمهور المعتزلة: لا يكون مؤمناً حتى يخرج فيها عن جملة المقلدين. انتهى.

قال الشوكاني، فيا لله العجب من هذه المقالة التي تقشعر بها الجلود وترجف عند سماعها الأفئدة، فإنها جناية على جمهور هذه الأمة المرحومة وتكليف لهم بما ليس في وسعهم ولا يطيقونه، وقد كفى الصحابة الذين لم يبلغوا درجة الإجتهاد ولا قاربوها الإيمان الجملي ولم يكلفهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم وهو بين أظهرهم بمعرفة ذلك، ولا أخرجهم بذلك عن الإيمان بتقصيرهم عن البلوغ إلى العلم بذلك بأدلته، وما حكاه الأستاذ أبو منصور عن أئمة الحديث من أنه مؤمن وإن

فَسَق فلا يصح التفسيق عنهم بوجه من الوجوه، بل مذهب سابقهم ولاحقهم الإكتفاء بالإيمان الجملي، وهو الذي كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، بل حرّم كثير منهم النظر في ذلك وجعله من الضلالة والجهالة، وقد أنكر القشيري والشيخ أبو محمد الجويني وغيرهما من المحققين صحة هذه الرواية المتقدمة عن أبي الحسن الأشعري.

قال ابن السمعاني: إيجاب معرفة الأصول على ما يقوله المتكلمون بعيد جداً عن الصواب. انتهى كلامه، وتفصيل ذلك في إرشاد الفحول فليرجع إليه.

ومنها اتباع الإجماع، وحقيقته أن يتفق قوم من حَمَلَةِ الملة الذين اعتقدوا العامة فيهم الإصابة غالباً أو دائماً على شيء يظن أن ذلك دليل قاطع على ثبوت الحكم، وذلك فيما ليس له أصل من الكتاب والسنة، وهذا غير الإجماع الذي اجتمعت الأمة عليه، فإنهم اتفقوا على القول بالإجماع الذي مستنده الكتاب والسنة والإستنباط من أحدهما، ولم يجوزوا القول بالإجماع الذي ليس مستنداً إلى أحدهما، وهو قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ﴾[1] الآية هذا في الحجة البالغة.

ومنها أن الفرقة الناجية قد تكلم الناس فيها على أقوال، وكل فرقة تزعم أنها هي الفرقة الناجية، والأحسن في هذا الباب الإكتفاء بالتفسير النبوي الوارد في الحديث، فقد عيّن مُعلّم الشرائع الفرقة الناجية بأنها «من كان على ما هو عليه النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم وأصحابه»، وقد عرف بحمد الله من له أدنى همة في الدين ما كان عليه النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، فقد نقل إلينا أقوالهم وأفعالهم حتى أكلهم، وشربهم، ونومهم، ويقظتهم، حتى كأنا رأيناهم رأي العين، وبعد ذلك من رزقه الله إنصافاً من نفسه وجعله من أولي الألباب لا يخفاه حال نفسه، بل

---

(١) [سورة البقرة: الآية ١٧٠].

يتبع ما كان عليه النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم أو غير متبع، ثم لا يخفى عليه حال غيره من كل طائفة هل هي متبعة أو مبتدعة؟ ومن ادعى أنه متبع للسنة مقتد بها يصدق دعواه أفعاله وأقواله أو يكذبها، فإن ما كان عليه النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم ظهر لكل إنسان بحيث لا يمكن إلتباس المتبع بالمبتدع، قال: السيد محمد بن اسماعيل الأمير: عندي أنه لا بُعد في أن الفرقة الناجية هم الغرباء المشار إليهم في الأحاديث كحديث «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء»، قيل ومن هم يا رسول الله؟ قال: «الذين يصلحون إذا فسد الناس»[(١)]، وفي رواية «الذين يفرون بدينهم من الفتن» وفي رواية «الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتي» وفي حديث ابن عمر، وقلنا: من الغرباء يا رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم؟ قال: «قوم صالحون قليل في ناس كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم»[(٢)] وهم المرادون بحديث «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله»[(٣)] وليسوا بفرقة مشار إليها كالأشعرية، والمعتزلة مثلاً، بل هم «النّزاع من القبائل»[(٤)] كما في الحديث وهم متبعوا الرسول صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم اتباعاً قولياً وفعلياً من أي فرقة كانت انتهى كلامه.

وفي الحجة البالغة أن الفرقة الناجية هم الآخذون في العقيدة والعمل جميعاً بما ظهر من الكتاب والسنة، وجرى عليه جمهور الصحابة والتابعين، وإن اختلفوا فيما بينهم فيما لم يشتهر فيه نص ولا ظهر من الصحابة اتفاق عليه، استدلالاً منهم ببعض ما هنالك، أوتفسيراً لمجمله، وغير الناجية كل فرقة انتحلت عقيدة خلاف عقيدة السلف أو عملاً دون أعمالهم والله أعلم. انتهى.

---

(١) أخرجه الآجرّي في الغرباء ص (١٥، ١٦) والطبراني برقم (٥٨٦٧) والقطعة الأولى من الحديث أخرجها مسلم برقم (١٤٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٧، ٢٢٢).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٨) والبغوي برقم (٦٤) والترمذي برقم (٢٦٣١) وابن ماجة برقم (٣٩٨٨).

ومنها أنه صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم قال: «**العلم ثلاثة: آية محكمة، أو سنة قائمة، أو فريضة عادلة، وما كان سوى ذلك فهو فضل**»[1] رواه أبو داود وابن ماجة.

قال في الحجة: هذا ضبط وتحديد لما يجب عليهم بالكفاية فيجب معرفة القرآن لفظاً، ومعرفة محكمه بالبحث عن شرح غريبه، وأسباب نزوله، وتوجيه معضله، وناسخه ومنسوخه، أما المتشابه فحكمه التوقف، أو الإرجاع إلى المحكم، والسنة القائمة ما ثبت في العبادات والإرتفاقات من الشرائع والسنن مما يشتمل عليه علم الفقه، والقائمة ما لم ينسخ، ولم يهجر، ولم يشذ راويه، وجرى عليه جمهور الصحابة والتابعين، أعلاها ما اتفق عليه فقهاء المدينة والكوفة، وآيته أن يتفق على ذلك المذاهب الأربعة، ثم ما كان فيه قولان لجمهور الصحابة أو ثلاثة، كل ذلك قد عمل به طائفة من أهل العلم، وآية ذلك أن يظهر في مثل الموطأ وجامع عبد الرزاق رواياتهم وما سوى ذلك فإنما هو استنباط بعض الفقهاء دون بعض تخريجاً واستدلالاً واستنباطاً، وليس من القائمة والفريضة العادلة الأنصباء للورثة، ويلحق به أبواب القضاء مما سبيله قطع المنازعة بين المسلمين بالعدل، فهذه الثلاثة يحرم خلوّ البلد عن عالمها لتوقف الدّين عليه، وما سوى ذلك من باب الفضل والزيادة. هذا آخر كلامه رحمه الله.

ومنها أن النصوص من الكتاب والسنة تحمل على ظواهرها ما لم يصرف عنها دليل قطعي، كما في الآيات التي تشعر بظواهرها بالجهة والجسمية ونحو ذلك، لا يقال هذه ليست من النصوص، بل من المتشابه لأنا نقول المراد بالنصوص منها ليس ما يقابل الظّاهر والمفسر والمحكم، بل ما يعمّ أقسام النظم على ما هو المتعارف والعدول عنها أي عن الظواهر إلى معان يدعيها أهل الباطن إلحاد. قاله التفتازاني في شرح العقائد النسفية.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٢٨٨٥) وابن ماجة برقم (٥٤).

وقال الشيخ محمد فاخر[1] رحمه الله: إن النصوص الشرعية من الكتاب والسنة تحمل على ظواهرها ويجوز إطلاق ما يفهم منه عرفاً، ويجوز الإعتقاد به، وما يوهم منها بالجسمية وغيرها فيعتقد ظاهرها ويتبرىء عن لازمها المتبادر منها، ويقبله على مراد الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، ولا يتحاشى من إطلاق صفات وردت في الشريعة على وهم لزوم شيء آخر، بل يطلقها ويلفظ بها بلا تكييف، وقد اختار ذلك كلّ فرقة في بعض المسائل، فالأشاعرة وغيرهم سدّوا طريق التأويل في الرؤية وغيرها مما يتعلق بالآخرة، وقبلوا ما ورد بلا كيف، والمعتزلة لم ينفوا الحياة، ويلزم منه على قاعدتهم الجسمية، فلا محالة يؤمن بها قائلاً بسلب الكيفية وعلى هذا القياس، وأهل الحديث الذين هم قدوة أهل السنة في كل باب أيضاً يعتقدون ذلك ويؤمنون بما ورد كما ورد، ولا ينظرون إلى ما يلزم في أوهام العوام، فعليكم الأسوة فيهم فإنهم أهل رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، والغياث ثم الغياث من أيدي جماعة رأوا الإعتقاد بما ورد في القرآن والحديث من الألفاظ على وهم الجسمية والمكان كفر ولا يخافون الله، لأن من آمن بظواهرها لم يوجد من قبله شيئاً، فإن أخذوه في الآخرة لا يكون إلا ظلماً ويأباه قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[2] وتقرير العقائد بآرائه الفاسدة والحكم بكفر ما وراء ذلك، وإن كان ظواهر القرآن والحديث كذلك في الحقيقة تخطئة القرآن والحديث مع أن الله تعالى أنزل القرآن للبيان، ورسوله الذي هو أفصح الناس كيف أطلق في الظاهر ألفاظاً اعتقادها كفر، إنما صدرت هذه الجرأة من جماعة شبّ فيهم الصغير وشاب فيهم الكبير، ثم انضمت بها العادة التي هي كالطبيعة الثانية، فسلكوا بلا تفتيش حقيقة الحال طريق إذعانهما كالأعمى والأصم، وضيعوا حاصل إيمانهم، فانجا النجا من سلوك طريق تقليدهم، وإن كانوا في نظر الناس أعلم الناس وشيخ المشايخ، والله

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) [سورة آل عمران: الآية ١٨٢].

إن الله عادل لا يسخط أبداً على من آمن بما يطابق ظاهر قوله عز وجل، ولا يقتضي عدله ظلماً، والإيمان بالظواهر بلا تكييف مذهب الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، إن شاء أحد أن ينقل حرفاً واحداً خلاف ذلك عن تلك الجماعة لا يستطيع. انتهى كلامه رحمه الله.

ومنها أن المسلمين لا بد لهم من إمام يقوم بتنفيذ أحكامهم، وإقامة حدودهم، وسدّ ثغورهم، وتجهيز جيوشهم، وأخذ صدقاتهم، وقهر المتغالبة والمتصافة، وقطاع الطريق، وإقامة الجُمَع والأعياد، وقطع المنازعات، وفصل الخصومات الواقعة بين العباد، وقبول الشهادات القائمة على الحقوق، وتزويج الصغار والصغائر الذين لا أولياء لهم، وقسمة الغنائم، ونحو ذلك من الأمور التي لا يتولاها آحاد الأمة، فقد أجمعوا على وجوب نصب الإمام، وإنما الخلاف في أنه يجب على الله أو على الخلق بدليل سمعي أو عقلي فمذهبين: أهل السنة وعامة المعتزلة أنه يجب على الخلق سمعاً لقوله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»[1] أخرجه مسلم من حديث ابن عمر، ولأنّ الصحابة جعلوا أهم المهمّات نصب الإمام حتى قدموه على دفنه صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم.

ومنها أنه يشترط في الخليفة أن يكون من أهل الولاية المطلقة، بأن يكون مسلماً، حراً، ذكراً، عاقلًا، بالغاً، إذ ما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلًا، والعبد مشغول بخدمة المولى، مستحقر في أعين الناس، والنساء ناقصات عقل ودين، والصبيّ والمجنون قاصران عن تدبير الأمور والتصرف في مصالح الجمهور، ويكون سائساً بقوة رأيه ورؤيته، ومعونة بأسه وشوكته، قادراً على تنفيذ الأحكام، وحفظ حدود الإسلام، وإنصاف المظلوم من الظالم.

قال في الحجة: ويكون شجاعاً ذا رأي وسمع وبصر ونطق، ومن

---

(١) أخرجه أحمد (٤/٩٦) بهذا اللفظ وأخرجه مسلم بنحوه برقم (١٨٥١).

سلم الناس شرفه وشرف قومه، ولا يستنكفون عن طاعته، قد عرف منه أنه يتبع الحق في سياسته المدنية، هذا كله يدل عليه العقل، واجتمعت أمم بني آدم على تباعد بلدانهم واختلاف أديانهم على اشتراطها لما رأوا أن هذه الأمور لا تتم المصلحة المقصودة من نصب الإمام إلا بها، وإذا وقع شيء من إهمال هذه رأوه خلاف ما ينبغي وكره قلوبهم وسكتوا على غيظ، وهو قوله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم في الفارس لما ولّوا عليهم امرأة «لن يفلح قوم ولوا عليهم امرأة»[1] رواه البخاري، والملّة المصطفوية اعتبرت في خلافة النبوة أموراً أخرى منها الإسلام، والعلم، والعدالة، وذلك لأن مصالح الملّة لا تتم بدونها ضرورة أجمع المسلمون عليه، والأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾[2] ومنها كونه من قريش قال النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم «الأئمة من قريش»[3] انتهى، ومنها أن يكون ظاهراً ليرجع إليه لا منتظراً ولا مخفياً من أعين الناس، ولا يشترط أن يكون هاشمياً، أو علوياً، أو معصوماً، ولا أن يكون أفضل أهل زمانه، لأن المساوي في الفضيلة، بل المفضول الأقل علماً وعملاً ربما كان أعرف بمصالح الإمامة ومفاسدها وأقدر على القيام بمواجبها، ولهذا جعل عمر رضي الله عنه الإمامة شورى بين ستة مع القطع بأن بعضهم كعثمان أفضل من باقيهم والله أعلم بالصواب.

ومنها أنه ينعقد الخلافة بوجوه بيعة أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء وأمراء الأجناد ممن يكون له رأي ونصيحة للمسلمين، كما انعقدت

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٤٢٥).

(٢) [سورة النور: الآية ٥٥].

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٩، ١٨٣) وابن أبي عاصم في السّنة برقم (١١٢٠) وصححه الألباني فيه.

خلافة أبي بكر، وبأن يوصي الخليفة الناس به كما انعقدت خلافة عمر رضي الله عنه، أو يجعل شورى بين ستة كما كان عند انعقاد خلافة عثمان رضي الله عنه، بل علي كرم الله وجهه أيضاً، واستيلاء رجل جامع للشروط على الناس وتسلطه عليهم كسائر الخلفاء بعد خلافة النبوة، والمُوَلّى من لم يجمع الشروط لا ينبغي أن يتبادر إلى المخالفة لأن خلعه لا يتصور غالباً إلا بحروب ومضايقات، وفيها من المفسدة أشد مما يرجى من المصلحة، وسئل رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم عنهم، فقيل أفلا ننابذهم؟ قال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة»[1] وقال: «إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان»[2].

وبالجملة فإذا كفر الخليفة بإنكار ضروري من ضروريات الدين حلّ قتاله، بل وجب وإلا لا، وذلك لأنه حينئذٍ فاتت مصلحة نصبه، بل يخاف مفسدته على القوم فصار قتاله من الجهاد في سبيل الله، قال صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[3] كذا في الحجة.

ومنها أن الإمام لا ينعزل بالفسق والجور، لأنهما قد ظهرا على الأمراء بعد الخلفاء، والسلف كانوا ينقادون لحكمهم، ويقيمون الجمع والأعياد بإذنهم، ولا يرون الخروج عليهم، فكان إجماعاً منهم على صحة إمامة أهل الجور والفسق انتهاءً، بل ابتلاءً خلافاً للشافعي رحمه الله فعنده ينعزل بالفسق والجور، وكذا كلّ قاضٍ وأمير، وقيل عدم الإنعزال هو المختار من مذهبه، وعن محمد رحمه الله روايتان، ولكن يستحق العزل اتفاقاً، وما مر من انقياد السلف دليل على عدم العزل، وفي حديث مسلم «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية»[4] وفي الصحيحين «من كره من

---

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٥٥).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٠٥٦) ومسلم برقم (١٧٠٩).
(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٤).
(٤) أخرجه مسلم برقم (١٨٤٨).

أميره شيئاً فليصبر فإن من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»[1] وفي رواية «لا تنزعوا يداً من طاعته»[2].

ومنها أن الخليفة إذا انعقدت خلافته ثم خرج آخر ينازعه حلّ قتله ووجب على المسلمين نصرة الخليفة عليه، ثم الذي خرج بتأويل بمظلمته يريد دفعها عن نفسه وعشيرته، أو لنقصية يثبتها في الخليفة ويحتج عليها بدليل شرعي بعد أن لا يكون مسلماً عند جمهور المسلمين، ولا أن يكون أمراً من الله فيه عندهم برهان لا يستطيعون إنكاره فأمره دون الأمر الذي خرج يفسد في الأرض يحكّم السيف دون الشرع، فلا ينبغي أن يجعلا بمنزلة واحدة، فلذلك كان حكم الأول أن يبعث الإمام إليهم فطناً ناصحاً عالماً يكشف شبهتهم، أو يدفع عنهم مظلمتهم كما بعث أمير المؤمنين علي عليه السلام عبد الله بن عباس رضي الله عنه إلى الحرورية، فإن رجعوا إلى جماعة المسلمين فبها وإلا قاتلهم، ولا يقتل مُدْبِرهم ولا أميرهم، ولا يجهز على جريحهم، لأن المقصود إنما هو دفع شرهم، وتفرق جماعتهم، وقد حصل، وأما الثاني فهو من المحاربين وحكمه حكم المحارب. كذا في الحجة.

ومنها أنه لا يجوز قضاء الفاسق عند العلماء الثلاثة وقال بعضهم: إذا قلّد الفاسق ابتداءً يصح ولو قلّد وهو عَدْل ينعزل بالفسق الطارىء، لأن المقلّد اعتمد على عدالته فلم يرض بقضائه بتغير حاله.

وفي فتاوى قاضي خان: أجمعوا على أنه إذا ارتشى لا ينفذ قضاءه فيما ارتشى، وأنه إذا أخذ القاضي القضاء برشوة لا يصير قاضياً، ولو قضى لا ينفذ قضاه كذا. قال التفتازاني والقاري.

ومنها تفضيل التابعين فأهل المدينة يقولون: سعيد بن المسيب، وأهل البصرة: حسن البصري، وأهل الكوفة: أويس القرني، قال بعضهم: هذا هو الصواب لحديث مسلم عن عمر بن الخطاب قال سمعت

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٣، ٧) ومسلم برقم (١٨٤٩).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٢١).

رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم يقول: «خير التابعين رجل يقال له أويس»[1] وبالجملة التابعون أفضل الأمة بعد الصحابة لقوله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[2] فأبو حنيفة عند الحنفية من التابعين، وعند غيرهم من أتباعهم، ومالك رحمه الله من تبع التابعين، والشافعي تلميذ مالك وأحمد بن حنبل كالتلميذ للشافعي رحمهم الله تعالى، فهؤلاء خير الأمة المرحومة، ثم الفضل بعد القرون المشهود لها بالخير بالتفاضل في العلم والعمل وقرب العهد بالقرون المذكورة، فأصحاب الصحاح الستة وأشياخهم وتلاميذهم أفضل القرون علماً، وعملاً، وهدياً، وولاءً، وسمتاً، وصدقاً، وعدلاً، وحفظاً، وديانةً، وتقاوةً، وإنصافاً، وقلباً، وإخلاصاً، وأمانةً، وقياماً بالدين، وتبليغاً بما جاء به الرسول الأمين وبآثار السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وأخذاً بطريقهم بكل باب، وتمسكاً بفعالهم وهديهم في كل نقير وقطمير، كأنهم هم في نظر المعتبر البصير، فأولئك أئمة الأمّة وسادتها، وخير الملّة وقادتها، كيف وسلسلة روايتهم إلى اليوم متصلة بالسند الصحيح المتلقى بالقبول به صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، فهم في المعنى أصحابه، وإن لم يصحبوا نفسه فقد صحبوا الأنفاس، ولا يشاركهم في هذه الخاصة أحد من أفراد الناس، فعليك باتباعهم فهم هم.

ومنها أن فضل بعض القرون على بعض لا يمكن أن يكون من جهة كل فضيلة وهو قوله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم «مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره»[3] رواه الترمذي وقوله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم «أنتم أصحابي وإخواني الذين يأتون بعد» وذلك أن الإعتبارات متعارضة الوجوه متجاذبة، ولا يمكن أن يكون فضل كل أحد من القرن الفاضل على كل أحد من القرن المفضول، كيف ومن القرن الفاضل

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٢٨٦٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٧٣٠).

اتفاقاً من هو منافق أو فاسق كالحجاج، ويزيد ابن معاوية، ومختار، وغلمة من قريش الذين يهلكون الناس، وغيرهم ممن بيّن النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم سوء حالهم، ولكن الحق أن جمهور القرن الأول أفضل من جمهور القرن الثاني ونحو ذلك، والملّة إنما يثبت بالنقل والتوارث، ولا توارث إلا بأن يعظم الذين شاهدوا مواقع الوحي، وعرفوا تأويله، وشاهدوا سيرة النبي صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم، ولم يخلطوا معها تعمقاً، ولا تهاوناً، ولا ملة أخرى. كذا في الحجة البالغة.

ومنها أن كل بدعة ضلالة على إطلاقها كما وردت به الأخبار المستفيضة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم ولا يوجد لتقسيمها رائحة في السنة، ولهذا أنكره الشيخ أحمد مجدد الألف الثاني رحمه الله وأمثاله، ومن قسمها إلى حسنة وسيئة أقر بأن السنة اليسيرة خير منها بكثير، قال علي القاري رحمه الله قوله (نتمسك بسنة) أي صغيرة وقليلة كإحياء آداب الخلاء مثلًا على ما ورد في السنة (خير من إحداث بدعة) أي أفضل من حسنة عظيمة كبناء رباط ومدرسة، وقال الشيخ عبد الحق الدهلوي[1] رحمه الله في أشعة اللمعات ما نصه بالعربية: فإذا كان إحداث البدعة رافعاً للسنة فبالقياس عليه تكون إقامة السنة قامعة للبدعة، فالإعتصام بالسنة وإن كانت قليلة خير من إحداث بدعة وإن كانت حسنة، لأن باتباع السنة يتولّد النور، وبالبدعة تدخل الظلمة، مثلًا رعاية آداب الخلاء والإستنجاء على وجه السنة، خير من بناء الرباط والمدرسة، لأن السالك برعاية آداب السّنة يترقى إلى مقام القرب، وبتركها يؤدي إلى ترك الأفضل منه حتى يبلغ به إلى مرتبة قساوة القلب التي يقال لها الرين والطبع والختم نعوذ بالله من ذلك. انتهى.

قلت: قوله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم «ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة»[2] رواه أحمد عن غطيف بن الحارث الشمالي.

وعن حسان قال: «ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم

---

(١) ولد سنة ٩٥٨هـ وتوفي سنة ١٠٥٢ هـ انظر ترجمته (أبجد العلوم ٣/ ٢٢٨، ٢٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٥).

مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة»[1] رواه الدارمي يدل على أن البدعة هي التي ترفع السنة مثلها والتي لا ترفع شيئاً منها فليست هي من البدعة في شيء، بل هو مباح الأصل والبراءة الأصلية مستصحبة له، وهذه ضابطة نفيسة استخرجتها أنا، وهي كافية في التفرقة بين السنة والبدعة، وفي إيضاح الحق الصريح كلام طويل في معنى البدعة وتقسيمها ولا يخلو عن فائدة، وأحسن التقاسيم وأحضرها عندي ما قال صاحب التفهيمات رحمه الله: وهو أن البدعة ثلاثة أقسام: قسم هو الأخذ بالنواجذ لما حث عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه وسلم من غير عزم، ومثاله التراويح وهي الحسنة، وقسم هو الأخذ بعادات مباحة لم تعهد في السلف وهو بيّن، وقسم فيه ترك المسنون أو تحريف المشروع وهي الضلالة. انتهى.

وغالب البدع الحسنة في هذا الزمان من القسم الأخير كما لا يخفى على المتبع البصير.

ومنها أن العبد مأمور بأن يتوب إلى الله تعالى دائماً لقوله: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾[2] وفي صحيح البخاري «إني لأستغفر الله وأتوب إليه أكثر من سبعين مرة»[3] ودلت عليه دلائل كثيرة من الكتاب والسنة تركناها إختصاراً، ومن ظن أن الذنوب لا تضر من أصر عليها، فهو ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة، بل ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾، ومن ظن أن القدَرَ حجة لأهل الذنوب فهو من جنس المشركين الذين قال الله تعالى فيهم وقالوا: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖ﴾[4] الآية ولو كان القدر حجة لم يعذب الله المكذبين للرسل كقوم نوح، وعاد،

(١) أخرجه الدّارمي (١/ ٤٥).

(٢) [سورة النور: الآية ٣١].

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٧) ومسلم برقم (٢٧٠٢).

(٤) [سورة الأنعام: الآية ١٤٨].

وثمود، والمؤتفكات، وقوم فرعون، ولم يأمر بإقامة الحدود على المعتدين.

ومنها أن إسقاط عقوبة الذنب عن التائب غير واجب على الله عقلًا، بل كان ذلك فضلًا منه، خلافاً للمعتزلة، وأما وقوع قبولها شرعاً ففي عمدة النسفي: ومن تاب عن كبيرة صحت توبته مع الإصرار على كبيرة أخرى ولا يعاقب بها، ومن تاب عن الكبائر لا يستغني عن توبة الصغائر، ويجوز أن يعاقب بها عند أهل السنة والجماعة.

قال الكرماني في منسكه: ثم إذا تاب توبة صحيحة صارت مقبولة غير مردودة قطعاً من غير شك وشبهة بحكم الوعد بالنص أي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[1] ولا يجوز لأحد أن يقول: إن قبول التوبة الصحيحة في مشيئة الله تعالى، فإن ذلك جهل محض ويخاف على قائله الكفر، لأنه وعد قبول التوبة قطعاً من غير شك، وإذا تشكك التائب في قبول توبته إذا كانت صحيحة فإنه بتلك التوبة والإعتقاد به يكون مذنباً بذنب عظيم من الأول، نعوذ بالله من ذلك ومن جميع المهالك. انتهى.

ويوضح ذلك ما رواه الغزالي رحمه الله من أن التوبة إذا استجمعت شروطها فهي مقبولة لا محالة. انتهى.

وقال القاضي في ما لا بد منه. ومن يتوب بالإخلاص يغفر جناحه حسب الوعد الإلٰهي ألبتة. وفذلكة الكلام أن من أراد أن يكون مسلماً عند جميع طوائف الإسلام فعليه أن يتوب من جميع الآثام صغيرها وكبيرها نقيرها وقطميرها سواء يتعلق بالأعمال الظاهرة أو بالأخلاق الباطنة، ثم يجب عليه أن يحفظ نفسه من الأقوال والأفعال والأحوال كلها من الوقوع في الإرتداد نعوذ بالله منه، فإنه مبطل الأعمال وموجب سوء خاتمة الرجال وخسران الحال والمآل، وإن قدر الله عليه وصدر عنه ما يوجب الردة والحبط فيتوب عنها عازماً على عدم الإعادة لترجع إليها السعادة وهذا آخر

---

(١) [سورة الشورى: الآية ٢٥].

ما أردت إيراده في خاتمة هذه التعليقة مع عدم الفرصة وفقد السيقة تُبْ إليه سبحانه وتعالى من جميع الذنوب، كبارها وصغارها، وما علمت وما لم أعلم، وما عملت وما لم أعمل، بصميم الجنان مقراً باللسان فإنه يتوب على من تاب كما وعد في الكتاب ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[1].

والسلام على من اتبع الهدى وخالف طريق الهوى وفريق الردى.

❀ ❀ ❀

(١) [سورة طه: الآية ٨٢].

شعر

تبلى يدي بعدما خطت أناملها | كأنه لم يكن طوعاً له القلم
يا نفس ويحك نوحي حسرة وأسىً | على زمانك إذ وجداننا عدم
واستدركي فارط الزلات واغتنمي | شرح الشبيبة فالأوقات تغتنم
وقدمي صالحاً تزكو عواقبه | يوم الحساب إذ ما أبلس الأمم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه مظهر لطفه محمد وآله وصحبه أجمعين.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة